

بیان السعادة فی مقامات العبادة

حاج سلطانمحمد گنابادی

ملقب به سلطانعلیشاه







هو

۱۲۱

متن عربی

تفسیر شریف
بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تألیف

العارف الشّهير

سلطان محمّد الجنابذى سلطانعليشاه قدس سره

هو

۱۲۱

(المجلّد الثالث عشر)

متن تفسير شريف

بيان السّعادة فى مقامات العبادة

تأليف

العارف الشّهير

حاج سلطان محمّدالجنابذى الملقّب بسلطانعليشاه

طاب ثراه

سُورَةُ ٱلشُّورَىٰ

ثلاث و خمسون ءاٰيةً، و قيل: خمسون ءاٰية مكّيّة، و قيل: الّا قوله: و الّذين استجابوا (الى قوله) لايحبّ الظّالمين، و قيل: الّا اربع ءاٰيات نزلن بالمدينة: قل لااسألكم عليه اجراً الّا المودّة فى القربى (الى قوله) و الكافرون لهم عذابٌ شديدٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ] الوحى الّذى او حينا اليك قبل ذلك من اخبار المغيبات و من الاحكام و المواعظ.

[يُوحِىٓ إِلَيْكَ] بعد هذا الزّمان، او كذلك الوحى بالرّمز و الحروف المقطّعة الّذى او حينا اليك قبل ذلك يوحى اليك بعد ذلك.

او كذلك الوحى المحفوف باذى القوم و انكارهم الّذى او حينا اليك يوحى بعد ذلك، او كذلك الوحى باهلاك القوم و اسكان الارض يوحى اليك.

[وَ إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ] اى واوحى الى الّذين من قبلك و أتاه بطريق عطف المفرد للاغتفار فى الثّوانى او لتقدير المعطوف بقرينة المعطوف عليه.

و قرئ :يوحى بالبناء للفاعل، و بالبناء للمعفول، و اذا كان مبنيّاً للمفعول فقوله تعالى [ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ] يكون فاعل فعلٍ محذوفٍ او مبتدءً و الجملة مستأنفة فى موضع التّعليل و خبره العزيز او الحكيم او قوله تعالى [لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ] و المعنى له السّماوات و الارض و ما فيهما [وَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ] من جهة فوقهنّ او من فوق الاراضى [وَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ] عطف على السّماوات

عطف المفرد، و يسبّحون مستأنف او عطف مع يسبّحون على اسم تكاد و خبره، او الجملة معطوفة على جملة تكاد الّسماوات (الى ءاٰخره).

[بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ] يعنى لمؤمنى الارض فانّهم عقلاء حقيقةً و غيرهم ملحقون بالبهائم كما سبق فى سورة المؤمن عند قوله تعالى و يستغفرون للّذين ءاٰمنوا قال القميّ،

للمؤمنين من الّشيعة التّوابين خاصّةً، و لفظ الاية عامّ و المعنى خاصّ و مراده بالتّوّابين فى ضمن البيعة الخاصّة.

و عن الصّادق عليه السلام يستغفرون لمن فى الارض من المؤمنين لانّ المؤمنالّذى بايع البيعة الخاصّة الولويّة يحصل فى قلبه كيفيّة الهيّة هى بمنزلة الانفحة و بتلك الجوهرة الالهيّة يتوجّه اليه الملائكة الّسماويّة و يحفّ به الملائكة الارضيّة و يطلبون ستر مساويه من الله و يسترون مساويه و يحفظونه من ظهور المساوى عنه، و امّا غيره فلا التفات للملائكة الّسماويّة اليه و يتنفّر عنه الملائكة الارضيّة فلايحفّون به و لايسترون مساويه.

[أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

[وَ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ] اى اولياء حالكونهم غيره، او اتّخذوا من دونه اذنه اولياء و على ایّ تقديرٍ فالمقصود منهم مقابلوا المؤمنين الّذين اتّخذوا عليّاًعليه السلام وليّاً.

[ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ] مقابل استغفار الملائكة للّذين بايعوا مع علىٍّعليه السلام او معنى حفيظ عليهم حافظ جميع اعمالهم على ضررهم و من كان الله حافظاً عليه لايدع صغيراً و لا كبيراً من اعماله.

[وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ] برسالتك [بِوَكِيلٍ] حتّى تحزن بخلافهم لك او

بعنادهم لعلىٍّ عليه السلام، او تحفظ عليهم اعمالهم، او تحفظهم عن المخالفة لعلىٍّ عليه السلام.

[وَكَذَٰلِكَ] الوحى الّذى نوحى اليك فى علىٍّ عليه السلام او مطلقاً [أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ] قبل [قُرْءَانًا عَرَبِيًّا] بلسان العرب لابلسان العجم اوذا حكمة و علم و مواعظة و احكام، لااعرابيّاً لم‌يكن فيه حكمة و مواعظ و احكام.

[لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ] اهل امّ القرى [وَمَنْ حَوْلَهَا] من اهل الارض جميعاً، فانّ تمام الارض بالنّسبة الى عالم المثال تكون حول مكّة.

[وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ] لتنذر جميع الخلق من كلّ ما ينذر منه من امور الدّنيا و امور الاخرة و تنذر من يوم الجمع مخصوصاً و هو يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه.

[لَا رَيْبَ فِيهِ] قد مضى بيان عدم الرّيب فى امثاله فى اوّل البقرة عند قوله تعالى لاريب فيه.

[فَرِيقٌ] من المجتمعين [فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ] منهم [فِى ٱلسَّعِيرِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً] على دينٍ واحدٍ و مذهبٍ واحدٍ وارادةٍ واحدةٍ هى ارادة الطّاعة و لمّا كان مشيّته بحسب استعداداتهم ماشاء ذلك.

[وَلَـٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ] بحسب استعداده [فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ] يتولّى اموره و يجذب خيراته.

[وَلَا نَصِيرٍ] يدفع الضّرّ عنه و ينصره فى شدائده و قد مضى مكرّراً انّ النّبىّ صلى الله عليه وآله بولايته ولىّ و برسالته نصير، و غيرّ الاسلوب اشعاراً بانّ الادخال فى الرّحمة من اوصافه تعالى الّذاتيّة و عقوبة الظّالم من عرضيّات رحمته الرّحمانيّة دون اوصافه الّذاتيّة.

[أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ] ام ههنا بمعنى بل مع الهمزة او

مجرّدة عن الهمزة فلايربحوا [فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ] لاولىّ سواه [وَ هُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ] عن الحيوة الحيوانيّة او الموتى عن الحيوة الانسانيّة الّتى هى الولاية التّكليفيّة.

[وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَ مَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ] اى ممّا يصدق عليه اسم الّشىء من امر الدّين او من امر الدّنيا من المعاملات او المعاشرات او المنا كحات او التّوارث.

[فَحُكْمُهُۥٓ] راجع [إِلَى ٱللَّهِ] يعنى الحكم فى ذلك الّشىء بكونه حقّاً او باطلاً او صحيحاً او فاسداً ينبغى ان يرجع فيه الى الله فى الدّنيا بحسب مظاهره الّذين هم مظاهر الولاية واصل الكلّ علىّ عليه‌السلام.

فانّه ليس عند احدكم حقّ الّا ما خرج من ذلك البيت و لايصل البشر الى مقام الغيب حتّى يكون الله يحكم بنفسه بينهم، و ينتهى حكم ذلك فى الاخرة الى علىّ عليه‌السلام.

لانّ اياب الخلق اليه و هو قسيم الجنّة و النّار، و امّا رجوعه الى كتاب الله بمعنى استنباط حكمه منه فممّا لاحاصل له لانّ الكتاب مجمل متشابه و الرّجوع اليه من دون الرّجوع الى الامام المبيّن له غير مجدٍ.

[ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى] حكاية لقول الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله اى قال الرّسول لهم، اوامرله صلى‌الله‌عليه‌وآله بهذا القول بتقدير الامر من القول اى قل لهم، ذلكم الموصوف بهذا الاوصاف ربّى.

[عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] فيما تخوّفوننى به [وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ] فى جميع امورى، او انيب بذاتى فى ءاخر امرى.

[فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا] هو من قول الرّسول صلى‌الله‌عليه‌وآله او ابتداء كلامٍ من الله [وَ مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ] الثّمانيّة كما

مضى فى سورة الانعام.

[أَزْوَٰجًا] اى و خلق من الانعام ازواجاً ذكراً و انثى، او ازواجاً اهلية و وحشيّة، او خلق لكم من الانعام ازواجاً [يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ] اى يكثّركم و يبثّكم فى جعل الازواج من انفسكم والازواج من الانعام و هذا الجملة ايضاً من قول الرّسول ﷺ او من الله تعالى.

[لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ] الكاف زائدة او اسميّة و هى خبر ليس و حينئذٍ يكون الكلام مبالغة فى نفى المماثلة لا انّه يكون اثباتاً للمثل له و قد مضى فى اوّل البقرة انّ الله تعالى وجود بحت و بسيط الحقيقة، واقتضاء بساطته ان لايكون له ثانٍ و الّا كان مركّباً و اذالم يكن له ثانٍ لم يكن له مثلٌ و لاضدٌّ.

[وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ] بمنزلة النّتيجة لنفى المثل عنه لانّه اذا لم يكن له مثل فلم يكن سمعٌ الّا كان سمعه، و لابصرٌ الّا كان بصره، و الّا كان غيره سميعاً و بصيراً مثله فيكون الّسمع و البصر محصوراً فيه.

[لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ] المقلا دكا لمفتاح و القلّيد كالّسكّيت الخزانة [يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ] على قدر استعداده [إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيعلم قدر استعداد كلّ و استحقاقه.

[شَرَعَ لَكُم] اى جعل لكم مشرعاً و جادّة [مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا] الجمل الّسابقة يحتمل كلّ منها كونه من قول الرّسول ﷺ و كونه ابتداء كلامٍ من الله كما اشرنا اليه.

و كان قوله تعالى [وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ] عطفاً على ما وصّى به نوحاً عطف المفرد و يجوز ان يكون مستأنفاً من الله سواء جعلت الجمل الّسابقة من الله او من الرّسول ﷺ و يكون حينئذٍ مبتدءً و خبره ان اقيموا

الدّين او كبر على المشركين و يكون العائد مستتراً فى كبر و ما تـدعوهم اليه بدلاً منه.

[وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ] ان تفسيريّة او مصدريّة و الّدين يطلق على الطّريق الى الله، و الطّريق الى الله تكويناً هى الولاية التّكوينيّة و تكليفاً الولاية التّكليفيّة.

و قد فسّر بعلىٍّ عليه السلام و على الاعمال الّتى تعين السّالك على الطّريق فى سيره و لذلك يسمّى الملّة ديناً، و اقامة الدّين بوصل كـلّ مـرتبة مـن الطّريق الى المرتبة الاخرى و بوصل اعمال كلّ مـرتبةٍ مـنها الى اعـمال المرتبة الاخرى نظير اقامة الصّلوة.

و قد مضى تفصيل اقامة الصّلوة فى اوّل البقرة [وَ لَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ] فى الدّين اى الاعمال الّلازمة للطّريق او نفس الطّريق او فـى عـلىّ عليه السلام و ولايته بان اختار كلّ عملاً و طريقاً مغايراً لعمل الاخر و طريقه.

او بان يكون كلّ له طرقٌ عديدة و اعمال مختلفة، او يكون فى عمله اهوية عديدة و اغراض كثيرة.

[كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ] بالله او بالولاية [مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ] مـن التّوحيد و حصر العبادة فى الله او من الولاية.

[ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ] اى يولّى بالاجتباء [إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ] فلا تحزن انت على ادبارهم عن الله اوعن علىٍّ عليه السلام [وَ يَهْدِىٓ] اى يوصل او يسلك [إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ] من يرجع اليه.

عن الصّادق عليه السلام ان اقيموا قال الامام عليه السلام و لاتتفرّقوا فيه كناية عن امير المؤمنين عليه السلام ما تدعوهم اليه من ولاية علىٍّ عليه السلام من يشاءُ كناية عن علىٍّ عليه السلام و بهذا المضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ، و لمّا كان القرءاٰن ذاوجوه

كثيرة كان هذا احسن وجوهه.

[وَ مَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِن م بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ] بصحّة دين نبيّهم او بصدق خلافة علىٍّ عليه السلام فقبل بعضهم عن علمٍ، وانكر بعضهم حسداً [بَغْيَام بَيْنَهُمْ وَ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ] بامهالهم.

[إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ]بالاهلاك للمنكر و الخلاص للمقرّ من بين المنكر [وَ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن بَعْدِهِمْ] بعد الانبياء عليهم السلام و اممهم [لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ] و قد فسّر بغياً بينهم ببغى بعضهم على بعض لمّا رأوا من تفاضل امير المؤمنين عليه السلام و قوله تعالى لفى شكٍّ منه مريبٍ بانّه كناية عن الّذين نقضوا امر رسول‌الله صلى الله عليه وآله.

[فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ] اى للدّين و اقامته، او لعلىّ عليه السلام و ولايته و الّلام بمعنى الى او للتّعليل، و يكون المعنى ادع جميع النّاس الى الّشريعة الّتى شرعتها لك لاجل الولاية فانّ الاسلام اى الّشريعة هداية الى الولاية، و لو لم يكن الولاية لم يكن للاسلام فائدة.

و عن الصّادق عليه السلام يعنى الى ولاية امير المؤمنين عليه السلام [وَ ٱسْتَقِمْ] و اعتدل و تمكّن فى الدّين [كَمَآ أُمِرْتَ] كاستقامة امرت بها و هى الاستقامة فى جميع المقامات و فيما فوق الامكان و هو حقيقة اولاية و لعدم انضمام الامّة معه صلى الله عليه وآله ههنا لم‌يرد منه ماورد فى سورة هود من قوله: شيّبتنى سورة هود.

[وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ] فى الدّين او فى ولاية امير المؤمنين عليه السلام [وَ قُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ] فى الامم الماضية و فى هذا الزّمان حتّى يكون تعريضاً بالايمان بكتاب ولاية علىٍّ عليه السلام و تعريضاً بهم فى عدم الايمان بولاية علىٍّ عليه السلام.

[وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ] و من العدالة بينكم اقامة رجل منكم اماماً لكم لرفع الخلاف بينكم بعد و فاتی و اقامة عوجكم.

[ٱللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ] فما اقول لكم من الامر و النّهى نفعه لكم و ضرّه عليكم لانفع و لاضرّ منه علىّ حتّى تتّهمونى فى ذلك.

[لَا حُجَّةَ] لامحاجّة [بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمُ] لظهور الحقّ و برهانه و عدم الحاجة الى المحاجّة فهو بمنزلة المتاركة معهم [ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا] تهديدٌ لهم بمحالمة الله بينهم.

[وَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ] فيحكم للمحقّ على المبطل [وَ ٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ] اى يحاجّون الله فى علىٍّ عليه السلام بعد الموت او فى القيامة او فى عبادة الله و معصيته بعد الموت او فى القيامة، او يحاجّون خلفاء الله و المؤمنين فى حقّ الله اى فى دينه او فى حقّيّته و ثبوته او فى عبادته او فى الاشراك به او فى السّلوك اليه او فى توحيده او فى مظاهره يعنى فى نبوّتهم و خلافتهم خصوصاً فى خلافة علىٍّ عليه السلام او فى اعادته، و فى الجملة فى جملة صفاته الحقيقيّة او الاضافيّة و فى جملة افعاله و فى مظاهره.

[مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ] فى ندائه و نداء ملائكته للموت او فى ندائه فى القيامة للحساب، او من بعد ما استجيب له فى نداء خلفائه و دعوتهم و ظهور حجّتهم و عدم بقاء الاشتباه فى حقّيّتهم، او من بعد ما استجيب للنّبىّ صلى الله عليه و آله دعاءه على الكافرين و المشركين بقتلهم يوم بدرٍ و بقحط اهل مكّة و بنى مُضر، او من بعد ما استجيب للنّبىّ صلى الله عليه و آله فى اعطاء المعجزات او من بعد ما استجيب لاجل النّبىّ صلى الله عليه و آله فانّ اليهود كان يستفتحون بمحمّدٍ صلى الله عليه و آله و يجابون فى استفتاحهم.

[حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ] اى باطلة [وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ] لكونهم ظالمين فى محاجّتهم [وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ] كتاب النّبوّة و الرّسالة او كتاب الولاية و القرءاٰن صورة الكلّ.

[بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ المخلوق به او متلبّساً بالحقّ و الجملة مستأنفةٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ و تسليةٌ للرّسول فى محاجّتهم.

كأنّه قيل: هل لهم ان يبطلوا الكتاب او يمنعوا عليّاً عليه السلام عن مقامه او يبطلوا الدّين؟ـ فقال تعالى: الله لاغيره هو الّذى انزل الكتاب بالحقّ فلايأتيه البطلان.

[وَ ٱلْمِيزَانَ] قد سبق فى اوّل سورة الاعراف و فى سورة الانبياء بيانٌ اجمالىّ للوزن و الميزان، و لمّا كان المراد بالكتاب النّبوّة او الرّسالة او الولاية او الكتاب التّدوينىّ الّذى هو صورة الكلّ او الاحكام الملّيّة الّتى هى ايضاً صورة الكلّ و كان كلّ منها ميزاناً لوجود العباد و اعمالهم و احوالهم و اخلاقهم و اقوالهم عطف على الكتاب الميزان.

[وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ] فلاتحزن على عدم مؤاخذتهم، و الخطاب عامّ او خاصّ بالنّبىّ صلّى الله عليه و آله و تعريض بالامّة و تهديدٌ للكفّار و منافقى الامّة، و لجعل قريب شبيهاً بالفعيل بمعنى المفعول قد يسوّى فيه بين المذكّر و المؤنّث [يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا] اى لايذعنون فيسخرون منها و يستعجلون بها.

[وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ] اى اذعنوا بها و الّذين اسلموا بالبيعة العامّة او ءاٰمنوا بالبيعة الخاصّة [مُشْفِقُونَ مِنْهَا] خائفون منها لعلمهم بالحساب على الجليل و القليل فيها.

[وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ] الثّابت [أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى

ٱلسَّاعَةِ] سواء اريد بالّساعة ساعة ظهور القائم او ساعة القيامة او ساعة الرّجعة او ساعة الموت [لَفِى ضَلَـٰلِۭ بَعِيدٍ] قيل: كانوا يقولون لرسول‌الله ﷺ: اقم لنا الّساعة وائتنا بما تعدنا ان كنت من الصّادقين فردّ الله عليهم [ٱللَّهُ لَطِيفُۢ] اى برّ [بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ] العلم و الفهم و الايمان و يؤخّر عنهم الّساعة لعلّهم يتوبون و يتذكّرون فيعترفون.

[وَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ] الّذى بقدر على ما يشاء [ٱلْعَزِيزُ] الّذى لايمنعه مانعٌ من فعله فتأخير مؤاخذتهم ليس لعجزٍ و لالمانعٍ منه عن ذلك بل للطفه بهم [مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فليس لمن سعى للاخرة او للدّنيا شيءٌ من سعيه؟ـ فقال تعالى: من كان يريد بسعيه حرث الاخرة.

[نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ] اعطيناه بقدر سعيه و زدناه على سعيه [وَ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا] بقدر حرثه او اقلّ منه فانّه لايفيد فى مقابل نزدله فى حرثه ازيد من ذلك.

[وَ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ] لانّه مازرع للاخرة.

عن الصّادق عليه السلام: المال و البنون حرث الدّنيا، و العمل الصّالح حرث الاخرة، و قد يجمعها الله لاقوام، و عنه عليه السلام: من اراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له فى الاخرة من نصيبٍ، و من اراد خير الاخرة اعطاه الله خير الدّنيا و الاخرة، و الاخبار فى انّ من كان همّته الدّنيا باعماله و اقواله فرّق الله عليه امره، و شتّت باله و جعل الفقر بين عينيه، و لم يأته من الدّنيا الّا ما كتب له، و من كانت همّته الاخرة جمع الله شمله، و جعل غناه فى قلبه، و أتته الدّنيا و هى راغمة كثيرة.

و قيل للصّادق عليه السلام: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء؟ـ قال: ولاية

امير المؤمنين عليه السلام.

قيل من كان يريد حرث الاخرة؟ـ قال: معرفة امير المؤمنين عليه السلام و الائمّة عليهم السلام.

قيل نزدله فر حرثه؟ـ قال: نزيده منها يستو فى نصيبه من دولتهم و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله فى الاخر من نصيبٍ، قال ليس له فى دولة الحقّ مع الامام عليه السلام نصيبٌ.

[أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ] الله يأمرونهم بخلاف ما يأمرهم الله [شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ] ممّا جعلوه ملّة من البحيرة و السّائبة و غير ذلك [وَ لَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ] كلمة الفصل هى اللّطيفة الانسانيّة الفاصلة للانسان من سائر الحيوان و هى الولاية التّكوينيّة و هى ما به عناية الحقّ للانسان و تكريمه له و يمهل الله الانسان حتّى تظهر تلك اللّطيفة و تستكمل اوتذهب من الانسان و يلتحق الانسان بالانعام بل يصير اضلّ منها و اذا خرجت من الانسان و انقطعت منه يصير الانسان مرتدّاً فطريّاً غير مقبول التّوبة و واجب القتل بحسب احكام الشّرع.

و ما ورد عن الباقر عليه السلام فى تفسير الاية من قوله: لولا ماتقدّم فيهم من الله عزّ ذكره ما ابقى القائم منهم احداً، و لعلّ المراد بالقائم هو خليفة الله القائم بأمره للعباد، يؤيّد ما ذكرنا فى تفسيره كلمة الفصل.

[وَ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]جملة حاليّة و المعنى انّ الظّالمين لال محمّدٍ صلى الله عليه وآله فى وجودهم و هم اللّطيفة المذكورة و كلّ من تولّد منها سواء كانوا ظالمين لال محمّدٍ صلى الله عليه وآله فى الخارج او لم يكونوا لهم عذابٌ اليمٌ فى الدّنيا و الحال الحاضر لكن لخدارة اعضائهم لايشعرون به، او فى الاخرة لكن لعدم تيقّنهم بالعذاب فى الاخرة ظلموهم.

[تَرَى] فى الحال او سوف ترى فى الاخرة و الخطاب خاصٌّ بمحمّدٍ ﷺ او عامّ [ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ] خائفين [مِمَّا كَسَبُوا۟] من جزاء ما كسبوا من الاعمال او من نفس ما كسبوا بناءً على تجسّم الاعمال فى الدّنيا كما هو حال بعض المذنبين او فى الاخرة كما هو حال الجميع.

[وَ هُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْ] فى الدّنيا ولكن لايشعرون به او فى الاخرة [وَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَ عَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ] عطف على مفعولى ترى اى وترى الّذين ءامنوا (الى ءاخرها)، او عطف على اسم انّ و خبرها، او على جملة انّ الظّالمين (الى ءاخرها) او على جملة ترى الّظالمين او على جملة هو واقع بهم.

[لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ]الظّرف مستقرّ و حال عن فاعل يشاؤن او عن الموصول او عن مجرورٍ لهم او عن المستتر فيه او خبرٌ بعد خبرٍ او خبر مبتدءٍ محذوفٍ، او متعلّق بيشاؤن او بل هم.

[ذَٰلِكَ] المذكور [هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ذَٰلِكَ] المذكور العظيم القدر البعيد المنزلة [ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَ عَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ] قد مضى مكرّراً انّ المراد فى امثال هذه العبارة بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة، او نفس البيعة العامّة و بالعمل الصّالح الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة، او نفس البيعة الخاصّة.

او المراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة او نفس تلك البيعة، و بالعمل الصّالح العمل بشروط تلك البيعة.

[قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على هذا الامر الّذى انا فيه من تبليغ رسالة الله و دعائكم الى الايمان بالله [أَجْرًا] منكم حتّى تتّهمونى بطلب الدّنيا فى ادّعائى.

[إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ] الاستثناء متّصل و المودّة فى القربى و ان كانت نافعةً لهم و تكميلاً لنفوسهم و لكن باستكمالهم ينتفع النّبىّ لكونهماجزاءً له وسعةً لوجوده فقوله تعالى: قل ما سألتكم من اجرٍ فهو لكم اشارة الى كلا الانتفاعين حيث جعله اجراً له من حيث انتفاعه بمودّتهم لاستكمالهم بها وسعته ﷺ باستكمالهم.

فما قيل: انّه استثناء منقطع، ليس فى محلّه، و ٱلْقُرْبَىٰ مصدر قرب و المقصود المودّة فى التّقرّب الى الله او فى حال قربكم من الله فيكون بمعنى الحبّ فى الله او المعنى التّحابّ فى ما تقرّب الى الله من الاعمال، او المعنى لاأسألكم اجراً الّا ان تودّونى لاجل قرابتى منكم.

هكذا قيل، ولكن ما وصل الينا من ائمّتنا عليهم السلام فى اخبارٍ كثيرةٍ انّ المعنى لاأسألكم اجراً الّا ان تودّوا أقربائى، فيكون القربى مصدراً بمعنى اسم الفاعل، و يكون التّعبير بالمصدر للاشعار بانّ مودّة أقربايى نافع لكم من حيث قرابتهم لى جسمانيّة كانت القرابة او روحانيّة.

و روى انّ رسول‌الله ﷺ حين قدم المدينة و استحكم الاسلام قالت الانصار فيما بينها: نأتى رسول الله ﷺ فنقول له: انّه يعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرجٍ و لامحظورٍ عليك، فأتوه فى ذلك، فنزلت: قل لااسألكم عليه اجراً لاالمودّة فى القربى: فقرأها عليهم و قال: تودّون قرابتى من بعدى، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله فقال المنافقون: انّ هذا الشىءٌ افتراه فى مجلسه اراد بذلك ان يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت: ام يقولون افترى على الله كذباً. فأرسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا و اشتدّ عليهم فأنزل الله و هو الّذى يقبل الّتوبة عن عباده (الاية) فارسل فى اثرهم فبشّرهم، و بهذا المضمون و بالقرب منه اخبارٌ كثيرةٌ.

[وَ مَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً] قد مضى منّا مكرّراً انّ الحسن الحقيقىّ و

الحسنة الحقيقيّة هى الولاية لاغير، و كلّما كان متعلّقاً بالولاية من قولٍ و فعلٍ و حالٍ و خلقٍ و علمٍ و شهودٍ و عيانٍ فهو حسن بحسنها، و كلّما لم يكن متعلّقاً بالولاية كان قبيحاً و لذلك فسّروا فى اخبارٍ كثيرةٍ اقتراف الحسنة بولايتهم و مودّتهم سواء جعل التّنكير للتّفخيم او للتّحقير.

[نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا] اى نزدله فى تلك الحسنة حسناً لانّ الحسنة اذا حصل منها فعليّة حسنة للنّفس و بقى الفاعل على تلك الفعليّة و لم يبطلها و لم يحرقها زادها الله تعالى لانّ الكون باقتضاء ذاته فى التّرقّى.

[إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما كسب من سيّئة قبل تلك الحسنة [شَكُورٌ] و اقتضاء شكوريّته الزّيادة فى تلك الحسنة الى عشرٍ الى ماشاءالله.

[أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا] قد مضى وجه نزول هذه الاية [فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ] حتّى تفترى على الله فاشكر نعمة عدم الختم و الايحاء اليك فيكون اظهاراً لمنّته عليه بشرح صدره و عدم ختمه، او المعنى ان يشأالله عدم اظهار فضل عترتك يختم على قبلك حتّى لايوحى اليك فضل اهل بيتك فأظهر فضل اهل بيتك و لاتبال بردّهم و قبولهم فانّ الله حافظٌ لهم و مظهرٌ لفضلهم و يكون تسلية له ﷺ عن انكار قومه.

[وَ يَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ] فلوكان قول محمّدٍ ﷺ افتراء و باطلا لمحاه الله عن الايّام و الحال انّه فى ازدياد الثّبات فى الايّام [وَ يُحِقُّ ٱلْحَقَّ] فلولم يكن قوله حقّاً لما حقّ بكلماته الّتكوينيّة الّتى هى افراد البشر.

او المعنى انّه يمحالله الباطل فلاتحزن يا محمّدﷺ على ما قالوا من قولهم: لو امات الله محمّداًﷺ لاندع الامر فى اهل بيته.

او المعنى انّه يمحالله الباطل عن القلوب من الّشكّ و الرّيب فى اهل بيتك و يحقّ الحقّ الّذى هو ولاية اهل بيتك فى القلوب فى امد الزّمان، او

المعنى انّه يمحالله الباطل عن الزّمان و يحقّ الحقّ الّذى هو علىّ عليه السلام و الائمّة عليهم السلام و ولايتهم.

[بِكَلِمَٰتِهِۦٓ] الّذين هم خلفاؤك بعدك [إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ] فيعلم ما يلج فى قلوب المنافقين من عداوتك و عداوة اهل بيتك [وَ هُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَ يَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ] قد مضى وجه نزول الاية.

اعلم انّ اكثر ماورد من ذكر التّوبة فى الكتاب كان المراد منها التّوبة الّتى تكون على ايدى خلفائه تعالى فى ضمن الميثاق و البيعة، و القابل لتلك التّوبة فى الظّاهر هو خليفة الله الّذى يكون البيعة على يده لكنّه لمّا كان مظهراً لصفاته تعالى خصوصاً حين اخذ البيعة من العباد نسب قبول التّوبة الى نفسه بطريق الحصر كما فى قوله تعالى: فلم تقتلوهم و لكنّ الله قتلهم.

[وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ]قرئ بالخطاب و بالغيبة [وَ يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ عَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ]اى يستجيبهم فى دعائهم مطلقاً، او فى دعائهم لله و لقائه، او فى دعائهم لاخوانهم بظهر الغيب كما فى الخبر و المراد بالايمان الاسلام، او الايمان الخاصّ، و على الاوّل فالمراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة و الايمان الخاصّ، او المعنى يستجيب الّذين ءامنوا الله او للنّبىّ صلى الله عليه و آله فى مودّة اقربائه صلى الله عليه و آله.

[وَ يَزِيدُهُم] على مسؤلهم [مِّن فَضْلِهِۦ وَ ٱلْكَـٰفِرُونَ] بولاية علىٍّ عليه السلام [لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ] و للاشارة الى انّ عذاب الكافرين من لواحق اعمالهم و من توابع مشيّته بالعرض غيّر الاسلوب.

[وَ لَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ] اعلم، انّ

النّفس الانسانيّة ليس اختيالها و ظلمها و عداوتها مع خلق الله و عدولها عن الحقّ الّا لانانيّتها و اعجابها بنفسها، و كلّما قلّل حاجتها و زاد غناءها زاد فى انانيّتها، و كلّما زيد فى انانيّتها زاد اعجابها بنفسها و لوازم اعجابها من تحقير العباد و العداوة مع من يظنّ انّه يريد الاستعلاء عليه و الظّلم على من يقابله و لايكون ملائماً لحاله و العدول عن الحقّ.

و اذا بسط الله الرّزق النّباتىّ من المأكول و المشروب او الرّزق الحيوانىّ من ٱلشّهوات البهيميّة و البسطات ٱلسبعيّة و الاعتبارات ٱلشيطانيّة او الرّزق الانسانىّ من الالهامات و العلوم و الحكم و المكاشفات الصّوريّة و المعنويّة على العباد عدوا على العباد و ظلموهم و حقّروهم و عدلوا عن الحقّ.

فانّ الانسان ما كان باقياً عليه شوبٌ من نفسه كانت العلوم الصّوريّة مورثة لازدياد انانيّته و كذلك المشاهدات الصّوريّة و المكاشفات المعنويّة فانّ المذاهب الباطلة اكثرها تولّدت من المشاهدات الّتى كانت للنّاقصين كما سبق منّا تفصيل ذلك.

[وَ لَـٰكِن يُنَزِّلُ] الارزاق الثّلاثة على العباد [بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ] يعنى ينزّل ما يشاء ان ينزّل بقدر استحقاق المنزّل عليه لانّه لايشاء مايشاء الّا بحسب حال من يشاء له و قوله لو بسط الله الرّزق (الى قوله) بصيرٌ لرفع توهّمٍ نشأ من قوله تعالى يستجيب الّذين ءامنوا.

فانّه يورث توهّم انّه لو كان هذا حقّاً لكان ينبغى ان لايكون من المؤمنين فقيرٌ محتاجٌ مع انّ اكثر المؤمنين محتاجون فى امر معيشتهم.

[إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ] تعليل لسابقه يعنى انّه يعلم قدر استحقاقهم و قدر ما يصلحهم و ما يفسدهم فيعطى المؤمنين قدر ما

يصلحهم، و الكافرين قدر ما يصلح العالم و النّظام الكلّىّ، و قدر ما يصلح المؤمنين فانّ من العباد من لايصلحه الاّ الفقر و منهم من لايصلحه الاّ الغنى و لو اصبح المؤمن يملك ما بين المشرق و المغرب لكان خيراً له، و لو اصبح يقطع ارباً ارباً لكان خيراً له.

[وَ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ] المطر النّافع الّذى يغيثهم من الجذب و لذلك سمّى غيثاً و الجملة فى معنى التّعليل لقوله ينزّل بقدرٍ [مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَ يَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ] بيانٌ لانزال الغيث و تسميته للمطر باسمٍ ءاخر فانّه يسمّى المطر فى العرف بالرّحمة لانّه رحمة من الله على العباد و الحيوان و النّبات، او المراد مطلق الرّحمة سواء كانت مطراً او غيره فيكون تعميماً بعد التّخصيص.

[وَ هُوَ ٱلْوَلِيُّ] الّذى يتولّى امور عباده و سائر مخلوقاته فيربّيهم احسن التّربية [ٱلْحَمِيدُ] الّذى لامحمود سواه و كان محموداً فى نفسه [وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ] فانّ فى خلق الّسماوات بهيئةٍ خاصّةٍ و حركةٍ مخصوصةٍ و كوكبٍ و مدارٍ خاصٍّ، و فى خلق الارض بسيطة قابلة لانحاء التّصرّف فيها من بناء الابنية و زرع الزّراعات و غرس الاشجار و اجراء المياه على وجهها، و قبولها تأثيرات الّسماوات و الّسماويّات، و فى خلق المواليد على وجهها كلٌّ بنحو خاصٍّ لائقٍ بنوعه و ببقائه ءأيات عديدة دالّة على علمه بالجزئىّ و الكلّىّ و احاطته و قدرته و رأفته بخلقه و غير ذلك.

[وَ هُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ] بمنزلة النّتيجة فانّ الّذى نشر هذه المواليد بعد ما لم تكن اذا شاء ان يجمعهم جمعهم و هو اسهل عليه من نشرهم [وَ مَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ] عطف فيه ايضاً رفع توهّم انّه لو كان

ينشر رحمته و كان وليّاً لعباده حميداً فى صفاته فلم يصاب العباد بالمصائب [فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُواْ] برحمته و تربيته.

[عَن كَثِيرٍ] ممّا كسبت ايديكم و هل ذلك عامّ لكلّ من يصاب او خاصّ ببعضٍ و البعض الاخر مصيبته لرفع درجته لالذنبٍ وقع منه كما فى الاخبار و يمكن التّعميم بتعميم الّذنب للّذنوب الّتى عدّوها فى الّشريعة ذنوباً و لما يعدّ فى الطّريق ذنوباً و لما يعدّ من المقرّبين ذنوباً.

فانّ خطرات القلوب ذنوب الاولياءعليهم السلام، و الالتفات الى غيرالله ذنوب الانبياءعليهم السلام، مع انّهم كانوا مأمورين بالتّوجّه الى الكثرات.

و عن الصّادق عليه السلام انّه سئل: ارأيت ما اصاب عليّاً عليه السلام و اهل بيته من بعده؟ اهو بما كسبت ايديهم؟ و هم اهل بيت طهارة معصومون؟! فقال: انّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله كان يتوب الى الله و يستغفره فى كلّ يوم و ليلة مائة مرّة من غير ذنبٍ، انّ الله يخصّ اولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنبٍ، و عن علىٍّ عليه السلام انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير ءايةٍ فى كتاب الله هذه الاية، يا علىّ ما من خدش عودٍ و لانكبة قدمٍ الّا بذنب، و ما عفاالله عنه فى الدّنيا فهو اكرم من ان يعود فيه، و ما عاقب عليه فى الدّنيا فهو اعدل من ان يثنّى على عبده.

[وَ مَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ] قانتين عن الله [وَ مَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ] قد مضى مكرّراً بيان الولىّ و النّصير.

[وَ مِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ] قرئ بحذف الياء فى الوصل و الوقف اجراءً للوصل بنيّة الوقف، و قرئ باثباتها فيهما، و قرئ بحذفها فى الوصل دون الوقف.

[فِى ٱلْبَحْرِ كَالْأَعْلَـٰمِ] العلم محرّكةً الجبل الطّويل او عامّ [إِن يَشَأْ

يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ] ثوابت [عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ] اى ظهر البحر [إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ] لكلّ مؤمنٍ كامل الايمان فانّ الايمان نصفان، نصف صبر و نصف شكر، و لاختفاء دلالة الّسفن على علمه و قدرته و حكمته و اعتنائه بخلقه و احتياجها فى الدّلالة المذكورة الى تأمّلٍ تامٍ و توجّهٍ كاملٍ الى الحقّ الاوّل بحيث يرى كلّ النّعم منه و يراه فى انعامه قال لكلّ صبّارٍ شكورٍ.

[أَوْ يُوبِقْهُنَّ] يهلكن بالاغراق و اهلاك اهلهنّ [بِمَا كَسَبُواْ وَ يَعْفُ عَن كَثِيرٍ] قرئ يعف بالجزم عطفاً على يوبقهنّ اى ان شاء يوبقهنّ بارسال الرّيح العاصف و ان شاء يعف عن كثيرٍ، و قرئ يعفو بالرّفع على الاستيناف و معنى و معنى الاستدراك و المعنى لكنّه يعفو عن كثير.

[وَ يَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا] قرئ بالجزم و بالرّفع و هو واضح، و قرئ بالنّصب بجعل الواو بمعنى مع و نصب الفعل بعده [مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ] مخلص من العذاب.

[فَمَآ أُوتِيتُم] عطف و تعقيب باعتبار الاخبار يعنى اذا علمتم ذلك فاعلموا انّ مااوتيتم [مِّن شَىْءٍ] من حيث انّكم من ابناء الدّنيا.

[فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] و لابقاء له و لاخلوص من شوب الالام و خوف الزّوال.

[وَ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ] لعدم شوبه بالالام و خوف الزّوال [وَ أَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ] متعلّق بخير و ابقى، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى ذلك للّذين ءامنوا [وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] و المراد بالايمان الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة و قبول الدّعوة الظّاهرة فيكون قوله و على ربّهم يتوكّلون اشارة الى الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة.

[وَ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَ ٱلْفَوَٰحِشَ] جمع الفاحشة الزّنا مخصوصاً، او ما يشتدّ قبحه من الّذنوب، او كلّ ما نهى الله عزّ و جلّ عنه، و على الاوّلين يكون من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به‌و.

و يجوز ان‌يكون عطفاً على الاثم و على كبائر الاثم، و على الثّالث يكون مرادفاً للاثم و عطفاً عليه تأكيداً و قد سبق فى سورة النّساء بيان الكبيرة و الصّغيرة عند قوله: ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه.

[وَ إِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ] هم مبتدء و يغفرون خبره و الجملة جوابٌ بحذف الفاء، او بجعل اذا خاليةً من معنى الّشرط، او لعدم حاجتها الى الفاء لضعف معنى الّشرطيّة فيها، او هم تأكيد للضّمير المتّصل او فاعل غضبوا راجع الى النّاس و هم معفول غضبوا بحذف الخافض اى اذا غضب النّاس عليهم يغفرون، او هم فاعل فعلٍ محذوفٍ و المذكور يفسّره.

[وَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ] فى دعوة خلفائه عليه السلام دعوةً عامّة اسلاميّة او دعوةً خاصّة ايمانيّة، او الّذين استجابوا لرّبهم المضاف و هو ربّهم فى الولاية فى دعوته الباطنة الى الولاية.

[وَ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ] بعد قبول الولاية فانّ اقامة الصّلوة لايتيسّر لاحدٍ بدون قبول الولاية [وَ أَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ] اى امرهم ذوشورى يعنى يستشيرون فى امورهم و لايستبدّون بارائهم لخروجهم من انانيّاتهم و اعتماد كلٍّ على الاخر فى طلب الخير و بيانه له.

[وَ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ] قد مضى فى اوّل البقرة بيان اقامة الصّلوة و كيفيّة الانفاق و فى سورة النّساء عند قوله: لاتقربوا الصّلوة و انتم سكارى بيان معانى الصّلوة.

[وَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ] هم تأكيد للضّمير

المنصوب، او مبتدء مثل هم يغفرون، و لمّا كان الانظلام مذموماً و معدوداً من الرّذائل ذكرهم بوصف الانتصار يعنى انّ شأنهم الانتصار.

و امّا العفو عن المسىء و ترك الانتقام مع وجود قوّة المدافعة فى المظلوم فليس انظلاماً مذموماً بل هو عفو ممدوح، و الانظلام ان لايكون فى المظلوم قوّة ثوران الغضب عندالظّلم، و لمّا كان النّفس المنتصرة لاتقنع فى الانتصار بقدر الظّلم بل تطلب الزّيادة على لجناية قال تعالى: تأديباً لعباده.

[وَ جَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا] و سمّى الثّانية سيّئةً للمشاكلة، او لانّها اساءة بالنّسبة الى الجانى يعنى لاتزيدوا فى الانتصار عن المماثلة.

[فَمَنْ عَفَا] عن المسىء بترك الانتقام بعد الاقتدار عليه، و الجملة معطوفة على جملة جزاء سيّئة سيّئة و الفاء للتّرتيب فى الاخبار يعنى اذا علمت انّ التّجاوز فى الانتصار عن المماثلة ليس جزاءً للّسيّئة بل كان ظلماً فاعلم انّ من عفى [وَ أَصْلَحَ] اساءة المسىء بالعفو.

[فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ] غاية تفخيمٍ للعفو حيث لايوكّل اجره الى غيره [إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ] جوابُ سؤالٍ مقدرٍ كأنّه قيل: ايحبّالله الظّالم فيأمر بالعفو عنه؟ـ فقال: انّه لايحبّ الظّالمين فلايرغّب فى العفو حبًّا لهم بل حبًّا للمؤمنين بتعرّضهم للثّواب الجزيل.

او تعليل لقوله ينتصرون او لقوله جزاء سيّئةٍ سيّئةٌ او لقوله فمن عفى و اصلح فأجره علىالله اى لما يستفاد منه من التّرغيب على العفو كأنّه قال: انّ الانتقام نحو ظلمٍ بالنّسبة الى القوّة العاقلة الّتى شأنها العفو.

فانّ شأنه شأن الله العفوّ الغفور و انّه لايحبّ الظّالمين فاتركوا الانتقام و اعفوا عن المسىء.

[وَ لَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ] عطف فيه رفع توهّم انّ المنتصر ظالمٌ و غير محبوب فكان له مؤاخذة دنيويّة و عقوبة اخرويّة.

[فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ] لا فى الدّنيا و لا فى الاخرة [إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ] فى الدّنيا بالمؤاخذة و فى الاخرة بالعقوبة [عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ] فى العالم الصّغير او الكبير.

[بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ] و المنتصر و ان كان ظالماً بوجهٍ على المسىء و على قوّته العاقلة لكنّه ظلم بالحقّ.

[أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ لَمَن صَبَرَ] اى لكن من صبر عن الانتقام [وَ غَفَرَ] بتطهير القلب عن الحقد على المسىء [إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ] اى الامور الّتى ينبغى ان يعزم عليها لكونها من اجلّ الخصال.

[وَ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ] استدراك اى ولكن من يضلل الله عن هاتين الخصلتين بالاقدام على الاقتصاص [فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ] سمّى عدم الوصول و الاهتداء الى تينك الخصلتين ضلالاً لانّه انحراف عن الكمال الانسانىّ الّذى هو الجادّة الى الله، او المعنى و من يضلله الله بالجناية و الظّلم على العباد بغير الحقّ.

[وَ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ] الخطاب خاصّ بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله و حينئذٍ جاز ان يكون ترى للاستقبال و جاز ان يكون للحال فانّه يرى حالهم فى الحال، او الخطاب عامّ و حينئذٍ يكون للاستقبال او للحال بمعنى ينبغى ان ترى.

[لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ وَ تَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا] اى على النّار قبل دخولهم النّار.

[خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ] و الخشوع من الذّلّ لاينفع بخلاف الخشوع من الحبّ فانّه متى وجد نفع.

[يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ] الطّرف العين او حركة جفنيها، فان كان بمعنى العين فالمعنى من طرفٍ خفيّ النّظر، و ان كان بمعنى حركة الجفنين فالمعنى ينظرون نظراً ناشئاً من حركةٍ خفيّةٍ لاجفانهم و المقصود انّهم لغاية خوفهم و وحشتهم لايقدرون على النّظر التّامّ الى النّار.

[وَ قَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ] التّأدية بالماضى لتحقّق وقوعه ان كان المراد انّهم يقولون يوم القيامة ذلك بعد ما رأوا الظّالمين فى العذاب او لكونه بالنّسبة الى محمّدٍ صلّى الله عليه و آله ماضياً، او المعنى قال الّذين ءامنوا فى حال الحيوة الدّنيا بعد ماعلموا بحال الظّالمين و سوء عاقبتهم.

[إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ] يعنى انّ الخاسرين هؤلاء الظّالمون الّذين خسروا [أَنفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ] هذا من قول المؤمنين او من الله.

[وَ مَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ] هذا ايضاً من المؤمنين او من الله [يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ] الى الخير و النّجاة [ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم] هذا بمنزلة النّتيجة و جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما نفعل حتّى لانكون ظالمين؟ـ فقال: استجيبوا لربّكم المطلق فى دعوة مظاهره و خلفائه او لرّبكم المضاف الّذى هو ربّكم فى الولاية.

[مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ] المراد باليوم الليّة و العذاب فانّه كثيراً ما يستعمل فيها، او المراد يوم الموت او يوم القيامة، و الضّمير المجرور راجع الى صاحبه او عذابهاى لامردّ لصاحبه الى الدّنيا، او لعذابه عن اهله، او المعنى لامردّ بتأخيره.

[مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَ مَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ] يعنى لاتقدرون على انكاره او ما لكم من منكرٍ ينكر ما حلّ بكم و يدفعه عنكم و ينصركم

فيه [فَإِنْ أَعْرَضُواْ] صرف الخطاب عنهم الى محمّدٍ ﷺ [فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] يعنى لاتغتمّ باعراضهم لانّا ما ارسلناك عليهم حفيظاً [إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ] و قد بلّغت.

[وَ إِنَّـآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً] نعمةً دنيويّةً او نعمةً اخرويّةً من العلوم و الالهامات و المكاشفات [فَرِحَ بِهَا] اى بالرّحمة من حيث صورتها لامن حيث انعامنا لانّ نفس الانسان مادامت حاكمة فى وجوده لاتنظر الى المنعم و انعامه فى النّعمة بل تنظر الى صورة النّعمة و نسبتها الى نفسها لانسبتها الى المنعم و الّا لم يفرح بصورة النّعمة بل بالمنعم او يغتمّ بصورة النّعمة لاحتمال استدراجه تعالى بالنّعمة.

[وَ إِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ] للنّعمة الّسابقة و لايتذكّرها و لايشكرها، و تكرار الانسان للاشارة الى انّ ذلك من مقتضى خلقته، و لايخفى وجه تخالف الفقرتين فانّ الرّحمة لمّا كانت ذاتيّةً لمشيّته تعالى أتى فى جانبها بالتّأكيدات و باداة الّتحقيق و نسب اذاقتها الى نفسه و نسب الرّحمة ايضاً الى نفسه، و أتى فى جانب المصيبة باداة الّشكّ و لم يأت بالتّأكيد و لم ينسب المصيبة الى نفسه و جعل سبب وصولها اليهم ما كسبت ايديهم.

[لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما لله فى المصائب من صنعٍ [يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ]من خيرٍ و شرٍّ و رحمةٍ و مصيبةٍ [يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ] نكّر الاناث و عرّف الّذكور للاشارة الى انّ الاناث لتنفّر الاناسيّ منهنّ كأنّهنّ منكورات عند نفوسهم، و انّ الّذكور لحبّهم لهم معهودون عندهم حاضرون فى اذهانهم.

[أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَـٰثًا] يعنى يعطى لبعضٍ الاناث فقط، و

لبعضٍ الّذكور فقط، و يجمع بينهما لبعضٍ.

[وَ يَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا] فكلّ ذلك باعطاء الله و منعه لاباسبابٍ طبيعيّةٍ كما يقوله الطّبيعيّ و الّذين ينظرون الى الاسباب الطّبيعيّة [إِنَّهُۥ عَلِيمٌ] بصلاح كلٍّ و ما يصلحه و ما يفسده فيعطى ما يصلحه و يمنع ما يفسده [قَدِيرٌ] على ذلك سواء وافقه الاسباب الطّبيعيّة ام لم توافقه.

[وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ] ما ينبغى له و ما كان فى سجّيّته [أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ] لانّ البشريّة لتحدّدها بحدودٍ كثيرةٍ سفليّةٍ لوسمعت كلام الله من دون تنزّله الى مقام البشريّة المحدودة لفنت و هلكت لانّه كالّشمس و حدود البشريّة كالفىء [إِلَّا وَحْيًا] الوحى فى اللّغة الاشارة و الكتابة و المكتوب و الرّسالة و الالهام و الكلام الخفىّ و كلّما القيته الى غيرك لكنّ المراد معه هنا معنىً اعمّ من الالهام و الكتابة اى الكتابة فى الالواح الغيبيّة و الرّسالة لكن رسالة الملك مثل جيرئيل.

[أَوْ مِن وَرَآءِي حِجَابٍ] مثل تكلّمه مع موسى عليه السلام من الّشجرة و مثل تكلّمه مع محمّدٍ صلى الله عليه و آله ليلة المعراج من وراء الّستر [أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا] اى الّا ان يرسل رسولاً بشريّاً.

[فَيُوحِيَ] ذلك الرّسول البشرىّ [بِإِذْنِهِۦ] اى يتكلّم مع سائر البشر بكلامٍ خفىّ البطون جلّى الظّهور فانّ كلام ذلك الرّسول البشرىّ لكونه نائباً عن الله تعالى شأنه و مظهراً له كلام الله، و لكلامه بمضمون ما ورد فى الاخبار الكثيرة انّ حديثهم صعبٌ مستصعبٌ و سرٌّ مستسرٌّ و مقنّع بالّسرّ بطون خفيّةٌ غاية الخفاء و ظهر جلّى غاية الجلاء، و قرئ يرسل و يوحى بالنّصب عطفاً على وحياً بجعله تميزاً او مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل، و قرءا بالرّفع عطفاً على وحياً بجعله حالاً بمعنى الفاعل.

[مَا يَشَآءُ] الرّسول او الله تعالى او ما يشاء ذلك البشر الّذى ارسل الله اليه بلسان استعداده.

[إِنَّهُۥ عَلِيٌّ] فلا يقدر على سماع كلامه بشردانٍ [حَكِيمٌ] لايدعهم من غير تكلّمٍ معهم لاقتضاء حكمته القاء الحكم و المصالح اليهم و اقتضائها جعل الوسائط فى ذلك الالقاء حتّى لايهلكوا حين الالقاء.

[وَكَذَٰلِكَ] التّكلّم بالانحاء الثّلاثة [أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ] اى ارسلنا [رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا] اى روحاً عظيماً ناشئاً من محض امرنا من غير مداخلة مادّةٍ فيه، او بعضاً من عالم امرنا و المراد به جبرئيل او روح القدس الّذى هو اعظم من جبرائيل و ميكائيل [مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ] المراد بالكتاب النّبوّة و الرّسالة و احكامهما و بالايمان الولاية و ءاثارها و القرءان صورة الثّلاثة.

[وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا] اى الكتاب او الايمان او المذكور منهما او الرّوح الموحى اليك و قد فسّر بعلىٍّ عليه السلام، فعن الباقر عليه السلام و لكن جعلناه نوراً يعنى عليّاً و علىّ عليه السلام هو النّور هدى به من هدى من خلقه.

[نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا] سئل الصّادق عليه السلام عن العلم، اهو شىءٌ يتعلّمه العالم من افواه الرّجال؟ ام فى الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ـ قال: الامر اعظم من ذلك و اوجب! اما سمعت قول الله عزّ و جلّ و كذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لاالايمان ثمّ قال: بلى، قد كان فى حالٍ لايدرى ما الكتاب و لاالايمان حتّى بعث الله عزّ و جلّ الرّوح الّتى ذكر فى الكتاب فلمّا اوحاها علم بها العلم و الفهم و هى الرّوح الّتى يعطيها الله عزّ و جلّ من شاء فاذا اعطاها عبداً علّمه الفهم.

[وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] يعنى انّك برسالتك تهدى الى

الولاية فانّ الرّسالة و قبولها هداية الى الايمان و الولاية كما قال تعالى: قل لاتمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين؛ عن الباقر عليه السلام يعنى انّك تأمر بولاية علىٍّ عليه السلام و تدعو اليها و علىٌّ عليه السلام هو الصّراط المستقيم.

[صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِی لَهُۥ مَا فِی ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ مَا فِی ٱلْأَرْضِ] و عنه عليه السلام يعنى عليّاً انّه جعله خازنه على ما فى السّموات و ما فى الارض من شىءٍ وائتمنه عليه، و لعلّه عليه السلام ارجع الضّمير المجرور الى الصّراط، او فسّر الصّراط بعلىٍّ عليه السلام.

[أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ] اى تنتهى جميع الامور اليه فى الواقع، او تنتهى بلحاظ اللّاحظ اليه بمعنى انّه اذا انظر الى جزئىٍّ من جزئيّات الوجود ولوحظ مصدره و مصدر مصدره تنتهى المصادر كلّها الى الله فيكون مصدر الكلّ.

سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ

مكّيّة كلّها، و قيل: الّا ءاٰية و اسئل من ارسلنا من رسلنا، ثمان و ثمانون ءاٰية، و قيل: تسع و ثمانون.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[حمٓ وَ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ] اى جعلنا ذلك الكتاب المبين الّذى لارطب و لايابس الّا فيه بحيث لايعتريه ريب و شكّ و لاخفاء و اجمال و تشابه.

[قُرْءَٰنًا] مجموعاً فيه جميع المطالب [عَرَبِيًّا] بلغة العرب او ذا حكمٍ و ءاٰدابٍ و احكامٍ و مواعظ و نصائح [لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون باستماعه و تدبّره عقلاء، او تدركون مافيه من المواعظ و الحكم.

[وَ إِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ] و هو الكتاب المبين الّذى هو اللّوح المحفوظ المعبّر عنه فى لسان الحكماء بالنّفس الكلّيّة، او هو القلم الاعلى فانّه بوجهٍ قلمٌ و بوجهٍ كتابٌ و هو المسمّى فى لسان الحكماء بالعقل الكلّىّ، او هو مقام المشيّة المعبّر عنها بنفس الرّحمان و الاضافة الاشراقيّة فانّها بوجهٍ اضافة الحقّ، و بوجهٍ فعله، و بوجهٍ كلمته، و بوجهٍ كتابه و هى امّ جميع الكتب.

[لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ] على الكلّ لااعلى منه [حَكِيمٌ] ذوحكم او محكم لايتطرّق الخلل و الّشكّ و الرّيب و الفساد اليه.

و عن الصّادق عليه السلام: هو امير المؤمنين عليه السلام فى امّ الكتاب يعنى الفاتحة فانّه مكتوب فيها فى قوله تعالى: اهدنا الصّراط المستقيم قال: الصّراط المستقيم هو امير المؤمنين عليه السلام و معرفته، و لامنافاة بين هذا الخبر و بين ما

ذكرنا فى تفسير الاية فانّ عليّاً عليه السلام و القرءاٰن فى هذا العالم منفكّان و الّا ففى العوالم العالية علىّ عليه السلام هو القرءاٰن و القرءاٰن هو علىّ عليه السلام، كما انّ فاتحة الكتاب فى العوالم العالية هى النّفوس الكلّيّة و العقول الكلّيّة و هى المشيّة الّتى بها تحقّق كلّ ذى حقيقة.

[أَفَنَضْرِبُ] الهمزة على التّقديم و التّأخير و المعنى جعلناه قرءاٰناً عربيّاً لتعقّلكم و استكمالكم فهل نضرب [عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا] اى اعراضاً و نصرفه الى غيركم، او المستفهم عنه مقدّر بعد الهمزة و المعنى انهملكم و لاندعوكم فنصرف عنكم القرءاٰن.

[أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير الّلام و بكسر الهمزة [وَكَمْ أَرْسَلْنَا] يعنى لاتطمعوا فى صرف الّذكر عنكم و عدم دعوتكم فانّا ما اهملنا الامم الماضية مع انّهم كانوا اشدّ منكم اسرافاً و عصياناً و ارسلنا فيهم رسلاً و لمّا تجاوزوا الحدّ فى العصيان اهلكناهم فاحذروا عن عذابنا و اهلاكنا و لاتتجاوزوا الحدّ فى العصيان.

[مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ] كما تستهزؤن انتم ان كان الخطاب للمشركين، و يجوز انيكون الخطاب مصروفاً الى محمّدٍ صلى الله عليه و آله و يكون المقصود تسليته و المعنى كما يستهزئ قومك بك.

[فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا] يجوز ان يكون الضّمير المجرور للاوّلين، و يكون من تبعيضيّةً او تفضيليّةً يعنى اهلكنا اشدّاءهم فليحذر الّذين يستهزؤن برسولنا، او اهلكنا الّذين كانوا اشدّ منهم فكيف بهم و بكم؟!

و يجوز انيكون لقوم محمّدٍ صلى الله عليه و آله و كان المقصود اهلكنا الاوّلين الّذين كانوا اشدّ من قومك فكيف بهم ان فعلوا مثل فعلهم؟! لكنّه ادّاه بهذه

الصّورة لافادة هذا المعنى مع الاختصار [وَ مَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ] يعنى مضى صفة الاوّلين و قدبلغ النّوبة الى قومك او مضى حكاية حال الاوّلين فيما انزلنا اليك سابقاً فليرجعوا اليه و ليتدبّروا فيه.

[وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ] فما لهم يقرّون بانّ الله خالق السّماوات والارض و يشركون به ما خلقوهم و نحتوهم بايديهم، أو يشركون ما خلقه بيده.

[ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا] هذه الكلمة ضمّه الله الى ماحكاه منهم سواء جعل صفة للعزيز العليم او خبراً لمحذوفٍ فانّه قد يضمّ الحاكى شيئاً من نفسه الى الحكاية، او هو ايضاً جزء الحكاية و يكون الخطاب من بعضهم لبعضٍ ءاُخر.

[وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً] تسلكونها الى مقاصدكم و لاتتحيّرون فى بيدائها [لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى حاجاتكم و مقاصدكم، او لعلّكم تهتدون الى مبدئكم و صفاته من العلم و القدرة و الرّأفة و التّدبير، او تهتدون الى امامكم الّذى هو سبيل الى المقصد الكلّىّ الّذى هو الفوز بنعيم الاخرة فانّة لم يدع مقاصدكم الدّنيويّة الدّانية الّتى لااعتناء بها بدون السّبيل الّذى يسلك اليها فكيف يدع المقصد الكلّىّ من غير سبيلٍ.

[وَ ٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ] من جهة العلو او من السّحاب [مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ] التفات الى التّكلّم تجديداً لنشاط السّامع و اشعاراً بانّ انبات النّبات بكيفيّاتٍ مخصوصةٍ و تصويراتٍ عديدةٍ عجيبةٍ و توليداتٍ غريبةٍ ليس الّا من مبدءٍ عليمٍ قديرٍ مباشرٍ له.

فكأنّه صار فى حكايةانبات النّبات حاضراً عند السّامع مشهوداً له بعد ما كان غائباً عنه [بَلْدَةً مَّيْتًا] عن النّبات.

[كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ] من الارض بعد موتكم فلم تستغربون الاعادة؟!

[وَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا] اى اصناف المخلوقات.

[وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَ ٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ] اى ظهور ما تركبون، جمع الظّهور و افراد الضّمير المضاف اليه باعتبار اللّفظ و المعنى.

[ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ] يعنى انّ غاية جميع المخلوقات تذكّركم و شكركم له على انعام ما رأيتموه نعمة لكم.

[وَ تَقُولُواْ] يعنى تذكروا بقلوبكم و تقولوا بألسنتكم فانّ السنتكم مكلّفةٌ بجريان كلمة الشّكر عليها.

[سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا] يعنى ان تنزّهوا الله من وسمة الحاجة الى المركوب و الانتقال من مكانٍ الى مكانٍ و تذكّروه بنعمة تسخير المركوب ليكون شكراً.

[وَ مَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ] اقرن للامر اطاقه و قوى، و اقرنه جعله فى الحبل [وَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ] يعنى انّ الغرض تذكّر النّعمة و شكر المنعم فى النّعمة و تذكّر النّقلة العظيمة الّتى هى النّقلة من الدّنيا الى الاخرة [وَ جَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا] اى ولداً فانّه جزء من الوالد بحسب مادّته يعنى بعد ما اقرّوا بخالقيّته للّسماوات و الارضين جعلوا له من مخلوقاته ولداً [إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ] بنعمة الحقّ و صفاته فيجرى على لسانه ما لايليق بمنعمه غفلةً عن المنعم و صفاته.

[مُّبِينٌ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ أَصْفَـٰكُم بِٱلْبَنِينَ] يعنى ينبغى التّعجّب من حالهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له من عباده جزءً و جعلوا اخسّ الاولاد له.

[وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً] اى بما ضرب الاسماع به حالكونه مثلاً و شبيهاً، او من حيث كونه صفة و حكاية لحاله.

فانّ الولد مجانسٌ للوالد و شبيهٌ له و كأنّ التّأدية بهذه العبارة للاشارة الى انّهم لايقولون انّ الله ولد حقيقةً بل شبّهوا النّسبة بينه و بين الملائكة او بين الجنّ بنسبة الوالد و الولد.

[ظَلَّ وَجْهُهُو مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ] رجل كظيم و مكظوم مكروب، او هو كاظم لغيظه غير مظهر له او ساكت [أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ] الم يتفكّروا و جعلوا من ينشّؤ و يربّى فى الزّينة ولداً له؟ او من مبتدء خبرٍ محذوفٍ، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ و المعنى اهوادنى منكم و من ينشّؤ فى الزّينة ولد له و من يبارز فى المحاربة ولد لكم؟ او المعنى اهوادنى منكم و ولده من ينشّؤ فى الزّينة؟

[وَ هُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ] لدعواه و حجّته بل فى الاغلب يتكلّم حين المخاصمة بما هو حجّة عليه، و قرئ ينشّؤ من الثّلاثىّ المجرّد مبنيّاً للفاعل، و من التّفعيل و من المفاعلة و من الافعال مبنيّاً للمفعول.

[وَ جَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا] قرئ عباد الرّحمن و عبيد الرّحمن و عند الرّحمن بالنّون يعنى انّ قولهم الملائكة بنات الله متضمّن لقبائح عديدة:

الاوّل جعله مركّباً متجزّئاً و ليس الّا وصف ادنى الممكنات.

و الثّانى نسبة التّوالد اليه و هو يستلزم الاحتياج و وجود المثل له و هو غنىّ على الاطلاق، و لو كان له مثل لكان ممكناً مركّباً.

و الثّالث نسبة امرٍ اليه اذا نسب الى انفسهم تغيّروا و اسودّت وجوههم و هو يستلزم جعله ادنى و اهون من انفسهم.

و الرّابع جعل اضعف الاولاد ولداً له، و الخامس جعل الملائکة الّذین هم مکرمون علی الله بوصف ارذل النّاس.

[أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ] فانّ الانوثة و الّذکورة لاتعلمان الّا بالمشاهدة [سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ] الّتی شهدوا بها علی الملائکة انّهم اناثٌ [وَ يُسْـَٔلُونَ] عن هذه الّشهادة یوم القیامة و هو تهدیدٌ لهم.

[وَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ] یعنی انّهم قالوا هذه الکلمة من غیر تصوّرٍ لمعناها و من غیر علمٍ بنسبتها و لذلك کانوا کاذبین و انّما ارادوا بذلك الفرار من قبح عبادة غیر الله و لم‌یعلموا انّ فاعلیّة المشیّة او سببیّتها للاشیاء لیست بحیث یسلب الاختیار عنهم و یرفع القبح عن فعلهم.

[إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ] ای من قبل القرءان او من هذا القول [فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ] یعنی لیس لهم علمٌ تحقیقیٌّ بمعنی هذا القول و لاعلمٌ تقلیدیٌ و لیس لهم سوی الخرص و الخرصُ و التّخمین فی باب العقائد مطرود عن باب الله و قد سبق فی سورة الانعام بیان لهذه الایة عند قوله تعالی: لوشاءالله ما اشرکنا و لاءاٰباؤنا(الایة).

[بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ] ای علی طریقةٍ و ملّةٍ [وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ] یعنی انّهم ما علموا تحقیقاً و لاعلموا تقلیداً ممّن یصحّ تقلیده بل قلّدوا ءاٰباءهم الّذین لایجوز لهم تقلیدهم و لذلك قال فی موضعٍ ءاٰخر: اَو لو کان ءاٰباؤهم لایعلمون شیئاً و لایهتدون.

[وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ]

تسلية له ﷺ بانّ هذا كان ديدن النّاس قديماً و جديداً و قد كان الانبياء الّسابقون عليهم السلام مبتلين بامثال هؤلاء.

و تخصيص المترفين بالّذكر لانّهم هم الّذين كانوا يعارضون الانبياء و الاولياء عليهم السلام، و امّا غيرهم فليس نظرهم الاّ اليهم.

[قَـٰلَ] النّذير لهم [أَ] تقلّدون ءاٰباءكم [وَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ] جوابُ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما قالوا؟ فقال تعالى: قالوا [إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ] و لو كان اهدى ممّا وجدنا عليه ءاٰباءنا.

[فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ] بانواع النّقم الّتى ذكرنا بعضها لك [فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ وَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: اذكر او ذكّر اذا جعلوا الله من عباده جزءً و جعلوا له بناتٍ حتّى يتنبّهوا بقبحه و اذكر اذا قالوا لوشاء الرّحمن ما عبدناهم، و اظهر قبح هذا القول لهم حتّى يتنبّهوا، و اذكر اذ ارسلنا فى كلّ قرية نذيراً فكذّبوه فأهلكناهم حتّى تتسلّى عن تكذيبهم، و اذكر اذ قالوا انّا وجدنا ءاٰباءنا على امّة و اظهر قبح هذا القول لهم.

و اذكر اذا قال ابراهيم [لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ] حتّى يكون اسوة لقومك فى التّبرّى عن التّقليد لمن لايجوز تقليده، و يكون اسوة لهم فى التّقليدان ارادوا التّقليد.

فانّه جعل التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده كلمةً باقيةً فى عقبه، و يكون اسوة لك فى عدم الاعتناء بالقوم و شدّة انكارهم، و فى اظهار دعوتك و عدم الاعتداد بردّهم و قبولهم.

[إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ] الى ما هو بُغية الانسان [وَ جَعَلَهَا]اى كلمة التّبرّى عن تقليد من لايجوز تقليده او جعل كلمة التّوحيد.

[كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ]اى ذرّيّته او امّته او من يأتى فى عقبه من ذرّيّته و ذرّيّة امّته [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من جهلهم الّذى كانوا مفطورين عليه و هؤلاء ممّن أتوا على عقبه فليأخذوا بتلك الكلمة و ليرجعوا من جهلهم و تقليدهم لمن لايجوز تقليده.

و قد فسّر تلك الكلمة الباقية فى اخبارنا بالامامة و انّها باقية فى عقب الحسينعليه السلام، و فسّر قوله تعالى لعلّهم يرجعون برجوع الائمّة الى الدّنيا [بَلْ] ليس بقاؤهم على طريقتهم الباطلة لاعتمادهم على تقليد أبـاءهم و تمسّكهم به ولكن [مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ] قريشاً.

[وَ ءَابَآءَهُمْ] بالتّمتّعات الحيوانيّة من غير منذرٍ لهم من البلايا و المصائب و من الانبياءعليهم السلام فسكنوا الى تلك التّمتّعات و اطمأنّوا بها [حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ]اى الولاية [وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ] ظاهر رسالته و صدقه فيها، او مظهر رسالته.

[وَ لَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ] المنذر عمّا اطـمأنّوا بـه ورأوه مـخالفاً لمـا تمرّنوا عليه انكروه و طلبوا ما اسندوا انكارهم اليه و [قَالُواْ هَـٰذَا] الّذى يدّعى انّه كتابٌ سماوىٌّ الهىٌّ، او هذا الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله، او هذا الّذى يظهر من خوارق العادات.

[سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ وَ قَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ] مكّة و الطّائف [عَظِيمٍ] لمّا لم يروا عظمة و شرفاً الّا ما هو بحسب الانظار الحسّيّة من الشّرافات الدّنيويّة من الحسب و النّسب و الخدم و الحشم و كثرة المال و الاولاد و لميكن لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله شىءٌ من ذلك انكروا نزول الكتاب من لله عليه و قالوا: لو كان الله ينزل كـتاباً و يـرسل رسولاً فليرسل الى رجلٍ شريفٍ عظيم القدر كالوليد بن المغيرة بـمكّة و

عروة بن مسعودٍ بالطّائف و لينزل الكتاب الى احدهما، لكنّهم لم يعلموا انّ الرّسالة منصب روحانىّ و الّشرافة الصّوريّة لاتبليغ الرّجل الى ذلك المنصب ان لم تكن تمنعه منه.

[أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ] فى الاستفهام و اضافة الرّبّ الى محمّدٍ ﷺ دونهم انكارٌ و تحقير لهم و استهزاءٌ بهم [نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] يعنى انّ معيشتهم الّتى هى من مكسوباتهم و محسوساتهم و لهم بحسب الظّاهر اختيار فى تحصيلها لاصنع لهم فيها بل نحن قسمناها بينهم فكيف يقسمون النّبوّة الّتى هى رحمة من الله غير محسوسة لهم و لاصنع و لااختيار لهم فيها.

[وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ] فى المراتب الدّنيويّة و المناصب الظّاهرة [دَرَجَـٰتٍ] فكيف نكل هذا المنصب العظيم الى ءارائهم [لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا] الّسخرىّ اسم مصدرٍ من سخر به و منه، و هكذا الّسخريّة و الّسخرىّ بكسر الّسين، و لعلّه ههنا من مادّة التّسخير و اسمُ له بمعنى التّذليل.

[وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ] من الاموال و الاولاد و الاعراض، و فى خبرٍ: الاترى يا عبدالله كيف اغنى واحداً و قبّح صورته و كيف حسّن صورة واحدٍ وافقره، و كيف شرّف واحداً وافقره، و كيف اغنى واحداً و وضعه؟! ثمّ ليس لهذا الغنىّ ان يقول: هلّا اضيف الى يسارى جمال فلانٍ، و لاللجميل ان يقول: هلاّ اضيف الى جمالى مال فلانٍ، و لاللّشريف ان يقول: هّلا اضيف الى شرفى مال فلانٍ، و لاللوضيع ان يقول: هّلا اضيف الى ضعتى شرف فلانٍ، ولكنّ الحكم لله يقسم كيف يشاء و هو حكيم فى افعاله كما هو محمود فى اعماله.

و ذلك قوله تعالى: و قالوا: لو لانزّل هذا القرءاٰن على رجلٍ من القريتين عظيمٍ، قال الله تعالى: اهم يقسمون رحمة ربّك يا محمّد نحن قسمنابينهم معيشتهم فى الحيوة الدّنيا فأحوجنا بعضهم الى بعض، احوج هذا الى مال ذلك، و احوج ذلك الى سلعة هذا و الى خدمته فترى اجلّ الملوك و اغنى الاغنياء محتاجاً الى افقر الفقراء فى ضربٍ من الضّروب امّا سلعة معه ليست معه و امّا خدمة تصلح لمالا يتهيّأ لذلك الملك ان يستغنى الّا به، و امّا باب من العلوم و الحكم هو فقير الى ان يستفيدها من ذلك الفقير و هذا الفقير محتاج الى مال ذلك الملك الغنىّ.

و ذلك الملك يحتاج الى علم هذا الفقير او رأيه او معرفته، ثمّ ليس للملك ان يقول: هّلا اجتمع الى مالى علم هذا الفقير و لاللفقيران يقول: هّلا اجتمع الى رأيى و علمى و ما اتصرّف فيه من فنون الحكم مال هذا الملك الغنىّ.

[وَ لَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً] اى لولا كراهة ذلك [لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ] بالتّوسعة فى اموالهم حتّى يجعلوا سقف بيوتهم فضّة.

[وَ مَعَارِجَ] من فضّة [عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ] الّسطوح [وَ لِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَ سُرُرًا] من فضّةٍ [عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ وَ زُخْرُفًا] زينةً من غير ذلك يعنى لولا ان يكونوا كلّهم كفّاراً لجعلنا ذلك لانّ الكافر مخذول منّا و مكروه لنا و لم نردمنه توجّهه الينا.

و لولا مراعاة حال من فى وجوده استعداد الايمان لوسّعنا عليه فى دنياه بحيث لايغتمّ ءاٰناًبشىءٍ من دنياه حتّى لايتوجّه الينا ولكن لمراعاة حال المستعدّين للايمان جعلنا فى الكفّار غنىً و فقراً كما انّ فى المؤمنين غنىً و فقراً.

و عن الصّادقعليه السلام قال الله عزّ و جلّ: لولا ان يجد عبدى المؤمن فى نفسه[١] لعصّبت الكافر بعصابةٍ من ذهبٍ.

و عن النّبىّ صلى الله عليه و آله: يامعشر المساكين طيبوا و اعطوا الله الرّضا من قلوبكم يثبّتكم الله عزّ و جلّ على فقركم فان لم تفعلوا فلاثواب لكم، و عنهعليه السلام قال: ماكان من ولد ءادمعليه السلام مؤمن الاّ فقيراً و لا كافر الاّ غنيّاً حتّى جاء ابراهيمعليه السلام فقال: ربّنا لاتجعلنا فتنةً للّذين كفروا فصيّر الله فى هؤلاء اموالاً و حاجةً، و فى هؤلاء اموالاً و حاجةً.

[وَ إِن كُلُّ ذَ ٰلِكَ] المذكور من سقف الفضّة و معارجها و ابوابها و سررها و زخرف البيوت [لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا] قرئ لمّا بالتّشديد فيكون ان نافيةً و لمّا استثنائيّةً، و قرئت بالتّخفيف فان مخفّفةٌ و اللّام فارقةٌ و ما زائدةٌ او موصولةٌ او موصوفةٌ.

[وَ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ] من متاع الحيوة الدّنيا كأنّ غيرهم لاءاخرة لهم، و بأمثال هذه الاية توسّل من قال غير المؤمنين او غير من له عقلٌ مجرّدٌ اذا مات فات و لابقاء له فى الاخرة و ليس كذلك.

لانّ التّحقيق انّ مطلق الحيوان له بقاءٌ فى الاخرة لتجرّد خياله و عدم انطباعه و هذا القدر من التّجرّة يكفى فى البقاء بعد خراب البدن.

[وَ مَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ] اعلم، انّ الولاية السّارية فى جميع الموجودات تكويناً حقيقة ذكر الله، و كذلك الولاية الجارية على الانسان و بنى الجانّ تكليفاً، و لذلك اضاف الذّكر الى الرّحمن و صاحب الولاية المتحقّق بها ايضاً ذكرٌ و لذلك كان رؤيته مذكّراً.

١ـ اى كراهة منّى.

كما عن عيسى عليه السلام فى جواب الحواريّين حين قالوا: من نجالس ياروح الله؟ـ قال: من يذكّركم الله رؤيته.

ثمّ الّذكر المأخوذ من صاحب الولاية ذكر الله ثمّ الفكر الحاصل من الّذكر المأخوذ من صاحب الولاية و ان كان الفكر اكمل فى الّذكريّة من الّذكر المأخوذ ثمّ تذكّر الله فى الخاطر ثمّ تذكّر امره و نهيه عند الفعال، ثمّ الّذكر اللّسانىّ من التّلهيل و التّسبيح و التّحميد و غيرها ثمّ كلّ ما يذكّرك الله اىّ شىءٍ كان، و المقصود انّ من يعمى عن الولاية و عن ولىّ الامر فانّ العمى عن الولاية يورث العمى عن جميع اقسام الّذكر.

[نُقَيِّضْ] نسبّب و نقدّر [لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ] يمنعه عن الانسانيّة و الّسلوك على طريقها و يجرّه الى البهيميّة و الّسبعيّة و الّشيطانيّة و يسلكه على طريقها الى النّار، و ممّا روى من الاكابر: من لم يكن له شيخٌ اى ولىّ يتوّلاه بالبيعة الخاصّة تمكّن الّشيطان من عنقه، و من تمكّن الّشيطان من عنقه لايرجى له خيرٌ، و لانجاة له من الّسعير.

و عن اميرالمؤمنين عليه السلام، من تصدّى بالاثم اعشى[1] عن ذكر الله تعالى، و من ترك الاخذ عمّ امر الله بطاعته قَيّض له شيطانٌ فهو له قرين.

[وَإِنَّهُمْ] اى الّشياطين القرناء للعاشين [لَيَصُدُّونَهُمْ] اى العاشين [عَنِ ٱلسَّبِيلِ] الّذى ينبغى ان يسلكه الانسان و هو الولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة، ولمّا كان اغلب خطابات القرءان غير خاليةٍ من الاشارة الى الولاية و قبولها وردّها فمعنى الاية انّ من يعش عن علىٍّ عليه السلام و ولايته نقيّض له شيطاناً و انّهم يعنى الّشيطان و اتباعه ليصّدون العاشين عن علىٍّ عليه السلام و ولايته.

١ـ عَشِىَ يعشَى عشاً= ساء بصره باللّيل و النّهار و اعشى عن شىء= أعرض و صدر عنه الى غيره.

[وَ يَحْسَبُونَ] اى ٱلشـيـاطين او العـاشون او المـجموع [أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ] و الحال انّهم ضالّون مصدودون عن الطّـريق [حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا] اى العاشى و قرئ جاءانا على التّثنية.

[قَالَ] العاشى للّشيطان [يَٰـلَيْتَ بَيْنِى وَ بَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ] اى المشرق و المغرب [فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ] لمّا رأى انّه صدّه عـن الولايـة و بواسطة صدوده عن الولاية هلك و دخل النّار تمنّى ان لم يكن هو قريناً له.

[وَ لَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّـلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] فاعل ينفعكم التّمنّى المستفاد من قوله: يا ليت بينى و بينك بـعد المشـرقين او اذا ظلمتم على ان يكون اذ اسماً خالصاً، او انّكم فى العذاب و لفظة اذ اسم خالص فاعل، او للتّعليل على ان تكون حرفاً اذا افادت التّعليل و انّكم للتّعليل او فاعل لن ينفعكم، و قرئ انّكم بكسر الهمزة جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل.

روى عن الباقر عليه السلام انّه نزلت هاتان الايتان هكذا حتّى اذا جاءانا يعنى فلاناً و فلاناً يقول احدهما لصاحبه حين يراه: ياليتنى بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين فقال الله لنبيّه صلى الله عليه و آله: قل لفلانٍ و فلانٍ و اتباعهما: لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم ءال محمّد حقّهم انّكم فى العذاب مشتركون فقوله لن ينفعكم بتقدير القول سواء جعل التّقدير قل يا محمّد صلى الله عليه و آله لن ينفعكم، او يقول الملائكة.

او يقول الله [أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ] يعنى اذا كان الله يمدّ العـمى و يقيّض له شيطاناً فهل انت تقدر ان تسمع الصّـمّ [أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَ مَن كَانَ فِى ضَـلَٰـلٍ مُّبِينٍ] عطف عطف المسبّب و المجمل عـلى المـفصّل [فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ] روى انّه صلى الله عليه و آله أُرى ما يلقى عترته من امّته بعده فمازال

منقبضاً و لم ينبسط ضاحكاً حتّى لقى الله تعالى، و روى جابر بن عبدالله الانصاريّ قال: انىّ لادناهم من رسول الله ﷺ فى حجّة الوداع بمنى قال لالقيّنكم ترجعون بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ، و ايم الله لئن فعلتموها لتعرفّنى فى الكتيبة الّتى تضاربكم ثمّ التفت الى خلفه فقال: او علىّ، ثلاث مرّات فرأينا انّ جبرئيل غمزه، فانزل الله على اثر ذلك فامّا نذهبّن بك فانّا منهم منتقمون بعلىّ بن ابى طالب عليه السلام.

و عن الصّادق عليه السلام فامّا نذهبنّ بك يا محمّد ﷺ من مكّة الى المدينة فانّا رادّوك اليها و منتقمون منهم بعلىّ بن ابى طالب عليه السلام.

[فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ] يعنى لاتحزن على ما قالوا فى حقّ اهل بيتك و على ما سيفعلونه بعدك و استمسك بالّذى اوحى اليك فى علىٍّ عليه السلام او فى اهل بيتك.

[إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ] هو صراط الولاية، و من كان على صراطٍ مستقيمٍ لايبال بما قيل او يقال، او فُعل او يفعل به.

و عن الباقر عليه السلام انّك على ولاية علىٍّ عليه السلام، و علىٌّ عليه السلام هو الصّراط المستقيم، او المعنى فاستمسك بالّذى القى اليك من ولاية علىّ عليه السلام انّك بهاذ الالقاء على صراطٍ مستقيمٍ.

[وَ إِنَّهُۥ] اى ما اوحى اليك او الصّراط المستقيم او علىّ عليه السلام [لَذِكْرٌ لَّكَ] او لشرف لك او لذكرك الله فانّه ذكر الله حقيقةً و سبب تذكّر الله، او ذكر الله لك و لاشرف اشرف من ان يذكّرك الله.

[وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْـَٔلُونَ] عنه فانّه النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون، و النّعيم الّذى تسألون عنه.

[وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ] المفعول الاوّل محذوفٌ و من ارسلنا مفعولٌ ثانٍ اى اسئل النّاس و اهل الخبرة والعلماء باخبار الماضين و سيرهم عن حال من ارسلنا قبلك، او من مفعول اوّل و قوله اجعلنا فى مقام المفعول الثّانى يعنى اسئل الرّسل الماضين عليهم السلام فانّهم ان كانوا غائبين عن الانظار البشريّة فهم غير غائبين عن نظرك.

و ورد فى اخبارٍ كثيرةٍ انّه صلى الله عليه وآله أُرى ليلة المعراج جميع الانبياء عليهم السلام و هم قد صلّوا خلفه فى بيت المقدّس او فى السّماء فانزل الله تعالى هذه الاية عليه.

فعن الباقر عليه السلام انّه سئل عن هذه الاية من ذا الّذى سأله محمّد صلى الله عليه وآله و كان بينه و بين عيسى عليه السلام خمس مائة سنة فتلا هذه الاية: سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من ءاٰياتنا، قال: فكان من الايات الّتى أراها الله محمّداً صلى الله عليه وآله حين اسرى به الى البيت المقدّس ان حشر الله له الاوّلين و الاخرين من النّبيّين و المرسلين عليهم السلام، ثمّ امر جبرئيل فاذّن شفعاً و اقام شفعاً ثمّ قال فى اقامته: حيّ على خير العمل، ثمّ تقدّم محمّد صلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم فانزل الله عليه و اسئل من ارسلنا (الاية) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: على ما تشهدون و ما كنتم تعبدون؟ـ فقالوا: نشهد ان لا اله الّا الله وحده لاشريك له و انّك لرسول الله صلى الله عليه وآله اخذت على ذلك مواثيقنا و عهودنا.

[وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَإِيْهِۦ] عطف فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله و حمل له على الصّبر على اذى القوم.

[فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ] استهزؤا بها مقام ان ينقادوا لها و يخافوا من الله و يصدّقوا رسوله عليه السلام بها.

[وَ مَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَـٰهُم بِالْعَذَابِ] بالقحط و الرّجز و الطّوفان و الجراد و القمّل [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم و يصدّقون رسولنا.

[وَ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ] نادوه بهذا الاسم تعظيماً له لانّ السّحر كان له قدر عظيم عندهم، او لانّ السّاحر كان اسماً لكلّ عالمٍ ماهرٍ.

و قيل: انّما قالوا ذلك استهزاءً بموسى عليه السلام فانّهم لغاية حمقهم و شدّة عنادهم ما تركوا الاستهزاء به فى حال الشّدّة و ا لابتلاء.

و قيل: انّ السّاحر من سحر بمعنى غلب فى السّحر و المعنى يا ايّها الّذى ساحرنا فغلبنا بسحره.

[ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ] يعنى ان كشفت عنّا فانّا ءامنون بك كما مضى الاية فى سورة الاعراف و قد مضى بيانها ايضاً [فَلَمَّا كَشَفْنَا] اى فدعا موسى عليه السلام فكشفنا فلمّا كشفنا [عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ] ينقضون يعنى كلّما عذّبناهم بعذابٍ قالوا ذلك و كلّما كشفنا عنهم نقضوا عهدهم.

[وَ نَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ] يعنى بعد ما كشفنا عنهم العذاب خاف فرعون على ملكه و خاف ان يقرّ بموسى بعض اهل مملكته فجمع النّاس و خطبهم و موّه عليهم باظهار حسن حاله فى الدّنيا و رثاثة حال موسى عليه السلام فيها.

[قَالَ يَـٰقَوْمِ] لاتبالوا بموسى و ما رأيتموه منه من كشف العذاب فانّى ابسط منه يداً و اكثر مالاً و اقوى تصرّفاً.

[أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ] اشارة الى بسط يده فى البلاد [وَ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ] اى انهار النّيل، و قيل: كان معظمها اربعة [تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ] اى

من تحت قصرى او من تحت امرى فانّهم كانوا معتقدين انّ النّيل يجرى بأمره.

[أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ] بهذه الاموال و الجمال و حسن الحال و حسن الصّورة و حسن السيرة و كثرة البسطة و السعة [مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ] حقيرٌ ليس له شيءٌ من هذا الّذى ترونه علىّ.

[وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ] الكلام و يقرّر المرام يعنى انّه مهين بحسب البسطة و السعة و الزّينة، و مهينٌ بحسب حاله فى نفسه فانّه لايقدر على اداء الكلام، و ام منقطعة مجرّدة عن الهمزة، او متضمّنة لها، او متّصلة و المعنى افلا تبصرون ام تبصرون.

[فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ] قيل: كانوا اذا سوّروا رجلاً سوّروه و طوّقوه بسوارٍ و طوقٍ من ذهبٍ، موّه عليهم و قاس السيادة من الله بالسيادة من الخلق و قال: اذا كان رسولاً و نائباً من الله فلم لايلقى عليه من الله اسورة من ذهبٍ حتّى يكون علامةً لسيادته.

و قرئ: القى مبنيّاً للمفعول، واسورة مرفوعاً و مبنيّاً للفاعل، و اسورةً منصوباً، و قرئ: اسورة واساورة واساوير واساور.

[أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ] اى مصطفّين فانّه يقول: انّ لله الّذى يدّعى الرّسالة منه ملائكةً كثيرةً فان كان صادقاً فى رسالته من الله الموصوف بما وصف فليكن صفوف من الملائكة معه ليكونوا جنوده، و معينين له فى اموره، و حافظين له عن الواردات و الاعداء.

[فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ] اى طلب منهم الخفّة و السرعة فى خدماته بهذه التّمويهات او فاستخفّ احلامهم.

[فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا] احزنونا،

اسف كفرح حزن اشدّ الحزن، و اسف عليه غضب، و بایّ معنی کان لایکون لائقاً بشأن الله.

و لذلك ورد عن الصّادق عليه السلام: انّ الله تبارك و تعالى لايأسف كأسفنا ولكنّه خلق اولياءه لنفسه يأسفون و يرضون و هم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه و سخطهم سخط نفسه و ذلك لانّه جعلهم الدّعاة اليه والادّلاء عليه فلذلك صاروا كذلك و ليس ان ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك.

و قال ايضاً: من اهان لى وليّاً فقد بارزنى بالمحاربة و دعانى اليها، و قال ايضاً: من يطع الرّسول فقد اطاع الله و قال ايضاً انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله و كلّ هذه و شبهه على ما ذكرت لك، و هكذا الرّضا والغضب و غير هما من الاشياء ممّا يشاكل ذلك، و لو كان يصل الى المكوّن الاسف و الضّجر و هو الّذى احدثهما و انشأهما لجاز لقائلٍ ان يقول: انّ المكوّن يبيد يوماً، لانّه اذا دخله الضّجر و الغضب دخله التّغيّر، و اذا دخله التّغيّر لم يؤمن عليه بالابادة، و لو كان ذلك كذلك لم يعرف المكوّن من المكوّن، و لاالقادر من المقدور و لاالخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً، هو الخالق للاشياء لالحاجةٍ فاذاكان لالحاجةٍ استحال الحدّ و الكيف فيه، فافهم ذلك ان شاء الله.

[ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا] متقدّمين ليتّعظوا بهم و يعتبروا بافعالهم و مالهم و ما عليهم و هو مصدر وصف به، او جمع للّسالف كالخدم للخادم و قرئ سُلُفًا بضمّ السّين و اللّام جمعاً للّسليف كالرّغيف، او للّسالف او للّسلف كالخشب.

و قرئ بضمّ السّين و فتح اللّام على انّه مخفّف سُلُف بالضّمّتين، او جمع سلفة

بمعنى ٱلسالفين.

[وَ مَثَلاً] المثل فى الاصل بمعنى ٱلشبيه لكنّه جعل بالغلبة اسماً لامرٍ غريبٍ سلفٍ يشبّه به كلّ امرٍ حادثٍ فيه غرابة يعنى جعلناهم بحيث يضرب بهم الامثال لكلّ من فعل فعلاً قبيحاً يقع بسببه فى بليّة.

[لِّلْأَٰخِرِينَ] اى الاتين على عقبهم [وَ لَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً] لعلىّ بن ابى طالبٍ عليه السلام اى لمّا اجرى ابن مريم حالكونه مشبّهاً به لعلىّ بن ابى طالب عليه السلام كما ذكر فى اخبارٍ كثيرة.

[إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ] اى من علىّ عليه السلام او من هذا ٱلتشبيه [يَصِدُّونَ] يضجّون او يعرضون او يمنعون و قرئ يصدّون بضمّ الصّاد و بكسرها.

و عن النّبىّ صلى الله عليه وآله انّه قال: الصّدود فى العربيّة الضّحك هذا ما وصل الينا فى اخبارٍ كثيرةٍ نشير الى شطرٍ منها.

و قيل: معناه و لمّا ضرب ابن مريم مثلاً و شبيهاً بالالهة فى العذاب فانّه لمّا نزل انّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم، قال المشركون: قدرضينا بان تكون ءالٰهتنا حيث يكون عيسى عليه السلام و معنى اذا قومك منه يصدّون يضجّون نحو ضجيج المجادلين حيث خاصموك فى تمثيلهم لعيسى عليه السلام بالهتهم.

و قيل: لمّا ضرب الله المسيح مثلاً بأدم عليه السلام فى قوله: انّ مثل عيسى عندالله كمثل ءادم خلقه من ترابٍ خاصم بعض قريش النّبىّ صلى الله عليه وآله فنزلت، و قيل: لمّا مدح النّبىّ صلى الله عليه وآله المسيح عليه السلام قالوا: انّ محمّداً صلى الله عليه وآله يريد ان نعبده كما عبدت النّصارى عيسى عليه السلام.

و روى نبينا رسول‌الله صلى الله عليه وآله ذات يومٍ جالس اذ اقبل امير المؤمنين عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم عليه السلام، لولا ان تقول

فيك طوائف من امّتى ما قالت النّصارى فى عيسى بن مريمعليه‌السلام لقلت فيك قولاً لاتمرّ بملاءٍ من النّاس الّا اخذوا التّراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة، قال: فغضب الاعرابيّان و المغيرة بن شعبة وعدّة من قريش معهم فقالوا: مارضى ان يضرب لابن عمّه مثلاً الّا عيسى بن مريم...! فأنزل الله على نبيّه و لمّا ضرب ابن مريم مثلاً (الى قوله) لجعلنا منكم يعنى من بنى هاشم ملائكة فى الارض يخلفون، و بهذا المضمون باختلافٍ يسيرٍ فى اللّفظ اخبارٌ كثيرة.

[وَ قَالُوٓاْ ءَأَ ٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ] اى عيسى يعنى انّ عيسىعليه‌السلام خير من ءاٰلهتنا فاذا كان هو فى النّار فرضينا ان يكون ءاٰلهتنا فى النّار، او هو كناية عن محمّدٍصلى‌الله‌عليه‌وآله فانّهم قالوا: يريد ان نعبده كما عبد النّصارى المسيح، و ءاٰلهتنا خيرٌ منه و هو ينهانا من عبادتها، او المعنى ءءاٰلهتنا خيرٌ ام المسيح و كان مرادهم الزام محمّدٍصلى‌الله‌عليه‌وآله فانّه لمّا مدح المسيح ارادوا ان يقولوا: ان كان عبادة غير الله جائزاً ظنّاً منهم انّه صلّى الله عليه و ءاٰله فى مدحه لعيسى يجوّز عبادة النّصارى له فليجز عبادة ءاٰلهتنا، او المراد ءاٰلهتنا خيرٌ ام علىّعليه‌السلام ؟! و هو يمثّل عليّاً بعيسىعليه‌السلام

[مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَاۢ] اى لاجل المجادلة معك [بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ] كثير المخاصمة و لذلك يخاصمونك.

[إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ] اى ان علىّعليه‌السلام او محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله او عيسىعليه‌السلام ولكن فى اخبارنا ان علىّعليه‌السلام الّا عبدٌ [أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنَـٰهُ مَثَلاً] متمثّلاً و متصوّراً [لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ] بصورة عيسى بن مريم، او جعلناه شبيهاً بعيسىعليه‌السلام لانتفاع بنى‌اسرائيل الّذين هم اولاد الانبياءعليهم‌السلام بحسب الجسم او الرّوح او جعلناه حجّة لبنى اسرائيل.

و عن الصّادق عليه السلام فى دعاء يوم الغدير: فقد اجبنا داعيك النّذير المنذر محمّداً صلى الله عليه وآله عبدك و رسولك الى علىّ بن ابى طالب عليه السلام الّذى انعمت عليه و جعلته مثلاً لبنى‌اسرائيل انّه امير المؤمنين عليه السلام و مولاهم و وليّهم الى يوم‌القيامة يوم‌الدّين فانّك قلت: ان هو الّا عبدٌ انعمنا و جعلناه مثلاً لبنى‌اسرائيل.

[وَ لَوْ نَشَآءُ] يعنى انّهم يضجّون بان شبّهت عليّاً بعيسى عليه السلام فلونشاء [لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓـئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ] يعنى لونشاء لجعلنا كم اعزّ من ان تشبّهوا بعيسى فجعلنا بعضكم ملائكة يخلفون لله فى الارض، او يخلفونكم فى الارض، او لولّدنا منكم ملائكة، او لجعلنا بدلا منكم ملائكة، او لجعلنا ظاهرين و خارجين من وجودكم الى خارج وجودكم ملائكة كما كان يظهر من محمّد صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام بحيث كان قديراه من كان قريناً له.

[وَ إِنَّهُۥ لَعِلْمٌ] اى انّ عليّاً عليه السلام لعلم و امارة علم [لِّلسَّاعَةِ] و قرئ عَلَم بالتّحريك اى امارة فانّ عليّاً عليه السلام بولايته من امارات الّساعة او من اسباب العلم بالّساعة لانّ من توّلاه بالبيعة الخاصّة الايمانيّة و دخل الايمان فى قلبه ايقن بالّساعة بشهود اماراته من وجوده.

او انّ عيسى عليه السلام من امارات الّساعة فانّ نزوله من علامات الّساعة، و قيل: انّ القرءاٰن من اسباب العلم بالّساعة او محمّد صلى الله عليه وآله من امارات الّساعة فانّه بعث هو و الّساعة كالّسبّابة و الوسطى، او جعل الملائكة منكم من اسباب علم الّساعة.

[فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَ ٱتَّبِعُونِ]امّا من كلام الله او من كلام محمّد صلى الله عليه وآله بتقدير القول و التّقدير قل لهم: اتّبعون فيما اقول لكم من ولاية علىٍّ عليه السلام

[هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى هـذا المذكور صراط مستقيم، وفسّر الصّراط ههنا بعلىٍّ عليه السلام.

[وَ لَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ] ظاهر العداوة او مظهرٌ لعداوته لانّه يصدّكم عمّن امر الله تعالى و رسوله مـراراً بـولايته و اطاعته بحيث لم يخف على احد امره صلى الله عليه وآله باطاعته عليه السلام

[وَ لَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَ أَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ] ذكر حكاية عيسى عليه السلام و قوله لقومه و بيان حال قومه و قالهم له تسلية للرّسول صلى الله عليه وآله و لامير المؤمنين عليه السلام و تهديد لقومهما.

[فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ]الحزب بالسكر الطّائفة و جـماعة النّـاس، و جمعه الاحزاب [مِنۢ بَيْنِهِمْ] اى فاختلف جماعات من بينهم و عرّفه باللّام للاشارة الى انّ الجماعات المختلفة كأنّهم كانوا معهودين.

[فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَـلَمُواْ] منهم [مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ هَلْ يَنظُرُونَ] ما ينتظرون لظهور اتيان السّاعة و عدم جواز انكارها جعلهم مثل من انتظر امراً [إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم] بدل من السّاعة بدل الاشـتمال [بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ] بمجيئه حتّى يتهيّؤا لها، و قد مضى مكرّراً انّ السّاعة قد فسّر بساعة الموت و بالقيامة و بظهور القائم عليه السلام

[ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَـئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ] الجملة مستأنفة جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ فى بيان حال اليوم و المراد بالخلّة ههنا هى الخلّة فى الدّنـيا لاالخلّة فى الله و للاخرة بقرينة الاستثناء و سبب صيرورة الخلّة الدّنيويّة عداوة اخرويّة انّ الخلّة الدّنيويّة صارفه للانسان عن بـغيته الاخـرويّة و

شاغلة له عن الاشغال الالهيّة فتصير سبباً للحسرة و النّدامة، و يظهر انّها كانت عداوة فالخليل الدّنيوىّ يعادى خليله لذلك.

[إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ] فى افعالهم و احوالهم و اخلاقهم عن الجهة الدّنيويّة فخلّتهم لاتكون الّا لجهاتٍ اخرويّةٍ و يوم القيامة يظهر اثر تلك الخلّة فيتيقّن و يشاهد انّ الخلّة كانت خلّة لاعداوة.

و قرأ الصّادقعليه السلام هذه الاية فقال: و الله ما اراد بهذا غيركم، و عنهعليه السلام: و اطلب مواخاة الاتقياء و لو فى ظلمات الارض و ان افنيت عمرك فى طلبهم فانّ الله عزّ و جلّ لم يخلق افضل منهم على وجه الارض من بعد النّبيّين، و ما انعم الله تعالى على عبدٍ بمثل ما انعم به من التّوفيق لصحبتهم قال الله تعالى: الا خلّاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ الّا المتّقين، و اظنّ انّ من طلب فى زماننا هذا صديقاً بلا عيبٍ بقى بلاصديقٍ، و لمّا ذكر حال ذلك اليوم و شدّته بالنّسبة الى المخالفين و المنافقين نادى عباده المخصوصين تلطّفاً بهم و تسكيناً لخوفهم منه فقال [يَـٰعِبَادِ] الّذين ءامنوا بالولاية فانّه لايصير الانسان عبداً لله تكليفاً الّا بعد قبول الولاية و لذلك بيّنهم بقوله الّذين امنوا باياتنا (الى ءاخر الاية).

[لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ] فانّ شدّته لمن كان معرضاً عن صاحب ذلك اليوم و هو علىّعليه السلام.

[وَ لَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ] و قد مضى فى اوّل البقرة و فى غيرها بيانٌ لاختلاف الفقرتين من هذه العبارة.

[ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا] صفة بيانيّة او خبر لمحذوف اى انتم الّذين ءامنوا، او مبتدء خبره ادخلوا الجنّة بتقدير القول، او خبره يطاف عليهم و المراد بالايمان بالايات الايمان بصاحبى الولاية من حيث ولايتهم

من الانبياء و الاولياء عليهم السلام لامن حيث رسالتهم او خلافتهم للرّسالة.

[وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ] اى منقادين او مسلمين بالبيعة العامّة النّبويّة و المقصود من الاتيان بالاسلام مع الايمان الاشعار بانّ كلّاً منهما غير صاحبه فمن سميّ بالمسلم بمحض البيعة العامّة فلايسميّ بالمؤمن بمحض ذلك و ليطلب حقيقة الايمان و ما به يصدق عليه المؤمن.

[ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ] الموافقات لكم سواء كنّ مؤمنات ٍ او لم تكنّ فانّ كرامة المؤمن تقتضى دخول ءابائه و ازواجه و ذرّيّاته الجنّة بسببه.

[تُحْبَرُونَ] الحبر بالفتح الّسرور والنّعمة، و الحبير كامير البُرد الموشّى و الثّوب الجديد، و الحبرة الّسماع فى الجنّة، و كلّ نعمة ٍ حسنة ٍ، و المبالغة فيما وصف بجميلٍ و يجوز ان يكون من كلّ من تلك الموادّ.

[يُطَافُ عَلَيْهِم] التفات فيه تجديد نشاط [بِصِحَافٍ] جمع الّصحفة بمعنى القصعة [مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ] جمع الكوب بالضّمّ كوزلاعروة له، او لاخرطوم له.

[وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ] فانّ النّعيم الزّائل مستعقب لالم زواله و مشوبٌ لذّته بالم خوف زواله و زحمة حفظه من الزّوال.

[وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ] قد مضى الاية فى سورة الاعراف مع بيان كيفيّة الايراث [لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ] عدّ اللّذايذ الاخرويّة بصورة ما يلتذّ به المدارك الحيوانيّة لكون اغلب النّاس غير متجاوزٍ عن مرتبة الحيوان و الّا فالملتذّ بلذّة الحضور لايلتفت الى المأكول و المشروب و سائر ملاذّ الحيوان، و اذا عممت الأكل و الّشرب و سائر مقتضيات مدارك الحيوان عممت ملاذّ الملتذّ بلذّة الحضور ايضاً.

[إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ] كأنّه قيل: هذا للمطيعين فما للمجرمين؟ـ فقال: انّ المجرمين [فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ] و قد فسّروا باعداء ءال محمّد ﷺ [لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ] لايخفّف عنهم.

[وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ] متحيّرون ساكتون عمّا فى انفسهم لغاية خوفهم و حيرتهم [وَ مَا ظَـٰلَمْنَـٰهُمْ وَ لَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ] قد مضى فى سورة هودٍ هذه الاية و انّه يظنّ انّ الاليق بسياق العبارة ان يقال: و ما نحن ظلمناهم ولكنّهم ظلموا انفسهم و مضى هناك وجه كونه اليق و الجواب عنه.

[وَ نَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ] سألوا المالك ان يسأل الله موتهم لغيبتهم عن الله و عدم وصولهم اليه حتّى يسألوا بأنفسهم خلاصهم بالموت عن العذاب.

[قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ] فى العذاب لاخلاص لكم من العذاب [لَقَدْ جِئْنَـٰكُم] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ من المالك او من الله فى مقام التّعليل [بِالْحَقِّ] المخلوق به و هو المشيّة الّتى هى الولاية المطلقة الّتى هى علىّ عليه السلام بعلويّته.

و القمّىّ: هو قول الله عزّ و جلّ: و قال يعنى بولاية امير المؤمنين عليه السلام [وَ لَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ] و قال القمّىّ: يعنى لولاية امير المؤمنين عليه السلام.

[أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا] بعد حكاية مخاطبات المنافقين فى يوم القيامة خاطب نبيّه ﷺ و قال: بل أبرهم هؤلاء المنافقون من امّتك امراً فى تكذيب الحقّ فلاتحزن على تعاهدهم فى مكّة و غيرها ان لايدعوا هذا الامر فى علىّ عليه السلام.

[فَإِنَّا مُبْرِمُونَ] امره او مبرمون مجازاتهم [أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ] احاديثهم الّتى يسرّونها عن غيرهم.

[وَ نَجْوَىٰـهُم بَلَىٰ] نسمعها [وَ رُسُلُنَا] اى الملائكة الموكّلة عليهم.

[لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ] للّذين يجعلون لله البنات او للّذين يقولون: المسيح ابن الله او عزير ابن الله، او يقولون: نحن ابناء الله [إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ] يعنى ان كان له ولد فانا اولى باظهاره و معرفته لانّى اسبق العابدين لله بحسب المرتبة، و الاسبق اولى بمعرفة اولاد المعبود و ذوى نسبه من غير الاسبق، او انا اوّل العابدين لذلك الولد يعنى ينبغى ان اكون اوّل العابدين له لتقدّمى عليكم فى عبادة الله و ينبغى ان يكون المقدّم فى عبادة الله مقدّماً فى عبادة اولاده.

او المعنى ان كان له ولد اَفاَنَا اوّل العابدين؟ على الاستفهام الانكارىّ يعنى ان كان له ولد كنت اوّل الجاحدين له لااوّل العابدين، او استعمل العابدين من عبدت عن الامر بمعنى انفت منه فالمعنى انا اوّل الانفين ان يكون له ولدٌ.

و عن امير المؤمنين عليه السلام اى الجاحدين قال: و التّأويل فى هذا القول باطنه مضادّ لظاهره و قد ذكرت وجه صحّته.

[سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ] الّذى هو جملة ما سوى الله [عَمَّا يَصِفُونَ] تنزيهٌ له عن الولد بما فيه برهانه فانّ ربوبيّة العرش الّذى هو جملة المخلوقات تستلزم ربوبيّة كلّ جزءٍ فرض من اجزاء العرش و ان كان له ولدٌ كان مثله و ثانياً له لامربوباً له.

[فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ] فى باطلهم [وَ يَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ وَ هُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ] فى

الّسماء الهٌ صلة من غير عائدٍ فالعائد محذوفٌ و هو امّا صدر الصّلة اى هو فى الّسماء الهاى معبود و مستحقّ للعبادة، او سلطان و مدبّر لامور الّسماء، او سائر اجزاء الصّلة اى هو الّذى فى الّسماء اله منه او بصنعه او من صنعه.

و قد ورد عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال: و قوله هو الّذى فى الّسماء اله و فى الارض اله و قوله و هو معكم اينما كنتم و قوله و ما يكون من نجوى ثلاثةٍ الّا هو رابعهم فانّما اراد بذلك استيلاء امنائه بالقدرة الّتى ركّبها فيهم على جميع خلقه و انّ فعلهم فعله، و هو يؤيّد الوجه الثّانى و المعنى الثّانى للاية.

[وَ هُوَ ٱلْحَكِيمُ]الّذى اتقن صنعه بحيث انّه ظهر بصورة امنائه و لميعلم به احدٌ بل انكروه و انكروا امناءه [ٱلْعَلِيمُ] الّذى يعلم كيفيّة اخفاء الهته بحيث لايشعرون بها بل ينكرونها.

[وَ تَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] فيكف لايكون الهاً فيهما او لايكون منه الهٌ فيهما [وَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ] الّتى هى بخرابهما لاعند غيره و لذلك تراهم غافلين عن الّساعة لاهين عنها شاغلين بما لاينفعهم فيها و ما لهم يسألونك عن الّساعة و ليس علمها عندك؟! و قد مضى فى سورة الاعراف و فى غيرها وجه انحصار علم الّساعة به تعالى و انّ من يعلم من الخلفاء ذلك فهم فى ذلك الهيّون لابشريّون.

[وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] يعنى انّكم تكونون فى الحال فى الرّجوع اليه على سبيل الاستمرار و ان كنتم غافلين عن ذلك الرّجوع فاحذروا من مخالفته.

[وَ لَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ] من الاصنام و الكواكب و من الجنّ و الّشياطين او من ائمّة الضّلالة [مِن دُونِهِ] اى من دون اذن الله، او حالكونهم غير الله، او من دون علىٍّ عليه السلام فانّ الكلّ لايملكون [ٱلشَّفَـٰعَةَ] فكيف

بمالکیّته شیءٌ من السّماوات و الارض.

[إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ] استثناءٌ متّصل ان ارید بالّذین یدعون مطلق المعبودات من المسیح و العزیز و الملائکة و الاصنام و الکواکب و الائمّة الباطلة، و ان ارید الاصنام فلاستثناء منقطعٌ، هذا اذا کان المستثنی منه فاعل یدعون و کان المراد بالّذین یدعون الّذین یدعون الخلق بلسانهم او بحالهم و خلقتهم الی انفسهم، و ان کان المراد بالّذین یدعون التّابعین الّذین یعبدون الاصنام و غیرها فلاستثناء من المفعول المحذوف و مفرّغ، و قیل: ان النّضر بن الحارث و نفراً من قریش قالوا: ان کان ما یقوله محمّد ﷺ حقّاً فنحن نتولّی الملائکة و هم احقّ بالّشفاعة لنامنه، فنزلت، و المعنی الّا لمن شهد بالحقّ ای الولایة فیکون الاستثناء مفرّغاً.

[وَ هُمْ]ای الّذین یدعون [یَعْلَمُونَ] انّهم لایملکون الّشفاعة، او الّذین یشهدون بالحقّ یعلمون الحقّ لا ان یکون شهادتهم مخالفة لما فی قلوبهم.

[وَ لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ ٱللَّهُ] لاعترافهم بانّ ءالهتهم ما خلقوا شیئاً من ذلك.

[فَأَنَّىٰ یُؤْفَكُونَ] مع هذا الاقرار [وَ قِیلِهِۦ] ای قول الرّسول، و قرئ قال الرّسول.

و قرئ قیله بالجرّ عطفاً علی السّاعة، و بالنّصب عطفاً علی سرّهم، او علی محلّ السّاعة، او بتقدیر فعلٍ من لفظهای قال الرّسول ﷺ قیله، و بالرّفع مبتدءٌ خبره.

[یَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا یُؤْمِنُونَ] او الخبر محذوف ای قیله یا ربّ مسموع لنا [فَاصْفَحْ عَنْهُمْ] ای اعرض او طهّر القلب عنهم.

[وَ قُلْ سَلَـٰمٌ] مداراةً او متارکةً لاتحیّةً [فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ] تهدیدٌ لهم بسوء العاقبة و سوء المجازاة.

سُورَةُ الدّخَان

مكّيّة كلّها، و هى تسع و خمسون ءاٰيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[حٓم وَ الْكِتٰابِ و الْمبين] الظّاهر اوالمظهر فضل من نزّل عليه، او صدقه، او ظاهر المعنى، او ظاهر الآثار.

[اِنّا اَنْزَلْناٰهُ] من مقامه العالى الّذى هو مقام المشيّة، او مقام الاقلام العالية، او مقام اللّوح المحفوظ.

[فِى لَيْلَةٍ مُبٰارَكَةٍ] هى ليلة القدر و قد مرّ فى سورة البقرة كيفيّة نزول القرءاٰن فى ليلة القدر و نزوله فى مدّة ثلاث و عشرين سنة عند قوله: شهر رمضان الّذى انزل فيه القرءاٰن

[اِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ فِيهٰا يُفْرُقُ كُلُّ اُمْرٍ حَكِيم].

اعلم، انّ مراتب العالم بوجهٍ غيرمتناهيةٍ، و بوجهٍ سبعون الفاً،بوجه سبع، و بوجهٍ ستٌّ، و كلّ مرتبة دانية بالنّسبة الى المرتبة العالية تسمّى ليلاً لاختلاطها بظلمة الامكان و ظلمة الكثرة و الفرق اكثر من المرتبة العالية.

كما انّ المرتبة العالية بالنّسبة الى المرتبة الدّانية تسمّى يوماً، و لذلك ترى التّعبير عن المراتب فى الآيات و الاخبار فى النّزول بالليّالى و فى الصّعود بالايّام لاعتبار المنزل اليه بالنّسبة الى المنزل منه الّذى هو المرتبة العالية و العليا و اعتبار المصعود اليه بالنّسبة الى المصعود منه الّذى هو المرتبة الدّانية و الدّنيا.

و انّ عالم المثال من العالم الكبير مثل الخيال من العالم الصّغير فكما انّ الانسان كلّما اراد ان يفعله يتصوّره اوّلاً بنحوٍ كلّىٍّ فى مقام العقل ثمّ ينزّله عن مقام

العقل الى مقام الخيال فيقدّر قدره و بتصوّر خصوصيّاته و مشخّصاته.

ثمّ ينزّله بتوسّط القوى المحرّكة و تحريك الاعضاء الى الخارج كذلك كان فعل الله و حال الخيال الكلّىّ فانّ الله اذا اراد ان يفعل فعلاً ينزّله من عرش المشيّة الى العقول الكلّيّة و النّفوس الكلّيّة اللّتين يعبّر عنهما بالاقلام و الالواح الكلّيّة ثمّ منهما الى عالم المثال و ما لم‌يصل الامر الى عالم المثال كان بسيطاً مجملاً غير ممتازٍ بحسب الوجود العلمىّ بعضه من بعضٍ و كان موجوداً بوجودٍ واحدٍ بسيطٍ.

و فى عالم المثال يصير متفرّقاً ممتازاً بعضه من بعضٍ كما يكون الامر فى خيال الانسان كذلك.

فانّ المريد للدّار يتصوّر اوّلاً داراً كلّيّاً فاذا تنزّلت الى مقام الخيال يتصوّرها بصورة جزئيّة مربّعة متساوية الاضلاع او مربّعة طولانيّة او غير ذلك مشتملةٍ على بيوتٍ ممتازةٍ بعضها عن بعضٍ، و مشتملةٍ على مشخّصاتها من مكانها و زمانها و غير ذلك من مشخّصاتها.

و قد ينفسخ عزيمته لتلك الدّار الموصوفة بالمشخّصات فيمحوها عن‌خياله و يتصوّر غيرها، و قد يتردّد فى تعمير هذه الدّار و دارٍ اُخرى بنحو ءاُخر، كما انّ البداء و التّردّد و المحو و الاثبات المنسوب الى الله يكون من هذا القبيل و فى هذا العالم كما مضى الاشارة اليه فى سورة المؤمن.

فالامر المحكم الّذى لايتطرّق البطلان و المحو و الاثبات و النّسخ و التّشابه اليه يتنزّل من عالم الامر الّذى لايكون فيه وجود ممتاز عن وجودٍ و لايكون فيه نقص و شرّ و بطلان و محو الى عالم المثال الّذى يفرق فيه كلّ امر من ءاُخر و يتطرّق المحو و الاثبات و البطلان اليه.

و يتطرّق التّشابه الّذى هو عدم ثبات المعنى و تطرّق النّسخ و

المحو اليه و هو ليلة القدر الّتى ليست لملك بنى اميّة.

و كلّما يوجد فى هذا العالم لابدّ و ان ينزّل من عالم العقول و النّفوس الى ذلك العالم و يقدّر قدره فيه ثمّ يظهر فى هذا العالم.

كما انّ كلّما يظهر على الاعضاء لابدّ و ان ينزّل من العقل الى الخيال فيقدّر قدره، ثمّ يظهر على الاعضاء و لمّا كانت النّفوس كلّيّة كانت او جزئيّة متّحدة مع فاطمة عليها السلام فى مقامها النّازل و مظهراً لها(س) جاز تفسير ليلة القدر بها.

كما عن الكاظم عليه السلام حين سأله نصرانىٌّ عن تفسير هذه الآية فى الباطن، فقال: امّآحم فهو محمّد صلى الله عليه و آله و هو فى كتاب هودٍ الّذى انزل اليه و هو منقوص الحروف.

و امّا الكتاب المبين فهو اميرالمؤمنين علىٌّ عليه السلام و امّا اللّيلة ففاطمةعليها السلام، و امّا قوله فيها يفرق كلّ امر حكيم يقول يخرج منها خيرٌ كثيرٌ فرجل حكيم، و رجل حكيم، و رجل حكيم (الى ءاٰخر الحديث).

و عن الباقرعليه السلام و الصّادق٧ و الكاظم عليه السلام اى انزلنا القرءاٰن و اللّيلة المباركة هى ليلة القدر انزل الله سبحانه القرءاٰن فيها الى البيت المعمور جملةً واحدةًثمّ نزل من البيت المعمور على رسول الله عليه السلام فى طول عشرين سنةً.

و عن الباقرعليه السلام قال: قال الله عزّ و جلّ فى ليلة القدر فيها يفرق كلّ امر حكيم قال ينزلها فيها كلّ امرٍ حكيمٍ و المحكم ليس بشيئتين انّما هو شىءٌ واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله و من حكم بامرٍ فيه اختلاف فرأى انّه مصيبٌ فقد حكم بحكم الطّاغوت، انّه لينزل فى ليلة القدر الى ولىّ الامر تفسير الامور سنة سنة يؤمر فيها فى امر نفسه بكذا و

كذا، و فى امر النّاس بكذا و كذا.

و انّه ليحدث لولىّ الامر سوى ذلك كلّ يوم علم الله الخاصّ و المكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل فى تلك اللّيلة من الامر ثمّ قرأ: و لو انّ ما فى الارض من شجرةٍ اقلام (الآية).

و الغرض من نقل هذا الخبر بيان قوله عليه السلام فمن حكم بما ليس فيه اختلاف (الى قوله) فقد حكم بحكم الطّاغوت؛ لانّه يظنّ فى بادى الامر انّ فى حكم الائمّة ايضاً اختلافاً، لانّه ما من مسألةٍ الّا و فيها اخبار متخالفةٌ او متضادّةٌ او متناقضةٌ صادرةٌ عنهم.

و قد ذكر صاحب التّهذيب رحمه الله فى اوّل التّهذيب: «ذاكرنى بعض الاصدقاء ايّده الله ممّن اوجب حقّه باحاديث اصحابنا ايّدهم الله و رحم السّلف منهم و ما وقع فيها من الاختلاف و التّباين و المنافاة و التّضادّ حتّى لايكاد يتّفق خبرٌ الّا و بازائه ما يضادّه و لايسلم حديثٌ الّا و فى مقابلته ما ينا فيه حتّى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطّعون على مذهبنا.

و تطرّقوا بذلك الى ابطال معتقدنا، و ذكروا انّه لم يزل شيوخكم السّلف و الخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الّذى يدينون الله به و يشنّعون عليهم بافتراق كلمتهم فى الفروع و يذكرون انّ هذا ممّا لايجوز ان يتعبّد به و الحكيم و لا ان يبيح العمل به العليم به العليم و قد وجدناكم اشدّ اختلافاً من مخالفيكم و اكثر تبايناً من مباينيكم.

و وجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليلٌ على فساد الاصل حتّى حصل على جماعةٍ ممّن ليس لهم قوّة فى العلم و لابصيرة بوجودة النّظر و معانى الالفاظ الّشبهة، و كثير منهم رجع عن اعتقاد الحقّ لما اشتبه عليه الوجه فى ذلك و عجز عن حلّ الّشبهة فيه، سمعت شيخنا

اباعبدالله ايّده الله يذكر انّ اباالحسن الهادونىّ العلوىّ كان يعتقد الحقّ و يدين بالامامة فرجع عنها لمّا التبس عليه الامر فى اختلاف الاحاديث و ترك المذهب و دان بغيره لما لم يتبيّن له وجوه المعانى فيها، و هذا يدلّ على انّه دخل فيه على غير بصيرةٍ و اعتقد المذهب من جهة التّقليد.

و تحقيق ذلك انّ مراتب الرّجال متفاوتة فى الدّين فانّ للايمان عشر درجات و لكلّ درجة عشرة اجزاء، فمنهم من يكون على جزءٍ من اجزاء الدّرجة الاولى، و منهم من يكون على جزئين و منهم من يكون على الدّرجة الثّانية بأجزائها و هكذا و لوذهب تحمل صاحب الدّرجة الاولى على الدّرجة الثّانية اهلكته كما اشير اليه فى الاخبار، و صاحب كلّ درجة له حكمٌ غير حكم صاحبه كما حقّقنا ذلك فى سورة البقرة عند تحقيق النّسخ فى قوله تعالى: ما ننسخ من ءايةٍ (الآية).

فمن لم يكن له بصيرة بمراتب الرّجال و باختلاف احوالهم لايحكم بحكمٍ الّا و يتطرّق اليه الاختلاف بحسب اعتقاده، فانّه كما يظنّ انّ هذا حكم هذا الرّجل يجوّز ان يكون حكمه غير هذا.

و هذا معنى قوله عليه السلام من حكم بامرٍ فيه اختلاف يعنى بحسب اعتقاده فرأى انّه مصيبٌ حكم بحكم الطّاغوت لانّ حكم هذا الحاكم ليس الّا من رأيه المنسوب الى انانيّته لامن حكم الله، و من كان بصيراً بمراتب الرّجال و بصيراً بالاحكام و بكيفيّة تعلّقها بالرّجال بحسب مراتب ايمانهم لايحكم الّا عن اراءة الله كيفيّة تعلّق الاحكام بالرّجال و لايحكم عن قياسٍ و رأيٍ و لايكون فى حكمه هذا اختلاف بمعنى انّه لايجوّز ان يكون حكمٌ مخالفٌ لهذا الحكم يخلفه لانّه حكم عن رؤيةٍ لاعن رأيٍ و قياسٍ.

و لمّا كان مراتب الرّجال و درجاتها فى الايمان غير متناهية

فالاحكام ايضاً تكون غير متناهيةٍ، و ربّما يكون لشخص واحد بحسب توارد احوالٍ مختلفة عليه احكام متخالفة متواردة عليه، و وجه اختلاف الاخبار فى الاحكام ليس محض التّقيّة و لامحض اختلاط الا كاذيب و الاغلاط بها بل كان عمدة وجه اختلاف الاخبار اختلاف احوال الرّجال، و لولا اختلاف الاخبار فى المسألة الواحدة بالنّسبة الى اشخاصٍ عديدةٍ كان ينبغى ان يترك المذهب لانّ اختلافها كذلك ينبغى ان يصير سبباً للخروج من المذهب كما قاله الّشيخ رحمه الله فى التّهذيب.

[اَمْراً مِنْ عِنْدِنٰا] تفخيم لذلك الامر الحكيم و هو تميز عن نسبة الحكيم الى ضمير الامر، او حال ممّا يجوزان يكون حالاً منه، او منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديره اعنى امراً من عندنا، او مفعولٌ له ليفرق اى لكونه مأموراً من عندنا، او مفعول مطلق لفعله المحذوف.

[اِنّٰا كُنّٰا مُرْسِلينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] بدل من انّا كنّا منذرين او تعليل لقوله تعالى: فيها يفرق كلّ امرٍ حكيمٍ يعنى فيها يفرق كلّ امر حكيمٍ لانّ من عادتنا ارسال الرّحمة، او من عادتنا ارسال الرّسل و لازم ارسال الرّسل تفريق الامر الحكيم فى ليلة القدر و رحمة مفعول به او مفعول له، و وضع من ربّك فى موضع الضّمير للاشعار بانّ ربوبيّته تقتضى ذلك.

[اِنَّهُ هُوَ السَّميعُ] لاسميع سواه فيسمع اقوال العباد بألسنتهم القاليّة و الحاليّة و الاستعداديّة [اْلعَليمُ] لاعليم سواه فيعلم ما يسألونه بألسنتهم القاليّة و الحاليّة و مقتضى ربوبيّته و سماعه و علمه بما يصلح الّسائل و ما يفسده ان يرسل رسولاً و ينزّل احكاماً بحسب مسؤل العباد.

[رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ اْلاَرْضِ] قرئ بالرّفع خبراً بعد خبرٍا و خبراً لمحذوفٍ، او مبتدء خبره لا آله الّا هو او يحيى و يميت او ربّكم و ربّ

ءاٰبائكم الاوّلين [وَ ما بَيْنَهُمٰا اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ] علمتم ذلك.

[لاٰ اِلٰهَ اِلاّٰ هُوَ يُحْيِى وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ ربُّ آبٰائِكُمُ الْاَوَّلِينَ] و لكن ليس لهم يـقين [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ] بـالدّين و يـجعلونه آلة اشتغال خيالهم و اطمينانه.

[فَارْتَقِبْ] اى فانتظر مراقباً لهم [يَوْمَ تَأْتِى السَّمٰاءُ بِدُخٰانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النّٰاسَ] يحيط الدّخان اواليوم بسبب الدّخان بالنّاس [هٰذٰا عَذٰابٌ اَلِيمٌ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما هذا الدّخان؟ ـ فقال: هذا عذابٌ اليمٌ او حالٌ بتقدير القول من الله، او من الملائكة، او من النّاس.

اعلم، انّ وقت الاحتضار يُرى دخان من الباطن بين السّماء و الارض و لذلك ورد انّ الدّخان من اشراط الّساعة فانّه روى انّ اوّل ءاٰيات الّساعة الدّخان و نزول عيسىعليه السلام و نار تخرج من قعر عدن ابين[١] تسوق النّاس الى المحشر.

قيل: و ما الدّخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية و قال: يملأما بين المشرق و المغرب يمكث اربعين يوماً و ليلة، امّا المؤمن فيصيبه كـهيئة الزّكام و امّا الكافر فهو كالّسكر ان يخرج من منخريه و اذنيه.

و قيل: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على قومه لمّا كذّبوه فاجدبت الارض و المراد بيوم تأتى السّماء بدخانٍ مبينٍ ذلك القحط فانّ الجائع يرى بـينه و بين الّسماء كهيئة الدّخان من ضعف بصره.

اولانّ الهواء يظلم عام القحط لقلّة الامطار وكثرة الغبار، اولانّ العرب يسمىّ الّشرّ الغالب دخاناً و كان قحطهم بحيث اكلوا جيف الكلاب و عظامها.

[رَبَّنَا اكْشِفْ] حال او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [عَنَّا الْعَذٰابَ اِنّٰا مُؤْمِنُونَ]

١- الابين بسكون الموحدةو فتح الياء المثناة من تحت = رجل ينسب اليه عدن.

بك او برسولك او بخليفته او باليوم الآخر.

[اَنّى لَهُمُ الذِّكْرى]جوابُ سؤال مقدّرٍ، او حالٌ بتقدير القوال [وَ قَدْ جٰاءَهُمْ رَسُولٌ مُبينٌ] ظاهر الصّدق او مظهرٌ لصدقه.

[ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قٰالُوا مُعَلَّمٌ] يعلّمه ما يقول غلامٌ اعجميٌّ لبعض ثقيف [مَجْنُونٌ] يعنى لميكن براهين صدق الرّسول ﷺ باقلّ من معاينتهم فكما تولوّا عنه مع براهينه يتولّون بعد ذلك ايضاً مع معاينتهم يعنى انّ بعضهم قالوا: هو معلّم، و بعضهم قالوا: هو مجنونٌ بعد مارأوا منه شبه الغشى حين نزول الوحى.

[اِنّا كٰاشِفُوا الْعَذٰابِ] جوابٌ لسؤالهم [قَلٖيلاً اِنَّكُمْ عٰائِدُونَ] الى الانكار ان كان المراد عذاب القحط و قد رفع القحط و عادوا الى الانكار كما قيل، او المعنى انّا كاشفوا عذاب الموت و عذاب الدّخان قليلاً لانّكم عائدون الينا ان كان المراد عذاب الاحتضار.

[يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰى] اى يوم القيامة او يوم بدرٍ [اِنّا مُنْتَقِمُونَ وَ لَقَدْ فَتَنّا] و ابتلينا [قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ] بانواع العذاب التّسعة [وَ جٰاءَهُمْ رَسُولٌ كَرٖيمٌ] اى كريم الاخلاق و الافعال، او كريم الاصل و الآباء، لانّه كان من اولاد الانبياؑ، او كريم عندالله.

[اَنْ أَدُّوا اِلَى عِبٰادَاللهِ] اى جاءهم بهذه الرّسالة الّتى هى قوله: أدّوا الىّ بنى اسرائيل على ان يكون عباد الله مفعولاً به، او أدّوا الىّ اماناتكم الّتى هى وديعة من الله عندكم من الاستعدادات المودعة فيكم للتّرقىّ الى الله و يكون عباد الله حينئذٍ منادى.

[اِنّى لَكُمْ رَسُولٌ اَمينٌ وَ اَنْ لاٰ تَعْلُوا عَلَى اللهِ] بالاستعلاء على خليفة [اِنّى اٰتيكُمْ بِسُلْطٰانٍ مُبينٍ] لصدقى و هويده و عصاه، فلمّا قال ذلك

توعّدوه بالقتل و الرّجم كما قيل.

فقال [وَ اِنّي عُذْتُ بِرَبّي وَ رَبِّكُمْ اَنْ تَرْجُمُونِ] بالحجارة، و قيل: بالّشتم [وَ اِنْ لَمْ تُؤْمِنُوالي] و لم تصدّقوني فلاتؤذوني فانّ ايذايي موجبٌ لعذابٍ اليمٍ لكم لامدفع عنه قال ذلك رحمةً عليهم.

[فَاعْتَزِلُونِ فَدَعا رَبَّهُ] بعد ما بالغ غاية جهده في نصحهم و مضى على ذلك سنون و ابتوا مراراً و كانوا كلّما ابتلوا و عدوه بارسال بني اسرائيل و ترك استعبادهم و بالايمان به، و كلّما نجوا من العذاب نقضوا عهدهم، فلمّا رأى انّه لاينفع فيهم النّصح و لاالابتلاء دعا ربّه.

[اَنَّ هٰؤُلاٰءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونِ] تعريض بعذابهم و هلاكهم و لذلك قال: دعا ربّه [فَأَسْرِ] يعني فأجبناه الى مسؤله واردنا اهلاكهم فقلنا له أسر [بِعَبٰادِي] يعني بني اسرائيل.

[لَيْلاً اِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ] يتّبعكم القبطيّون [وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً] اى ساكناً على هيئته الّتي عبرته و لاتضر به بعصاك حتّى ينطبق على الطّرق الّتي عبرتها اواتركه منفتحاً وسيعاً حتّى يطمع فرعون و قومه للدّخول.

و قيل: لمّا قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم و خاف ان يتّبعه فرعون و جنوده.

فقيل له: و اترك البحر و هواً اى كما طريقاً يابساً، و الرّهو الّسير الّسهل و المكان و المرتفع و المنخفض.

[اِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن علّة الحكم او عن حالهم [كَمْ تَرَكُوا] جوابٌ لسؤالٍ ءاٰخر كأنّه قيل: فما فعل بهم؟ ـ و ما صار حالهم؟

فقال: كم تركوا [مِنْ جَنّاٰتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقٰامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كٰانوا فِيها فٰاكِهِينَ] اى متماز حين ءاٰتين بظرافة الكلام او متلذّذين

[كَذٰلِكَ] كانوا او الامر كذلك او حالكونهم ثابتين كذلك.

[وَ اَوْرَثْنٰاهٰا قَوْماً آخَرِينَ] هم بنواسرائيل [فَمٰابَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمٰاءُ و الاَرْضُ] تمثيل لعدم الاعتناء بهلاكهم فانّه مثل فى العرب و العجم لابتلاء قومٍ ببليّةٍ و لم يكن اعتناء بهم و ببلائهم.

عن امير المؤمنين عليه السلام انّه مرّ عليه رجلٌ عدوّلله و لرسوله فقال: فما بكت عليهم السّماء و الارض و ما كانو منظرين‌ثمّ مرّ عليه الحسين عليه السلام ابنه فقال: لكن هذا لتبكينّ عليه الّسماء و الارض، قال: و ما بكت الّسماء و الارض الّا على يحيى بن زكريّا عليه السلام و على الحسين بن علىّ عليهما السلام، و فى خبر فما بكاؤها؟ ـ قال: كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء.

و فى خبرٍ: بكت الّسماء على الحسين عليه السلام اربعين يوماً بالدّم.

[وَ مٰا كٰانُوا مُنْظَرِينَ نَجَّيْنٰا بَنِى اِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذٰابِ الْمُهِينَ] هو استعبادهم و امر القبطىّ لهم بحمل الطّين على الّسلاليم مع انّهم كانوا فى القيود و قتل ابنائهم و استحياء نسائهم.

[مِنْ فِرْعَوْنَ] بدل نحو بدل الاشتمال [اِنَّهُ كٰانَ عٰالِياً] مسلّطاً على ارض مصر [مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَ لَقَدِ اخْتَرْنٰاهُمْ عَلٰى عِلْمٍ] حال عن الفاعل او المفعول [عَلَى الْعٰالَمِينَ] على عالمى زمانهم.

[وَ آتَيْنٰاهُمْ مِنَ الآيٰاتِ] كفلق البحر و تظليل الغمام و ايتاء المنّ و الّسلوى [مٰا فِيهِ بَلٰاءٌ] اى نعمة او اختبار [مُبِينٌ] او المعنى ءاُتينا فرعون و قومه من الآيات الدّالّة على صدق موسى عليه السلام فى رسالته و صدقه فى ايتاء العذاب او ءاُتينا القبطيّين و الّسبطيّين من الآيات ما فيه اختبار و نعمة ظاهرة.

[اِنَّ هٰؤُلٰاءِ] قريشٌ بعد ذكر قصّة قوم فرعون لتهديد قريش ذكر حال

قريش بنحو كونها جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ [لَيَقُولُونَ اِنْ هِىَ اِلَّا مَوْ تَتُنَا الْاولٰى] اى ان الموتة، او ان الفتنة، او ان العاقبة و نهاية الامر ألّا موتتنا الاولى انكاراً للمعاد.

[وَ مٰا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ] معادين مبعوثين [فَأْتُوا بِآبٰائِنٰا] الميّتين بالموتة الاولى [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى وعدالاعادة و الثّواب و العقاب، جعلوا الاعادة و البعث فى الآخرة و الانتهاء عن الدّنيا فى الدّنيا، فقاسوا قياساً سقيماً و لم يدروا انّ من صار بالفعل لايمكن ان يصير بالقوّة، و الاعادة فى الدّنيا لاتكون ألّا بجعل ما بالفعل بالقوّة، و امّا الرّجعة الى الدّنيا الّتى ذكرت فى الاخبار بنحو الاجمال و قال بها الفقهاء رضوان الله عليهم و احياء الاموات الّذى نسب الى الاكابر فهى ليست بجعل ما بالفعل بالقوّة و انّما هى توسعة من الكامل فى وجود الميّت.

[اَهُمْ خَيْرٌ اَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ] تبّع اسم لملك اليمن و لايسمّى بهذا الاسم ألّامن كان حميريّاً و التّبابعة جمعه و سمّى تبّعاً لكثرة اتباعه او لاتّباعه سائر ملوك اليمن، و تبّع هذا هو الّذى سار بالجيوش و أتى سمرقند فهدمها ثمّ بناها.

و قيل: بناها اوّلاً و كان اذا كتب، كتب باسم الّذى ملك برّاً و بحراً وضحاً و ريحاً.

و عن النّبىّ ﷺ: لاتسبّوا تبّعاً فانّه كان قد اسلم و لذلك ذمّ قومه و لم يذمّه.

و قيل: قال للاوس و الخزرج: كونوا ههنا حتّى يخرج هذا النّبىّ ﷺ امّا أنالوادركته لخدمته و خرجت معه.

[وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كقوم نوحٍ و عادٍ و ثمود يعنى انّهم كانوا

احسن احوالاً بحسب الدّنيا منهم، كانوا اقوى قوّةً و اكثر اموالاً و اولاداً و اطول اعماراً و كذلك [اَهْلَكْناهُمْ] بكفرهم و هؤلاء اخسّ احوالاً منهم و اشدّ كفراً فكيف نفعل بهم؟!

[اِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمينَ وَ ما خَلَقْنَا السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبينَ] حتّى نكون نلعب بخلقهم و لانتعرّض بهم و ثوابهم و عقابهم [ما خَلَقْنا هُما] و ما بينهما.

[اِلّا بِالْحَقِّ] الّذى هو الولاية المطلقة الّتى بها حقّيّة كلّ ذى حقٍّ فاذا كان خلقهما و خلق نتائجهما بالحقّ فلاتكون تؤل الى باطلٍ او تصير باطلةً.

[وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ] ليس لهم علم اصلاً بل كان مالهم من صورة العلم جهلاً مشابهاً للعلم و لذلك تراهم اعداءً لاهل العلم او لا يعلمون انّ ذلك كذلك.

[اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ] اى يوم القيامة [ميقاتُهُمْ اَجْمَعينَ] فنفصل هناك بين المحقّ و المبطل و العالم و الجاهل المشابه للعالم.

[يَوْمَ لا يُغْنى مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً] اى شيئاً من الاغناء او شيئاً من عذاب الله [وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ] اى لاينصر هم بعد ابتلائهم مواليهم و لاغير الموالى.

[اِلّا مَنْ رَحِمَ اللهُ] استثناء من مولى الاوّل او الثّانى او من مرفوع ينصرون، و من رحمه الله منحصر بمن قبل الولاية بالبيعة الخاصّة، او من قبل الولاية حال حضور علىٍّ عليه السلام وقت الاحتضار.

[اِنَّهُ هُوَ الْعَزيزُ] تعليل لعدم اغناء الموالى و عدم النّصرة [الرَّحيمُ] تعليل لشفاعة من رحمه الله.

عن الصّادق عليه السلام: و الله ما استثنى الله عزّ ذكره باحدٍ من اوصياء

الانبياء صلى الله عليه وآله و لااتباعهم ما خلا امير المؤمنين عليه السلام و شيعته فقال فى كتابه و قوله الحقّ: يوم لايغنى مولًى عن مولًى شيئاً و لاهم ينصرون الّا من رحم الله يعنى بذلك عليّاً عليه السلام و شيعته.

[اِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْاَثيمِ] قد مرّ بيان شجرة الزّقّوم فى سورة الصّافّات [كَالْمُهْلِ] المهل اسم لجميع معدنيّات الجواهر كالفضّة و الحديد و نحو هما، و القطران الرّقيق و ماذاب من صفر او حديد، و الزّيت او درديّه او رقيقه، و الّسم و القيح و صديد الميّت.

[يَغْلى فِى الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَميمِ] الماء الحارّ المنتهى فى الحرارة [خُذُوهُ]جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ، او حالٌ بتقديرالقول اى يقال للزّبانية خذوه.

[فَاعْتِلُوهُ] عتله جرهّ عنيفاً [اِلىٰ سَواءِ الْجَحيمِ] اى وسطها [ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَميمِ] اى من الماء الحارّ غاية الحرارة و اضافة العذاب للاشارة الى انّ المنظور من صبّ ذلك الماء عذابه به قائلين [ذُقْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعزيزُ الْكَريمُ] يعنى يقال ذلك له استهزاءً.

روى انّ اباجهلٍ قال لرسوله الله صلى الله عليه وآله: ما بين جبليها اعزّ و لااكرم منّى، فيعيّر بذلك فى النّار.

[اِنَّ هٰذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ] تشكّون او تجادلون [اِنَّ الْمُتَّقينَ فى مَقامٍ اَمينٍ] صاحبه من الّشرور و الآفات [فى جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَ اِسْتَبْرَقٍ] الّسندس الرّقيق من الحرير، و الا ستبرق الغليظ منه [مُتَقابِلينَ] فانّ التّقابل اشرف انواع المجالسة.

[كَذٰلِكَ] قد مضى هذا اللّفظ قبيل هذا [وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عينٍ] الحوراء مؤنّث احور الابيض، و العيناء مؤنّث اعين عظيم العينين.

[يَدْعُونَ فيها بِكُلِّ فاكِهَةٍ] يدعون كلّ انواع الفاكهة فى كلّ زمانٍ

لااختصاص بشيءٍ منها بزمانٍ و لامكانٍ دون مكان [اٰمِنينَ] من الآفات و الّشرور.

[لاٰيَذُوقُونَ فِيها الْمَوْتَ اِلَّاالْمَوْتَهَ الْاُولٰى وَ وَقيٰهُمْ عَذٰاب الْجَحيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ] للخلاص من المكاره و الفوز بما ليس فيه شوب تعبٍ و لاخوف زوالٍ.

[فَاِنَّماٰ يَسَّرْناٰهُ] اى القرءاٰن او ما ذكر من الجنان و نعيمها او فضل ولاية عليٍّ عليه السلام و قرأناها [بِلِساٰنِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ] فانتظر ما وعدناهم من العذاب [اِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ]لحلول النّقمة بك اوانّهم مثل من يرتقب امراً يرتقبون ما تذكر لهم من العذاب.

سُورَةُ الجاثيه

مكّيّة كلّها، و قيل: الاّ ءاٰية: قل للّذين ءاٰمَنُوا يغفروا، سبع و ثلاثون ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[حٰمٓ تَنْزِيلُ الْكِتٰابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ اِنَّ فِى الَّسمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ لَاٰيٰاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ] قدمضى مكرّراً انّ فى خلقة كلٍّ من الّسماوات و الارض ءاٰياتٍ عديدة من كواكب الّسماء و كيفيّة حركاتها المتناسقة و مزاجها و تأثيراتها الغريبة.

و من كون الارض بسيطة ساكنة لايغمر فيها الرّجل، و ليست بصلبة حتّى لايمكن التّصرف فيها بالزّراعات و العمارات و اجراء القنوات و غير ذلك.

و فى ازدواج الّسماوات و الارض و تأثير الّسماوات و ما فيها فى الارض و تأثّر الارض و ما فيها منها ايضاً ءاٰيات، و فى خلقة كلّ من مواليد الارض بحيث يطلب كمال نوعه و يفرّ ممّا يضرّ بذاته و كماله و بحيث يتهيّؤله و يجتمع فيه اسباب تحصيل كماله المفقود و حفظ كماله الموجود ءاٰياتٍ عديدة لكن كلّ ذلك ءاٰيات للمؤمنين البائعين البيعة العامّة و الخاصّة، او للمذعنين المنقادين الّذين القوا الّسمع لاللغافلين المعرضين.

[وَ فِى خَلْقِكُمْ وَ مٰا يَبُثُّ مِنْ دٰابَّةٍ] اى من ذى روحٍ يكون له حركة [اٰيٰاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] غيّر الاسلوب اشعاراً بانّ من حصل له اليقين لايكون يقينه الّا فى ازديادٍ و حصولٍ على التّدريج.

فانّ صاحب اليقين هو الّذى يكون له قلبٌ و ليس الّا من بايع البيعة الخاصّة و اشتغل بنفسه و وجد بوجدانه ءاٰثار عمله.

و من صار كذلك يزداد يقينه العلميّ و الوجدانيّ الى ان حصل له اليقين الشّهوديّ و اليقين التّحقّقيّ، و لمّا كان ءأيات خلق الانسان و خلق سائر الدّوابّ بالنّسبة الى ءأيات السّماوات و الارض اخفى منها لابدّ و ان يكون للمؤمن يقينٌ بآثار ايمانه حتّى يدرك ءأيات خلقة الانسان خصوصاً ءأيات الانفس.

فانّ اداركها لايكون الّا بعد الاشتغال بالنّفس و وجدان صفات النّفس رذائلها و خصائلها و اليقين بآثار الاعمال و ضرر الرّذائل و نفع الخصائل، و الّا بعد اليقين بآثار صفات الله تعالى و وجدءأنهافى وجوده.

[وَ اخْتِلٰافِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ] اى اختلاف اللّيل و النّهار الطّبيعيّين بتعاقبهما، و بالبرودة و الحرارة و بالزّيادة و النّقيصة و بالظّلمة و الاضاءة.

و كذلك اختلاف عالم الطّبع و عالم المثال و السّقم و الصّحّة و الغمّ و السّرور و غير ذلك من مصاديق اللّيل و النّهار.

[وَ مٰا اَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ رِزْقٍ] من اسباب رزق من الامطار و اشعّة الكواكب و برودة الهواء و برودة اللّيل و حرارة النّهار او من رزقٍ انسانيٍّ من الكمالات النّفسانيّة الّتى تنزل من سماء العقول و النّفوس.

وأتى بالرّزق منكّراً تحقيراً بالنّسبة الى الرّزق الجسمانيّ و تفخيماً بالنّسبة الى الرّزق الانسانيّ.

[فَأَحْيٰا بِهِ] اى باسباب الرّزق الجسمانيّ او بنفس الرّزق الانسانيّ [الْاَرْضَ] الطّبيعيّة بتهييج القوى و العروق المكمونة فيها و الارض الانسانيّة بجيوة العلم و الدّين و الايمان [بَعْدَ مَوْتِهٰا] بعد كونها ميتةً.

[وَ تَصْرِيفِ الرِّيٰاحِ] و فى تصريفها بقاء المواليد و حركات السّحاب و توسعة الامطار فى البلاد و رفع العفونات عن الهواء [آيٰاتٌ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يدركون بعقولهم بعد اليقين او يصيرون عقلاء و صاحبى مقام العقل بعد ان كانوا موقنين و صاحبى مقام القلب، و لخفاء دلالتها على مبدءٍ مدبّرٍ حكيمٍ عليمٍ رؤفٍ رحيمٍ خصّصها بالعقلاء.

[تِلْكَ] المذكورات [آياتُ اللهِ] الدّالّة عليه او النّاشئة منه [نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ] متلبّسين او متلبسّاتٍ بالحقّ الّذى هو الولاية المطلقة [فَبِاَيِّ حَديثٍ بَعْدَ اللهِ] بعد انكاره.

[وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ وَيْلٌ لِكُلِّ اَفّاكٍ] كذّاب [اَثيمٍ] بالغ فى الاثم [يَسْمَعُ آياتِ اللهِ تُتْلىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ] على كفره او على جحوده لولاية عليٍّ عليه السلام.

[مُسْتَكْبِراً كَاَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ اَليمٍ وَ اِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً] اى اذا رأى من ءاياتنا العظمى الّذين هم مظاهر الولاية [اتَّخَذَها هُزُواً] اى الآ او الشّىء المرئىّ، و التّأنيث باعتبار المعنى.

[اُولٰئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهينٌ مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ] اى من وراء عذابهم المهين جهنّم، او هو بيانٌ للعذاب المهين [وَ لا يُغْني عَنْهُمْ ما كَسَبُوا] من الاموال و الاولاد، او من الاعمال الّتى فعلوها فى الاسلام.

فانّ شرط قبولها و اغنائها عن عذاب الله عدم ردّ الولاية ان كان موتهم فى زمن الرّسول صلى الله عليه و آله، و قبول الولاية ان كان بعد زمن الرّسول صلى الله عليه و آله [شَيْئاً] من عذاب الله.

[وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ] نفسه او من دون مظاهر الله و خلفائه [اَوْلِياءَ] فى العبادة كالاصنام و الكواكب، و اولياء فى الطّاعة مثل رؤساء الضّلالة.

[وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ] تأكيد على التّأكيد [هٰذا] اى المذكور من

الآيات او القرءاٰن او قرءاٰن ولاية علىٍّ عليه السلام، او هذا الامر من ولاية علىّ عليه السلام او الاسلام و قبوله و احكامه [هُدىً] الى الايمان.

[وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰياٰتِ رَبِّهِمْ] التّكوينيّة الآفاقيّة و الانفسيّة و خصوصاً الآيات العظمى الّذين هم خلفاء الله فى الارض و التّدوينيّة.

[لَهُمْ عَذاٰبٌ مِنْ رِجْزٍ اَلِيمٌ] الرّجز اشدّ العذاب [اَللّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ] كلام منقطع عن سابقه و تعداد لنعمه على خلقه مشيراً الى كونها ءاٰيات قدرته كما انّ ماسبق كان تعداداً لآيات قدرته مشيراً الى كونها من نعمه.

[لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بجريان الفلك و التّجارات الرّابحة [وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة تسخير البحر و جريان الفلك و الارباح.

[وَ سَخَّرَ لَكُمْ] اى لانتفاعكم او جعل مسخّراً لكم [ماٰفِى السَّمٰوٰاتِ وَ ماٰ فِى الْاَرْضِ جَمِيعاً] فانّ السّماوات و السّماويّات مسخّراتٌ لله لانتفاع جميع الكائنات و مسخّراتٌ لبعض النّفوس الانسانيّة، و الارض و الارضيّات مسخّراتٌ لله لانتفاع الانسان، و بعض الارضيّات مسخّراتٌ للانسان ايضاً.

[مِنْهُ] قرئ منه بلفظ من الجارّة و الضّمير و المعنى سخّر من قبله لامن قبلكم و من قبل اسبابكم الطّبيعيّة او المعنى ذلك رحمة منه، و قرئ منّة بتشديد النّون و التّاء بالرّفع و النّصب.

[اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰياٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال المبادئ المشهودة و المعقولة و اخذ النّتائج منها سواء كان المستعمل مؤمناً او موقناً او عاقلاً.

[قُلْ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا يَغْفِرُوا] قد سبق مكرّراً انّه تعالى للاشارة الى انّ توجّه محمّدٍ صلى الله عليه و آله مؤثرّ فيهم بحيث يجعلهم على اوصاف الرّ وحانيّين لم يأت بمقول قوله و يقتصر على لفظ قل فى جزم المضارع الآتى بعده كأنّه قال: قل

ماشئت و توجّه اليهم ان تقل لهم قولاً يغفروا بدون امرك لهم بالمغفرة.

[لِلَّذِينَ لاٰيَرْجُونَ اَيّٰامَ اللّٰهِ] قد مرّ بيان ايّام الله فى سورة ابراهيم عند قوله‌تعالى: و ذكّرهم بايّام الله و المراد من الّذين لايرجون ايّام الله الّذين اشتغلوا عن دينهم بدنياهم و لايترقّبون من دينهم الّا اصلاح دنياهم،وَالَّذِينَ لم‌يعتقدوا مبدءً لم‌يعتقدوا معاداً فانّ ايّام الله عبارة عن مقامات الآخرة و درجاتها.

و من رجا درجات الآخر و مقاماتها يكون ناظراً اليها متوجّهاً فى اعماله و احواله الى جهتها، و من لم‌يعتقدها او لم‌يكن عمله لها لم‌يكن راجياً لها، و المقصود تأديب المؤمنين الّذين بايعوا البيعة الخاصّة بان لاينظروا الى ظاهر افعالهم و احوالهم فيتركوا معاشرتهم و نصحهم و دلالتهم على خيرهم.

فانّهم كانوا كذلك فمنّ الله عليهم بالايمان و رجاء ايّام الله، و شكر هذه النّعمة ان يرحموا عباد الله و يظهروا ما انعم الله به عليهم و يدلّوا غيرهم عليها فانّ الله اذا انعم على عبدٍ احبّ ان يراها عليه، و من لم‌يظهرها كان كافراً لتلك النّعمة.

عن الصّادق عليه السلام انّه قال: قل للّذين منّنا عليهم بمعرفتنا ان يعرفوا الّذين لايعملون فاذا عرفوهم فقد غفروا لهم.

[لِيَجْزِىَ قَوْماً]قرئ بالغيبة و البناء للفاعل، و الفاعل هو الله و بالبناء للمفعول و ضمير المصدر يكون نائباً عن الفاعل، و قرئ بالنّون.

[بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ]قيل: يقول الله تعالى لائمّة الحقّ: لاتدعوا على ائمّة الجور حتّى يكون الله هو الّذى يعاقبهم.

[مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل لغفرانهم

[فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ اَسٰاءَ فَعَلَيْهٰا] فلا حاجة للمسىء الى عقوبة اخرى منكم.

اعلم، انّ انسانيّة الانسان تقتضى الاحسان و العمل الصّالح، فاذا احسن الانسان كان الاحسان ملائماً له من حيث انسانيّته و الواصل الى ملائمته ملتذّبها و منتقم بها.

فلو لميكن له اجر ءاخر كان الوصول الى ملائماته كافياً له اجراً و ثواباً و الحال انّ الاحسان يتجسّم له فى الآخرة بأحسن صورة و يستتبع صورةً اخرى مناسبةً له فالمحسن يتنعّم باحسانه ثلاث مرّات.

و اذا اساء الانسان كان الاساءة منافيةً لانسانيّته و غير الملائم موذٍ للانسان و ان كان تلك الاساءة ملائمة لقوّةٍ اخرى بهيميّة او سبعيّةٍ او شيطانيّةٍ فلو لميكن للمسىء عقوبةٍ اخرى كان الاساءة كافيةً له عقوبةً، و الحال انّ الاساءة تتجسّم فى الآخرة بصورةٍ قبيحةٍ موذيةٍ و تستتبع صورةً اخرى قبيحةً موذية فى الآخرة.

فالمسىء يعاقب باساءته ثلاث مرّاتٍ، و للاشارة الى النّفع و الضّرّ الحاصلين حين الاحسان و الاساءة قال: من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها يعنى حين العمل يكون نفعه و ضرّه حاصلين له.

و للاشارة الى الاجر و العقوبة الاخرويّين قال تعالى: [ثُمَّ اِلٰى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَ لَقَدْ اٰتَيْنٰا] عطف على قوله تنزيل الكتاب من الله او عطف على قوله الله الّذى سخّر لكم البحر و وجه المناسبة غير مخفىٍّ.

[بَنِى اِسْرٰائِيلَ] يعنى بنى يعقوب [الْكِتٰابَ] قد مضى مكرّراً انّ الكتاب يطلق على الولاية و ءاثارها، و النّبوّة و احكامها، و الرّسالة و احكامها، و الكتاب التّدوينىّ صورة الكلّ.

فيجوز ان يراد بالكتاب ههنا التّوراة و الرّسالة و الولاية و الاولى ان

يراد به التّوراة و الرّسالة.

[وَالْحُكْمَ] ان اريد بالكتاب التّوراة فالمراد بالحكم الحكومة بين النّاس الّتى هى لازم الرّسالة فيكون كنايةً عن الرّسالة، و ان اريد به الرّسالة فالمراد بالحكم الحكمة الّتى هى عبارة عن اللّطف فى العلم و العمل الّذى هو من ءاٰثار الولاية.

[وَالنُّبُوَّةَ] بحيث قيل: انّه كان فيهم الف نبىّ عليهم السلام [وَ رَزَقْنَا هُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] بحسب مقامهم الحيوانىّ من المأكول و المشروب و الملبوس و المسكون و المركوب، و بحسب مقامهم الانسانىّ ممّا كان يرد عليهم من الغيب من العلوم و الوجدانات و المشاهدات.

[وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ] بواسطة ايتاء ذلك لهم و المراد بالعالمين اهل زمانهم و الّا فامّة محمّد صلى الله عليه وآله كانوا افضل منهم.

[وَاٰتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الاَمْرِ] المراد بالبيّنات المعجزات او احكام الرّسالة او احكام النّبوّة او دلائل امر الرّسالة او النّبوّة او الولاية، و المراد بالامر المذكورات، او عالم الامر، او امر الله، و من للابتداء، او للتّبعيض، او للتّعليل و هذا تعريض بامّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله كأنّه تعالى قال: فتنبّهوا يا امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله فانّا ءاٰتيناكم الكتاب و الحكم و النّبوّة و رزقناكم من الطّيّبات و فضّلناكم على العالمين و ءاٰتيناكم بيّناتٍ من الامر فلاتختلفوا حين حياة محمّدٍ صلى الله عليه وآله و لابعد مماته مثل بنى اسرائيل فتستحقّوا عقوبتى مثلهم.

[فَمَا اخْتَلَفُوا] بالرّدّ و القبول [اِلاّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً] ظلماً او استكباراً [بَيْنَهُمْ اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] من امر الولاية و الخلافة، او من مطلق امر الدّين.

[ثُمَّ جَعَلْنَاكَ] يعنى بعد بنى اسرائيل جعلناك [عَلٰى شَرِيعَةٍ مِنَ

الْاِمْرِ] اى امر الرّسالة و النّبوّة و الولاية يعنى انّا ءاُ تينا بنى اسرائيل الرّسالة و النّبوّة و الولاية و جعلناك بعد هم على جادّة الطّرق و سوائها تفضيلاً لك عليهم بجعلك على الشّريعة الّتى هى مشرع كلّ الامم و كلّ الطّرق.

[فَاتَّبِعْهٰا وَ لاٰ تَتَّبِعْ اَهْوٰاءَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ] فى خصوص الولاية، او فى مطلق ما ءاُ تيناك من امر الدّين [اِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً] اى من عذابه شيئاً.

[وَ اِنَّ الظّٰالِمِينَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] فلاتتّخذ منهم وليّاً حتّى تصير ظالماً، و هذه كلّها تعريضٌ بامّته ﷺ و اشارة الى اختلافهم فى امر الولاية.

[وَ اللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ] عن الرّأى او اتباع النّفس، و قد سبق مكرّراً انّ المتّقى ليس الّا شيعة علىّ بن ابى طالب عليه السلام [هٰذٰا] المذكور من اوّل السّورة او هذا القرءاٰن او قرءاٰن ولاية علىٍّ او علىّ عليه السلام [بَصٰائِرُ] ما يتبصّر به لكن لمّا لم يكن بدون الولاية يحصل بصيرة لاحدٍ كان المراد به الولاية.

[لِلنّٰاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئٰاتِ اَنْ نَجْعَلَهُمْ] فى المنزلة و المقام [كَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] المراد بالايمان ههنا البيعة الخاصّة، او الحال الحاصلة بالبيعة الخاصّة او البيعة العامّة او الحال الحاصلة بالبيعة الخاصّة او البيعة العامّة او الحال الحاصلة بالبيعة العامّة، و على هذا يكون المراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة.

[سَوٰاءً مَحْيٰاهُمْ وَ مَمٰاتُهُمْ] الضّمير ان لمجترحى السّيّئات يعنى حالكونهم لاننظر اليهم و الى اعمالهم و مجازاتها او للفريقين و المعنى واضح.

[سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ وَ خَلَقَ اللهُ] جملة حاليّة يعنى والحال انّ الله خلق [السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ بِالْحَقِّ] و لازم خلقتهما بالحقّ ان لايكون شيءٌ فيهما لغواً.

[وَلِتُجْزٰى] اى خلق لتجزى [كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ] بنفس ما كسبت او بجزاء ما كسبت [وَهُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ] فى ذلك لانّ الجزاء نتيجة اعمالهم فاذا كان الامر فى هذا المنوال فكيف يهملهم و لايحييهم فى الآخرة.

[اَفَرَأَيْتَ] استفهام فى معنى الامر و يستفاد منه التّعجيب ايضاً و المعنى فانظر [مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهُ هَوٰاهُ] قدمرّ فى سورة الفرقان بيان هذه الآية عند قوله ارأيت من اتّخذ الٓهه هواه و الخطاب عامّ او خاصّ بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله.

قيل: نزلت فى قريشٍ كلّما هووا شيئاً عبدوه و الحقّ انّ الآية جارية فى من غصبوا حقّ علىٍّ عليه السلام بعد محمّدٍ صلى الله عليه وآله و اتّخذوا اماماً بأهوائهم [وَ اَضَلَّهُ اللهُ عَلٰى عِلْمٍ] اى حالكون الله على علمٍ باستعداده و استحقاقه للظّلال، او حالكون الضّالّ على علمٍ برشده و هداه، او حالكونه كان على نور العلم فأضلّه الله بعد كونه على نور العلم كمن ءاٰتاه ءاٰياته فانسلخ منها فصار من الغاوين.

[وَ خَتَمَ] الله [عَلٰى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلٰى بَصَرِهِ غِشٰاوَةً] قدمرّ فى اوّل البقرة بيان الختم على السّمع و القلب و غشاوة البصر [فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ] اى من بعد اضلاله و عدم هدايته.

[اَفَلاٰ تَذَكَّرُونَ] ان ليس الجاهل كالعالم و لاالفاسق كالمؤمن و ان لاهادى بعد الله و اضلاله [وَ قٰالُوا مٰا هِيَ] اى ما الحيوة [اِلاّٰ حَيٰوتُنَا الدُّنْيٰا نَمُوتُ وَ نَحْيٰى] اى يموت بعضنا و يحيى بعض ءاٰخر، او المعنى على التّقديم و التّأخير اى نحى و نموت.

[وَ مٰا يُهْلِكُنٰا اِلاَّ الدَّهْرُ] الدّهريّون و الطّبيعيّون يقولون: انّ مرور

الزّمان يفنينا و يفنى كلّ كائن بتفاوت الانواع و الاشخاص ان لم يقطعه عن بقائه الطّبيعىّ قاطع.

[وَ مٰا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ] يعنى انّ قولهم هذا باطلٌ اصلاً و هم ملومون عليه لبطلانه، و هم ملومون ايضاً على التّفوّه بما ليس لهم به علمٌ [اِنْ هُمْ اِلّاٰ يَظُنُّونَ] و القول بالظّنّ و الشّكّ قبيح و صاحبه ملوم، فالويل ثمّ الويل لمن قال بالظّنّ و القياس من غير اذنٍ من الله!. ثمّ قال: هذا من عندالله و هو حكم الله فى حقّى و حقّ مقلّدى!

و قد سبق منّا مكرّراً انّ الاذن و الاجازة الصّحيحة يجعل الظّنّ قائماً مقام العلم بل يجعله اشرف من العلم كما شوهد من اجازات القلندريّة و تأثير المنطريّات مغلوطة بعد الاجازة، و عدم تأثيرها صحيحةً بدون الاجازة.

قيل: انّ هذا ظنّ شكٍّ و نزلت هذه الآية فى الدّهريّة و جرت فى الّذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين ؑ و اهل بيته و انّما كان ايمانهم اقراراً بلاتصديقٍ خوفاً من السّيف و رغبةً فى المال.

و عن النّبىّ ﷺ انّه قال: لاتسبّوا الدّهر فانّ الله هو الدّهر، يعنى انّ الله هو الدّهر الّذى ينسبون الحوادث اليه و يسبّونه لاحداث الحوادث الغير الملائمة.

[وَ اِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ] واضحات الدّلالات او موضحات لصدق الآتى بها و موضحاغت لحالهم الّتى هم عليها.

[مٰا كٰانَ حُجَّتُهُمْ] فى المعارضة مع الرّسول و فى انكار تلك الآيات [اِلّاٰ اَنْ قٰالُوا ائْتُوا بِاٰبٰائِنٰا اِنْ كُنْتُم صٰادِقِينَ] يعنى علّقوا علامة صدقهم على الاتيان بالمحال بحسب العادة.

[قُلِ اللّٰهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ اِلىٰ يوْمِ الْقِيٰمَةِ] يعنى

قل الاتيان بآبائكم فعل الله كما انّ اماتتهم كان فعله، و يفعل هـذا الفـعل و يأتى بآبائكم فى يوم القيامة.

[لٰارَيْبَ فِيهِ] قد مضى فى اوّل البقرة معنى عدم الرّيب فى الكتاب و فى القيامة [وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لٰا يَعْلَمُونَ] ذلك لعـدم تـفكّرهم فـى المغيبات و قصور نظرهم على المحسوسات و الّا فهم يشاهدون عالم الآخرة فى المنام، و النّوم انموذج الموت فليعلموا ان ليس خروج النّفس عن البدن بالموت الّا مثل خروجها عنه بالنّوم فكما كان يبقى بعد النّوم فى عالمٍ ءاُخر فكذا بعد الموت.

[وَلِلّٰهِ] لالغيره [مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ]و ما فيهما فلايقدر احدٌ غيره على ايتاء الاموات.

[وَ يَوْمَ تَقُومُ]عطف على محذوف اى فى الدّنيا و يوم تقوم[السّٰاعةُ] او ظرف ليخسر و يكون قوله [يَوْمَئِذٍ] تأكيداً له.

[يَخْسَرُو الْمُبْطِلُونَ تَرٰى كُلَّ اُمَّةٍ] الخـطاب عـامّ او خـاصّ بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله و اذا كان عامّاً.

فالرّؤية مقيّدة بيوم القيامة و ان كان خاصّاً فالمعنى ترى فى الحالى الحاضرة فانّه يرى فى الدّنيا مايراه غيره فى القيامة.

[جٰاثِيَةً] جثى كدعا و رمى جلس على ركبتيه، او قام على اطراف اصابعه [كُلُّ اُمَّةٍ تُدْعٰى اِلٰى كِتٰابِهٰا] صحيفة اعمالهم.

[اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] نفس ما كنتم تعملون او جزاءه [هٰذٰا كِتٰابُنٰا] بتقدير قول حالاً او مستأنفاً.

[يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ] فانّ الكتاب الاخروىّ حىٌّ نـاطقٌ كـما انّ الاعضاء فى الآخره تنطق او المراد يشهد عليكم بما فيه من ثبت اعمالكم.

[اِنّٰا كُنّٰا نَسْتَنْسِخُ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] وسئل الصّادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: انّ الكتاب لم‌ينطق ولن‌ينطق لكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو النّاطق بالكتاب قال الله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ فقيل: انّا لانقرؤها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّدٍ صلى الله عليه وآله ولكنّه ممّا حرّف من كتاب الله.

و لعلّه عليه السلام قرئ ينطق مبنيّاً للمفعول، وسئل ايضاً عن: نٓ و القلم، قال انّ الله خلق القلم من شجرةٍ فى الجنّة يقال لها الخلد، ثمّ قال لنهرٍ فى الجنّة: كن مداداً فجمد النّهر و كان اشدّ بياضاً من الثّلج و احلى من الشّهد، ثمّ قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما اكتب؟

- قال: اكتب ما كان و ما هو كائنٌ الى يوم القيامة، فكتب القلم فى رقٍّ اشدّ بياضاً من الفضّة و اصفى من الياقوت، ثمّ طواه فجعله فى ركن العرش ثمّ ختم على فمّ القلم فلم ينطق و لاينطق ابداً فهو الكتاب المكنون الّذى منه النّسخ، او لستم عرباً فكيف لاتعرفون معنى الكلام؟! واحد كم يقول لصاحبه: اُنسخ ذلك الكتاب، او ليس انّما ينسخ من كتابٍ ءاُخر من الاصل و هو قوله: انّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون.

[فَاَمَّا الَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] واصلها البيعة الخاصّة الولويّة [فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فى رَحْمَتِهِ] الّتى هى الولاية.

[ذٰلِكَ] الدّخوال فى الولاية [هُوَ الْفَوْزُ الْمُبينُ وَ اَمَّا الَّذينَ كَفَرُوا اَفَلَمْ تَكُنْ] اى يقال لهم احملتهم فلم تكن [اٰياٰتى تُتْلٰى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ] عن الانقياد لها و اتّباعها حتّى استكبرتم عن الآيات العظمى و الولاية الكبرى.

[وَ كُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمينَ] بسبب مخالفتكم لولىّ امركم [وَ اِذٰا قيلَ اِنَّ وَعْدَاللّٰهِ] بالعذاب و الثّواب [حَقٌّ وَ السّاعَةُ لٰارَيْبَ فيهٰا قُلْتُمْ مٰا نَدْري مَاالسّاعَةُ اِنْ نَظُنُّ اِلّاٰ ظَنّاً وَ مٰا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنينَ وَ بَدٰالَهُمْ] التفاتٌ من الخطاب الى الغيبة.

[سَيِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا] حيث رأوا مقام ولىّ امرهم و خساسة اوليائهم الظّلمة [وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰاكٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى القول او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن.

[وَ قيلَ الْيَوْمَ نَنْسيٰكُمْ كَمٰانَسيتُم لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا] اى نتركَكم كما نسيتم هذا اليوم او تركتم العُدّة له.

[وَ مَأْويٰكُمُ النّٰارُ وَ مٰالَكُمْ مِنْ نٰاصِرينَ ذٰلِكُمْ بِاَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ اٰيٰاتِ اللّٰهِ] التّدوينيّة من الكتب السّماويّة و الاحكام النّبويّة و الآيات الآفاقيّة الجزئيّة و الانفسيّة و الآيات العظمى الّذين هم الانبياء و الاولياءعليهم السلام.

[هُزُواً] مايستهزء به، قيل: هم الائمّة كذّبوهم و استهزؤابهم [وَ غَرَّتْكُمُ الْحَيٰوة الدُّنْيٰا] فحسبتم انّكم خالدون فيها.

[فَالْيَوْمَ لٰايُخْرَجُونَ مِنْهٰا] بسبب الاستهزاء بالآيات [وَلٰاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] لايسترضون، و قيل: لايجاوبون و لايقبلهم الله.

[فَلِلّٰهِ الْحِمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰاتِ وَ رَبِّ الْاَرْضِ رَبِّ الْعٰالَمينَ] بدل من ربّ السّماوات و ربّ الارض بعد ما اشار الى ربوبيّته للسّماوات و الارضين بالالتزام و كانت تلك الرّبوبيّة مستلزمة لمحموديّته على الاطلاق صرّح بهما بطريق الاستنتاج.

[وَ لَهُ الْكِبْرِيٰاءُ فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ]اذا الرّبوبيّة لهما مستلزمة للكبرياء فيهما [وَ هُوَ الْعَزيزُ] الغالب الّذى لايغلب [الْحَكيمُ] فى علمه و عمله.

سُورَةُ الاحقاف

مكّيّة كلّها؛ و قيل: الّا ءاٰية: قل أرايتم ان كان من عندالله؛ فانّها نزلت بالمدينة فى عبدالله بن سلامٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[حٰم تَنْزِيلُ الْكِتٰابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ] اى سماوات عالم الطّبع و سماوات عالم الارواح فى الكبير و الصّغير [وَالْاَرْضَ] بالتّعميم المذكور.

[وَ مٰا بَيْنَهُمٰا اِلّاٰ بِالْحَقِّ] المخلوق به [وَاَجَلٍ مُسَمّىٍ] لسماوات العالم الصّغير و ارضه وكذا سماوات العالم الكبير و ارضه فانّ لها ايضاً اجلاً و امداً الى اوّل عالم البرزخ.

[وَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَمّٰا اُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ] لحسبانهم انّا خلقناهم عبثاً و لغواً، و ما انذروا عبارة عمّا يلحقهم من العقوبة على ترك المتابعة و ترك الولاية، و اعراضهم عنه عبارة عن عدم التفاتهم اليه و عدم تدبّرهم لدفعه.

[قُلْ] للمشركين بالله و للمشركين بالولاية [اَرَأَيْتُمْ مٰاتَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ] من الاصنام و الكواكب و الاهواء و الشّياطين و الملائكة او ما تدعون من دون خلفاء الله او من دون اذن الله الضّلالة.

[اَرُونِى مٰاذٰا خَلَقُوا مِنَ الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوٰاتِ] اى فى خلق السّماوات يعنى لاشركة لهم فى خلق شىءٍ من اجزاء الارض و لافى شىءٍ من اجزاء السّماوات حتّى يستحقّوا به العبادة.

[اُئْتُونِى بِكِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذٰا] بدل من أرونى نحو بدل الاشتمال

ای أرونی ماذا خلقوا أرونی کتاباً فیه ثبت شرکتهم فی خلق الارض هو علی سبیل التّنزّل ان لم یکن لکم دلیل عقلیّ فأتونی بدلیلٍ نقلیٍّ من کتابٍ سماویٍّ او غیر سماویٍّ یمکن تقلیده.

[اَوْ اَثٰارَةٍ مِنْ عِلْمٍ] الأثارة نقل الحدیث و روایته یعنی ائتونی بکتابٍ یمکن الاعتماد علیه فیه جواز اشراك الشّرکاء، او ائتونی بحدیثٍ منقولٍ ناشٍ من علمٍ و فسرّ ببقیّةٍ من علمٍ من السّابقین یجوز الاعتماد علیه و التّقلید له.

[اِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ] یعنی انّ مثل هذا لایجوز القول به ولا الاعتقاد به اّلا اذا کان دلیلٌ عقلیّ یدلّ علی صحّته و صحّة القول به، و ان لم یکن لکم دلیل عقلیٌّ فلا اقلّ من ان یکون لکم دلیلٌ نقلیٌّ یجوز التّعویل علیه و التّقلید له من کتابٍ او نقلٍ.

وسئل الباقر علیه السلام عن هذه الآیة فقال: عنی بالکتاب التّوراة و الانجیل، و امّا أثارةٍ من العلم فانّما عنی بذلك علم اوصیاء الانبیاء علیهم السلام و بعد ما اظهر عجز هم عن الاتیان بدلیلٍ عقلیٍّ او نقلیٍّ أتی بالدّلیل العقلیّ و النّقلیّ علی بطلان قولهم فقال: [وَ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ یَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لاٰ یَسْتَجِیبُ لَهُ] لو سمع دعاءهم فضلاً عن مراعاة مصالحهم و الاطّلاع علی سرائرهم [اِلیٰ یَوْمِ الْقِیٰمَةِ] یعنی انّهم ما داموا فی الدّنیا لایسمعون دعاءهم و لو سمعو ما استجابوا، و لو اجابوا ما قدروا علی اصلاحهم ولکنّهم فی یوم القیامة یسمعون نداءهم و یجیبون لهم بانکار عبادتهم [وَ هُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ] فضلاً عن سماعه و اجابتهم، و هذا دلیل عقلیّ یدلّ علی عدم جواز دعوتهم [وَ اِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ کٰانُوا لَهُمْ اَعْدٰاءً وَ کٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ کٰافِرِینَ] و هذا دلیلٌ نقلیّ منقولٌ من الانبیاء و الاوصیاء علیهم السلام مثبتٌ فی

الكتب السّماويّة و فى غيرها.

[وَ اِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ] واضحات الدّلالات او موضحات [قٰال الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ] اى قالوا للآيات بعد ما ظهر حقّيّتها و لذلك وضع الظّاهر موضع المضمر.

[هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ] ظاهر السّحريّة و البطلان [اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ] و لمّا كان السّحر له شأنٌ و وقعٌ فى القلوب اضرب عن هذا القول و قال: بل يقولون افتراه.

[قُلْ] فى جوابهم [اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلٰا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً] يعنى ان افتريته فلا تدفعوا عنّى شيئاً من عذاب الله و لاتتحمّلوا شيئاً من اوزارى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من عذابه حتّى تدفعوه عنّى، او ان افتريته لم اكن بعاقلٍ و اكن سفيهاً.

لانّ الافتراء لايكون اّلا تعرّضاً لسخط الله، و ان اتعرّض لسخط الله لان اكون مقبولاً عندكم كنت سفيهاً، لانّ المقبوليّة عندكم لاتنفعنى لانّكم لاتملكون لى من الله شيئاً من رفع عذابه.

و بعد ابطال الافتراء هدّدهم بهذا الافتراء و قال [هُوَ اَعْلَمُ بِمٰا تُفِيضُونَ] اى تندفعون [فِيهِ] من القول بانّ القرءاٰن سحرٌ او افتراءٌ.

[كَفىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ] تهديدٌ ءاٰخرلهم [وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] جمع بين التّهديد و الارجاء كما هو شأن النّاصح الكامل.

[قُلْ] لهم لم تستغربون رسالتى و قد كنت مثل سائر الرّسل و [مٰا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ] اى من بينهم او حالكونى بعضاً منهم و قد كان الرّسل بشراً مثلى و كانوا يأكلون و يشربون و ينكحون و يمشون فى الاسواق و قد كانوا يأتون بالاحكام من الله و يدعون الى التّوحيد.

[وَمٰا اَدْرِى مٰا يُفْعَلُ بى وَلاٰ بِكُمْ] بحسب اقتضاء بشريّتى فما لكم تطالبونى بعلم الغيب [اِنْ اتَّبِعُ اِلاّٰ مٰا يُوحٰى اِلَىَّ] لاأتجاوزه الى ما تشتهون او اشتهى.

[وَ مٰا اَنَا اِلاّٰ نَذيرٌ] بحسب رسالتى لاشأن لى سوى الانذار و ان كنت بحسب ولايتى هادياً لكم و قادراً على ما لاتقتدرون عليه و عالماً بما لاتعلمون [مُبينٌ] ظاهر الانذار، و ظاهر الصّدق او موضح.

[قُلْ اَرَاَيْتُمْ] اخبرونى [اِنْ كٰانَ] القرءاٰن او قرءاٰن ولاية علىٍّ عليه السلام او الوحى الىّ او هذا الّذى ادّعيه من الرّسالة او ولاية علىٍّ عليه السلام

[مَنْ عِنْدِاللهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ بَنِي اِسْرٰائيلَ] قيل: هو عبدالله بن سلام كان من علمائهم و اسلم، و قيل: المراد بالشّاهد موسى عليه السلام بما اثبته فى التّوراة.

[عَلٰى مِثْلِهِ] لم يقل عليه لانّ شاهد بنى اسرائيل ما شهد انّ محمّداً صلى الله عليه و آله رسولٌ و انّ هذا القرءاٰن كتابه و انّ عليّاً عليه السلام وصيّه بل شهد انّ النّبىّ صلى الله عليه و آله الموعود يكون شمائله كذا، و دعوته الى كذا، و كتابه كذا، و وصيّه يكون خَتَنه وابن عمّه.

[فَاٰمَنَ] الشّاهد [وَ اسْتَكْبَرْتُمْ] انتم من الايمان به، و جواب الشّروط محذوف اى افلم تكونوا ظالمين او افلم تؤاخذوا.

[اِنَّ اللهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمينَ] تعليلٌ للجواب المحذوف و دليل عليه، او هو جواب بتقدير الفاء.

[وَقٰالَ الَّذينَ كَفَرُوا] بالله و برسوله او بالولاية [لِلَّذينَ اٰمَنُوا] فى حقّهم [لَوْ كٰانَ] الرّسول او القرءاٰن او هذا الامر من الرّسالة او الولاية [خَيْراً مٰاسَبَقُونٰا اِلَيْهِ] لانّ نظر هم كان الى الدّنيا و لم يكونوا يعلمون خيراً الّا ما

يعدّ فى الانظار الحسّيّة من الخير، و كان المؤمنون اراذل النّاس واسوءهم حالاً فى نظرهم فقاسوا امر الآخرة على امر الدّنيا و قالوا هؤلاء اسوء حالاً منّافلو كان قبول الرّسالة اوالولاية خيراً لكنّا اولى منهم.

[وَاِذْلَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذٰا اِفْكٌ قَديمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتٰابُ مُوسىٰ] جملة حاليّة فى مقام الرّدّعليهم يعنى يقولون هذاكذبٌ سبق امثاله و الحال انّ من قبله كتاب موسى و هم يعترفون به و هو شاهد على صدقه حالكون كتاب موسى عليه السلام [اِمٰاماً] يؤمّه كلّهم بل كلّ النّاس [وَرَحْمَةً] سبب رحمة.

[وَ هٰذٰا كِتٰابٌ] ليس منافياً مخالفاً له حتّى يقرّوا بكتاب موسى و ينكروه [مُصَدِّقٌ] لكتاب موسى عليه السلام [لِسٰاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرىٰ لِلْمُحْسِنينَ] و هذا الانذار و تلك البُشرى دليل صدقه.

[اِنَّ الَّذينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا] قد مضى الآية و بيانها فى سورة السّجدة و هذه ردّ على ما قالوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه و ابطالٌ لقياسهم الفاسد.

[فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰهُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى فى سورة البقرة بيان اختلاف هاتين الفقرتين [اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ خٰالِدينَ فيهٰا جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ وَ وَصَّيْنَا الْاِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ اِحْسٰاناً] جملة منقطعة عمّا سبق بيان لحال اشخاصٍ او شخصٍ مخصوصٍ لكنّه أتى باداة العطف ايهاماً لاتّصالها بسابقها كأنّه قال: انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا على ما وصيّناهم و امرناهم و وصيّنا الانسان بوالديه احساناً.

[حَمَلَتْهُ اُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصٰالُهُ ثَلٰثُونَ شَهْراً] لمّا اراد المبالغة فى التّوصية فى حقّ الامّ ذكر ما تتحمّله الامّ من المشاقّ

على الولد [حَتّٰى اِذٰا بَلَغَ اَشُدَّهُ] قد سبق ذكر الاشدّ فى سورة الانعام و سورة يوسف و غيرهما، و ذكر بيانٌ له هناك.

[وَبَلَغَ اَرْبَعينَ سَنَةً قٰالَ] يعنى ينبغى ان يقول على ان تكون الآية عامّةً او يقول لامحالة على ان يكون الآية خاصّةً بالحسين عليه السلام كما فى اخبارنا.

[رَبِّ اَوْزِعْني] ألهمنى او أولعنى [اَنْ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي اَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلٰى وٰالِدَيَّ] هذه الكلمة تدلّ على انّ الآية خاصّةٌ بالحسين عليه السلام.

[وَ اَنْ اَعْمَلَ صٰالِحاً تَرْضيٰهُ وَ اَصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتي] ورد فى خبرٍ انّه لو لميقل فى ذرّيّتى لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّةً.

[اِنّي تُبْتُ اِلَيْكَ] عمّا يشغلنى عنك [وَ اِنّي مِنَ الْمُسْلِمينَ] المخلصين او المنقادين [اُولٰئِكَ الَّذينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ اَحْسَنَ مٰاعَمِلُوا] أتى بالجمع ايهاماً لتعميم الآية.

[وَ نَتَجٰاوَزُ عَنْ سَيِّئٰاتِهِمْ في اَصْحٰابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ] وعدنا وعد الصّدق [الَّذي كٰانُوا يُوعَدُونَ] قال الصّادق عليه السلام: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انّ فاطمة عليها السلام ستلد غلاماً تقتله امّتك من بعدك فلمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه ثمّ قال: لم تُر فى الدّنيا امّ تلد غلاماً تكرهه و لكنّها كرهته لما علمت انّه سيقتل، قال: و فيه نزلت هذه الآية، و فى روايةٍ اخرى: ثمّ هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد صلى الله عليه وآله انّ ربّك يقرؤك السّلام و يبشّرك بانّه جاعلٌ فى ذرّيّته الامامة و الولاية و الوصيّة فقال: انّى رضيت ثمّ بشّر فاطمة عليها السلام فرضيت قال: فلولا انّه قال: اصلح لى فى ذرّيّتى لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّةً، قال: ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من انثى،

كان يؤتى به النّبىّ ﷺ فيضع ابهامه فى فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين و الثّلاث فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ﷺ و دمه من دمه، و لم يولد لستّة اشهرٍ الّا عيسى بن مريم عليه السلام و الحسين، و فى نزول الآية فى الحسين عليه السلام قريباً بهذا المضمون اخبارٌ اُخر.

[وَ الَّذي قٰالَ] عطف على الانسان او بتقدير اذكر، و عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: اذكر الّذى قال بعد بلوغ الاربعين ربّ او زعنى و اذكر الّذى قال [لِوٰالِدَيْهِ اُفٍّ لَكُمٰا] هذه اسم صوتٍ و كلمة تضجّرٍ يعنى اذكر حتّى يظهر بمقابلة هذا لذلك حسن الاوّل و قبح الثّانى، او مبتدء و خبره اولئك و الجملة معطوفة.

[اَ تَعِدٰانِني اَنْ اُخْرَجَ] من قبرى حيّاً [وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ] الامم الماضية [مِنْ قَبْلي] و لم يرجع احدٌ منهم و لم يخرج من قبره حيّاً.

[وَ هُمٰا يَسْتَغيثٰانَ اللهَ وَيْلَكَ] هى وَى ولك و وَى كلمة تعجّب كأنّه قال: تعجّب لك، او هى الويل المضاف الى الكاف و المعنى الزم و يلك، او هى مخفّفة ويل و لك و المعنى ويل لك.

[اٰمِنْ اِنَّ وَعْدَاللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مٰا هٰذٰا اِلّاٰ اَساطيرُ الْاَوَّلينَ] قد مضى هذه الكلمة فى الانعام و الانفال و النّحل و غيرها مع بيانها، قال القّمىّ: نزلت فى عبدالرّحمن بن ابى بكرٍ.

[اُولٰئِكَ الَّذينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بانّهم اهل النّار [في اُمَمٍ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ اِنَّهُمْ كٰانُوا خٰاسِرينَ وَ لِكُلٍّ] من الفريقين او لكلّ فردٍ من افراد الفريقين.

[دَرَجٰاتٌ] ناشئة [مِمّٰاعَمِلُوا]، اولاجل ما عملوا، او هى عبارة من جزاء ما عملوا، او من نفس ما عملوا على تجسّم الاعمال.

و المراد بالدّرجات اعمّ من الدّركات [وَلِيُوَفِّيَهُمْ] قرئ بالغيبة و التّكلّم

و هو عطف على محذوف اى ليجزيهم بأعمالهم و ليوفّيهم [اَعْمٰالَهُمْ] بانفسها او بجزائها.

[وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على محذوفٍ اى ليوفّيهم فى الدّنيا او يوم البرزخ او لايظلمون فى الدّنيا او يوم البرزخ و يوم يعرضون او متعلّق بيقال محذوفاً، و التّقدير: يوم يعرض الّذين كفروا [عَلَى النّٰارِ] يقال لهم [اَذْهَبْتُمْ طَيِّبٰاتِكُمْ] اى جهاتكم الالهيّة الّتى هى اطيب من كلّ طيّبٍ [فِي حَيٰوتِكُمُ الدُّنْيٰا] بالاشتغال بالدّنيا و اتبّاع الاهواء حتّى تمكّن منكم الشّيطان، و من تمكّن منه الشّيطان فرّمنه جهاته الالٰهيّة.

[وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٰا] اى فيها او بسببها [فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ] عذاباً يكون سبباً للهوان فيكون مضاعفاً لانّه يكون عذاب الجسم و النّفس.

[بِمٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمٰا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ] و المراد بالاستكبار الظّهور بالانانيّة و تحقير الخلق، و بالفسق الخروج من طاعة من ينبغى ان يطاع.

[وَاذْكُرْ اَخٰاعٰادٍ] اى اخا قبيله عادٍ و هوهود عليه السلام و الجملة معطوفة باعتبار المعنى كأنّه قال: اذكر الّذى حملته امّه كرهاً، و اذكر الّذى قال لوالديه: افٍّ و اذكر اخاعادٍ.

[اِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْاَحْقٰاف] جمع الحقف بالكسر و هو الرّمل المستطيل المرتفع المشرف، او الرّمل العظيم المستدير او المعوجّ، و الاحقاف اسمٌ لبلاد قوم هودٍ و قد اختلف فى تعيينها.

قال القّميّ: هى من الشّقوق الى الاجعفر و هى اربعة منازل، و فى المجمع: هو وادٍ بين عمان و مهرة.

و قيل: رمال فيما بين عمان الى حضرموت، و قيل: رمال مشرفة على البحر بالشّجر من اليمن، و قيل: ارض خلالها رمال.

[وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ] اى الرّسل [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ] اى قبله و بعده [اَلّاٰ تَعْبُدُوا اِلَّا اللّهَ اِنّي اَخاٰفُ عَلَيْكُمْ عَذاٰبَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] مقداره او بلاؤه [قاٰلوا اَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنٰا] لتصرفنا [عَنْ آلِهَتِنا فأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا] من العذاب من الله [اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّاٰدِقينَ] فى ادّعاء الرّسالة و الوحى اليك و توعيد العذاب.

[قاٰلَ] النّذير او هودٌ [اِنَّمَا الْعِلْمُ] بوقت العذاب [عِنْدَاللّهِ] لاعلم لى بوقته حتّى اخيركم به اوعاجلكم به، و هو كنايةٌ عن كون العذاب بقدرة الله لابقدرته بحسب رسالته.

[وَاُبَلِّغُكُمْ ماٰ اُرْسِلْتُ بِهِ] و هذه و امثالها خروجٌ عن الانانيّة و اظهارٌ للعجز عن التّصرّف فى ملك الله و عباده و هو شيمة الانبياء و الاولياءعليهم السلام.

[وَلٰكِنّي اَرٰيكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ] تغمرون فى الجهل او تتّصفون بالجهل او تجهلون انّ الرّسل بعثوا بالرّحمة لابالعذاب و لذلك يتوعّدون و يتأتّون فيما يتوعّدون.

[فَلَمّٰا رَأَوْهُ] رأوا الموعود [عٰارِضاً] سحاباً عارضاً فى الافق [مُسْتَقْبِلَ اَوْدِيَتِهِمْ قٰالُوا هٰذٰا عٰارِضٌ مُمْطِرُنٰا] قال الملائكة او هودٌ او الله.

[بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ] من العذاب [رِيحٌ] بدل من ما [فِيهٰا عَذٰابٌ اَلِيمٌ تُدَمِّرُ] التّدمير المبالغة فى الا هلاك [كُلَّ شَيْءٍ] من الانفس و الاموال.

[بِاَمْرِ رَبِّهٰا فَأَصْبَحُوا لاٰ يُرىٰ اِلّاٰ مَسٰاكِنُهُمْ] قرئ بالتّاء الفوقانيّة مبنيّاً

للفاعل، او المفعول، و بالياء التّحتانيّة مبنيّاً للمفعول، و مساكنهم على حسبه و المعنى لاترى اّلا سكونهم او محلّ سكناهم.

[كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمجْرِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة الاعراف و سورة هودٍ.

[وَ لَقَدْ مَكَّنّٰاهُمْ فِيما اِنْ مَكَّنّٰا كُمْ فيهِ]ان نافية او شرطيّة محذوفةالجواب [وَجَعَلْنٰا لَهُمْ سَمْعاً وَ اَبْصٰاراً وَ اَفْئِدَةً]كما جعلنا لكم ذلك [فَمٰا اَغْنٰى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وُ لااَبْصٰارُهُمْ وَ لااَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَىءٍ] من عذاب الله او من شىء من الاغناء فلا تغترّوا انتم بسمعكم و ابصاركم و افئدتكم و دقّة تدبيركم بها.

[اِذْكٰانُوا يَجْحَدُونَ بِاٰياٰتِ اللهِ]كما كنتم تجحدون بها [وَحٰاقَ بِهِمْ مٰاكٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] اى وزرالقول و العمل الّذى كانوا به يستهزؤن او العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن.

[وَ لَقَدْ اَهْلَكْنٰامٰا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرىٰ] كقرى ثمود و قوم لوطٍ و شعيبٍ [وَ صَرَّفْنَا الْاٰياٰتِ] القوليّة و الكتبيّة فى الفاظ و نقوش مختلفة و الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة و الانفسيّة فى ازمان مختلفةٍ و امكنةٍ متعدّدةٍ و صورٍ مختلفةٍ.

[لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَوْلاٰ نَصَرَهُمُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبٰاناً اٰلِهَةً] اى ءاٰلهتهم الّتى متقرّبون بها الى الله و يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عندالله يعنى ان كان هؤلاء الالهة شفعاءكم و ينصرونكم عن عذاب الله فلولا نصر السّابقين الّذين حلّ بهم العذاب ءاٰلهتهم.

[بَلْ ظَلُّوا عَنْهُمْ]ولم يثبتوا معهم [وَذٰلِكَ] الاتّخاذ [اِفْكُهُمْ]و صرفهم عن طريق الحقّ [وَ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] ماموصولة و عطف على

افكهم او استفهاميّة او نافية بتقدير الاستفهام.

[وَ اِذْ صَرَفْنا] و اذكر او ذكّر قومك اذ صرفنا [اِلَيْكَ نَفراً مِنَ الْجِنِّ] و المعنى صرّفناهم اليك من محالّهم بالتّوفيق، و قيل: صرّفناهم اليك عن استراق السّمع من السّماء برجوم الشّهب و لم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا منه فقالوا: ما هذا الّذى حدث فى السّماء الّا من اجل شيء قد حدث فى الارض فضربوا فى الارض حتّى وقفوا على النّبىّ ﷺ و هو يصلّى الفجر فاستمعوا القرءان.

[يَسْتَمِعُونَ الْقُرْاٰنَ فَلَمّا حَضَرُوهُ] اى النّبىّ ﷺ او القرءان [قالُوا] بعضهم لبعضٍ [اَنْصِتُوا] نستمع قراءته بلامانعٍ.

[فَلَمّا قُضِيَ] فرغ منه [وَلَّوْا اِلٰى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالُوا] بدل من منذرين او حالٌ او مستأنفٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

[يا قَوْمَنا اِنّا سَمِعْنا كِتاباً اُنْزِلَ مِنْ بَعْدَ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب [يَهْدي اِلَى الْحَقِّ وَ اِلىٰ طَريقٍ مُسْتَقيمٍ] المراد بالحقّ احكام الملّة و بالطّريق المستقيم الولاية او بالعكس، او المراد بهما هى الولاية من قبيل عطف اوصافٍ متعدّدةٍ لشيءٍ واحدٍ.

نقل انّه لمّا توفّى ابوطالبٍ اشتدّ البلاء على رسول الله ﷺ فعمد ليقف بالطّائف رجاء ان يؤووه فوجد ثلاثة نفرٍ منهم هم سادة و هم اخوة فعرض عليهم نفسه، فقال احدهم: انا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله يعثك بشيءٍ قطّ، و قال الآخر: اعجز على الله ان يرسل غيرك؟ ـ و قال الآخر: و الله لااكلّمك بعد مجلسك هذا ابداً، فلئن كنت رسولاً كما تقول فأنت اعظم خطراً من ان يُردّ عليك الكلام و ان تكذب على الله فما ينبغى لى ان اكلّمك، و تهزؤا به وافشوا فى قومه ما راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه.

فلمّا مرّرسول الله ﷺ بين صفيّهم جعلوا لايرفع رجليه و لايضعهما ألّا رضخوهما بالحجارة حتّى ادموا رجليه، فخلص منهم و هما يسيلان دماً الى حائط من حوائطهم و استظلّ فى ظلٍّ منه و هو مكروبٌ موجع تسيل رجلاه دماً.

فاذا فى الحائط عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة فلمّا رءاهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهماالله و لرسوله، فلمّا رأياه ارسلا اليه غلاماً لهما يُدعى عداس معه عنبٌ و هو نصرانيّ من اهل نينوى فلمّا جاءه قال له رسول‌الله ﷺ: من اىّ ارضٍ انت؟

ـ قال: من اهل نينوى، قال: من مدينة العبد الصّالح يونس بن متّى؟

ـ فقال له عداس: و ما يدريك من يونس بن متّى؟

ـ فقال: انا رسول الله ﷺ، والله تعالى اخبرنى خبر يونس بن متّى، فلمّا اخبره بما أوحى الله اليه من شأن يونس خرّ عداس ساجداً لرسول الله ﷺ و جعل يقبّل قدميه و هما يسيلان الدّماء، فلمّا بَصر عتبة و شيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلمّا أتاهما قالا: ماشأنك سجدت لمحمّدٍ ﷺ و قبّلت قدميه؟

ـو لم تُرَك فعلت ذلك باحدٍ منّا؟

ـ قال: هذا رجل صالح اخبرنى بشيءٍ عرفته من شأن رسولٍ بعثه الله الينا يُدعى يونس بن متّى فضحكا و قالا: لايفتننّك عن نصرانيّتك فانّه رجل خدّاع!

فرجع رسول الله ﷺ الى مكّة حتّى اذاكان بنحلة قام فى جوف اللّيل يصلّى فمرّ به نفرٌ من جنّ اهل نصيبين من اليمن، فوجدوه يصلّى صلوة الغداء و يتلو القرءان فاستمعوا له.

و روى غير ذلك فى قصّة صرف الجنّ اليه، من اراد فليرجع الى المفصّلات.

[يٰا قَوْمَنٰا اَجيبُوا دٰاعِيَ اللّٰهِ وَ اٰمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ] الله او الدّاعى [لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مَنْ عَذٰابٍ اَليمٍ وَ مَنْ لٰا يُجِبْ دٰاعِيَ اللّٰهِ] ابتداء كلام من الله تعالى او جزء كلام النّفر من الجنّ.

[فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الْاَرْضِ وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ اَوْلِيٰاءُ اُولٰئِكَ فى ضَلٰالٍ مُبينٍ اَوَلَمْ يَرَوْا] هذا ايضاً امّا ابتداء كلام من الله او جزء كلام الجنّ.

[اَنَّ اللّٰهَ الَّذى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقٰادِرٍ عَلٰى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتٰى بَلٰى اِنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذينَ كَفَرُوا عَلَى النّٰارِ]عطف على اذصر فنا عطف المفرد، او مقدّر باذكر، او متعلّق بيقال المقدّر، او بقالوا، و عطف نحو عطف الجملة.

[اَلَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ] مقدّرٍ بالقول [قٰالُوا بَلٰى وَ رَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابُ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بالله او بالرّسول او بالآخرة او بالولاية فاذا كان أمر هؤلاء على ماذكر.

[فَاصْبِرْ] و لاتجزع على أذاهم و لاتستعجل عذابهم [كَمٰا صَبَرَ اُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] المشهور من اخبارنا انّ اولى العزم من الرّسل خمسة، نوح و ابراهيم و موسى و عيسى عليه السلام و محمّد صلى الله عليه و آله و سمّوا اولى العزم لانّ شريعتهم كانت ناسخةً لما سبق من الشّرائع و كانت حتماً على كلّ الخلائق بخلاف سائر الانبياء عليهم السلام فانّ شريعتهم كانت شريعة من سبقهم، و كانت فى قومٍ دون قومٍ، و على هذا يكون من فى قوله تعالى من الّرسل للّتبعيض.

و قيل: جميع الرّسل كانوا اولى العزم فانّهم لم يكونوا على تردّدٍ من امرهم فيكون من للّتبيين.

و قيل: اولوالعزم كانوا ستّةً، نوح صبر على اذى قومه، و ابراهيم صبر

على النّار، و اسحاق صبر على الذّبح، و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر، و يوسف صبر فى البئر و السّجن، و ايّوب صبر على الضّرّ و البلوى.

و قيل: هم الّذين امروا بالجهاد و القتال و اظهروا المكاشفة و جاهدوا فى الدّين، و قيل: هم ابراهيم و هود و نوح عليه السلام و رابعهم محمّد صلى الله عليه وآله [وَلاٰ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ] العذاب فانّه كائن لامحالة عن قريبٍ.

[كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مٰايُوعَدُونَ] من العذاب [لَمْ يَلْبَثُوا] فى التّنعّم و الدّنيا [إِلاّٰ سٰاعَةً مِنْ نَهٰارٍ] يعنى انّ المكث فى الدّنيا و ان كان اطول زمانٍ ليس الّا كساعة فما لك تستعجل العذاب الوارد عليهم عن قريبٍ.

[بَلاٰغٌ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ و الجملة صفة ساعة، او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اى هذه السّاعة ليست لتمتّعهم بل هى بلاغ لهم الى يوم يرونه فهو تسليةٌ اخرى له صلى الله عليه وآله و علّة اخرى لنهيه عن الاستعجال.

او هذا اللّبث بلاغ لهم الى هذا اليوم، او مبتدء خبرٍ محذوفٍ اى لهم بلاغ سيبلغون الى هذا اليوم فلاتستعجل، او لهم بلاغ الى هذا اليوم الآن فانظر حتّى ترى.

فانّ الكلّ بوجهٍ فى نظر البصير فى القيامة و الحساب، او المعنى هذا القرءان، او هذه المواعظ و التّهديدات، او ولاية علىٍّ عليه السلام تبليغ منك لرسالتك فلاتكترث بهم قبلوا اوردّوا.

[فَهَلْ يُهْلَكُ] عن الحيوة الانسانيّة [إِلاَّ الْقَوْمُ الْفٰاسِقُونَ] الخارجون عن طاعة ولاةالامر فلاتحزن على الهالكين، قيل: ما جاء فى الرّجاء شيءٌ اقوى من هذه الآية.

سُورَةُ محمد

و تسمّى ايضاً سورة القتال، مدنيّة، و قيل: غير ءاٰيةٍ منها انزلت على النّبىّ ﷺ و هو يريد المدينة و جعل ينظر الى البيت و هو يبكى حزناً فنزلت و هى قوله تعالى: و كأيّن من قريةٍ هى اشدّ قوّة (الاٰية) و هى اربعون ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] اعلم، انّ هذه السّورة ذكر فيها حال المؤمنين بعلىٍّ عليه السلام و الجاحدين لولايته و ان كانت الآيات بظواهرها عامّة لكنّ المنظور منها ذلك كما نشير اليه فى مواقعه.

فقوله الّذين كفروا ظاهره اعمّ من الكفر باللّه او بالرّسول ﷺ او بالاٰخرة او بعلىٍّ عليه السلام و ولايته، لكنّ المقصود الكفر بالولاية بقرينة قوله صدّوا عن سبيل اللّه فانّ سبيل اللّه ليس الّا الولاية سواءٌ جعل صدّوا بمعنى اعرضوا اومنعوا.

[اَضَلَّ اَعْمٰالَهُمْ] الّتى عملوها فى الاسلام، القمّىّ قال: نزلت فى اصحاب رسول اللّه ﷺ الّذين ارتّدوا بعد رسول اللّه ﷺ و غصبوا اهل بيته حقّهم، و صدّوا عن امير المؤمنين عليه السلام و عن ولاية الائمّة عليهم السلام.

[وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة اى اسلموا [وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اللّازمة لبيعتهم العامّة.

[وَ اٰمَنُوا بِمٰا نُزِّلَ عَلٰى مُحَمَّدٍ] فى علىٍّ عليه السلام بقبول ولايته و البيعة معه [وَ هُوَ الْحَقُّ] اى الولاية الّتى نزلت على محمّدٍ ﷺ هى الحقّ [مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ] أزال عنهم [سَيِّئٰاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بٰالَهُمْ] حالهم او قلبهم،

قال القمّيّ: نزلت فى ابى‌ذر و سلمان و عمّارٍ و مقدادٍ لم ينقضوا العهد و ءامنوا بما نزل على محمّدٍ ﷺ اى ثبتوا على الولاية الّتى أنزلها الله و هو الحقّ يعنى امير المؤمنين عليه‌السلام.

[ذٰلِكَ] الاضلال و تكفير السّيّئات و اصلاح الحال [بِاَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] بالولاية [اتَّبَعُوا الْباطِلَ] اى اهواءهم و اعداء امير المؤمنين عليه‌السلام العموم الّذى لايلتفت اليه اعداء ءال محمّد ﷺ حتّى يسقطوه [يَضْرِبُ اللهُ لِلنّاسِ اَمْثالَهُمْ] اى اوصافهم او حكاياتهم او الامثال الّتى تشبه احوالهم [فَاِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابَ] فاضربوهم ضرب الرّقاب [حَتّىٰ اِذا اَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ] يعنى فاسروهم و احفظوهم بالوثاق، و الوثاق بالكسر و الفتح ما يوثق به.

[فَاِمّا مَنّاً] اى تمنّون منّاً [بَعْدُ وَ اِمّا فِداءً] تخيير بين المنّ و الفداء، او بيان لفائدة الحكم السّابق من دون تعرّضٍ لحكم المنّ و الفداء [حَتّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ اَوْزارَها] بيانٌ لغاية ضرب الرّقاب و شدّ الوثاق يعنى انّ ضرب الرّقاب و اسرالرّجال ليس الّا مادام الحرب قائمة فاذا انقضت الحرب فلا تتعرّضوا لهم، او المعنى حتّى لايبقى محاربٌ و حرب فى بلادكم فيكون رفع المحاربة من البين علّةً غائيّةً للمحاربة.

عن الصّادق عليه‌السلام انّه قال: كان ابى يقول: انّ للحرب حكمين؛ اذا كانت الحرب قائمة لم تضع اوزارها و لم يثخن اهلها فكلّ اسيرٍ اخذ فى تلك الحال فانّ الامام فيه بالخيار، ان شاء ضرب عنقه و ان شاء قطع يده و رجله من خلافٍ بغير حَسْمٍ[1] و تركه يتشحّط فى دمه حتّى يموت و هو قول الله عزّ و

١- اى بغير قطع الدّم ففى الّصحاح حسمته، قطعته فانحسم، و منه حَسْم العرق.

جلّ: انّمَا جَزٰاءُ الَّذِينَ يُحٰارِبُونَ اللهَ (الآية) قال و الحكم الآخر اذا وضعت الحرب اوزارها و أثخن اهلها فكلّ اسيرٍ اخذ على تلك الحال فكان فى ايديهم فالامام فيه بالاخيار ان شاء منّ عليهم فأرسلهم، و ان شاء فاداهم انفسهم، و ان شاء استعبدهم فصاروا عبيداً.

[ذٰلِكَ] اى الامر و السّنّة بحسب الاسباب ذلك، او ذلك حكم الله بحسب الاسباب، اوخذاوا ذلك والزموه بحسب الاسباب [وَ] لكن [وَ لَوْ يَشٰاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ] من دون امركم بقتالهم.

[وَ لٰكِنْ] يأمركم بقتالهم [لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ] فانّ فى الجهاد تحصيل خصالٍ عظيمةٍ لايمكن تحصيلها الّابه، و تهديداً عظيماً للكفّار حتّى يرغبوا فى التّوبة قبل الاستيصال.

[وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ]قرئ قتلوا مجردّاً مبنيّاً للمفعول، و قرئ قاتلوا [فَلَنْ يُضِلَّ اَعْمٰالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ] الى ما ينبغى ان يُهدوا اليه من الكمالات الانسانيّة و درجات الجنان.

[وَ يُصْلِحُ بٰالَهُمْ]حتّى لايكون حين تلذّ ذاتهم الانسانيّة ما يغيّر حالهم [وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهٰا لَهُمَ]جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حالٌ و المعنى انّ الجنّة عرّفها الله لهم بانّ فيها ما تشتهيه الانفس و تلذّ الاعين و فيه الّذى ما خطر على قلب بشرٍ.

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ]قدمضى فى سورة الحجّ بيان لهذه الآية. [وَ يُثَبِّتْ اَقْدٰامَكُمْ] فى دينكم الّذى هو ولاية علىٍّ عليه السلام [وَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالولاية [فَتَعْساً لَهُمْ] تعسوا تعساً لهم و التّعس الهلاك و العثار و السّقوط و الشّرّ و البعد و الانحطاط، و الفعل كمنع و سمع، و يستعمل متعدّياً فيقال: تعسه الله مثل اتعسه الله.

[وَاَضَلَّ اَعْمالَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَرِهُوا ماانْزَلَ اللهُ] فى علىٍّ عليه السلام، كذا. روى عن الباقر عليه السلام ألّا انّه كشط الاسم.

[فَأَحْبَطَ اَعْمالَهُمْ اَفَلَمْ يَسيرُوا فِى الْاَرْضِ] اى ارض الطّبع او ارض القرءاٰن او الاخبار او الّسير او ارض العالم الصّغير [فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] ممّن كذّب بآيات الله و لم يصدّق خلفاء الله حتّى يتنبّهوا القبح فعلهم و تكذيبهم و عقوبته.

[دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ]دمر كنصر و دمّر من التّفعيل اهلك، و دمر دموراً هجم هجوم الّشرّ و دخل بغير اذنٍ [وَلِلْكافِرينَ] بالولاية [اَمْثالُها ذٰلِكَ]التّدمير.

[بِاَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذينَ اٰمَنُوا] بالولاية لاالّذين كفروا بها [وَاَنَّ الْكافِرينَ] بالولاية [لامَوْلى لَهُمْ اِنَّ اللهَ يَدْخِلُ الَّذينَ اٰمَنُوا] مستأنفةٌ جوابُ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما يفعل الله بهم فى كونه مولى لهم؟ ـ و ما يفعل بالكافرين فى كونهم لامولى لهم؟ ـ و المراد بالايمان البيعة الخاصّة الولويّة او الحالة الحاصلة بها، او البيعة العامّة النّبويّة، و المراد بالعمل الصّالح البيعة الخاصّة.

[وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ وَالَّذينَ كَفَرُوا] بولاية ولىّ امرهم [يَتَمَتَّعُونَ] يتلذّ ذون.

[وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْاَنْعامُ] يعنى يتمتّعون كالانعام من غير نظرٍ الى عاقبتهم و عاقبة تمتّعهم [وَالنّارُ مَثْوىً لَهُمْ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ اَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي اَخْرَجَتْكَ] و هى مكّة.

[اَهْلَكْناهُمْ فَلاناصِرَ لَهُمْ اَفَمَنْ كانَ] يعنى لميكن عندنا تميزٌ فمن كان [عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ] و هو علىٌّ عليه السلام كما مضى فى سورة هودٍ.

[كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا اَهْواءَهُمْ] عن الباقر عليه السلام هم المنافقون [مَثَلُ الْجَنَّةِ]جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: ما وصف الجنّة الموعودة

للمؤمنين و حكايتها؟ ـ فقال: وصف الجنّة [الَّتي وُعِدُ الْمُتَّقُونَ فيها اَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ اٰسِنٍ] غير متغيّرٍ بحسب الطّعم و الرّيح و اللّون و الجملة خبر المثل، و اكتفى عن الرّابط بكونها عين المبتداء.

[وَاَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَاَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةً لِلشّارِبِينَ] مصدر بمعنى الوصف او وصف، و خمر الجنّة لاحرمة فيها و لانجاسة و لاغائلة خمارٍ ولانتن ريحٍ و لامرارة طعم و لذلك وصفها باللّذّة.

[وَاَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى] ممّا يخالط العسل الدّنيوىّ [وَلَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ] الدّنيويّة و الاُخرويّة من ثمرات العلوم و المشاهدات و التّسبيح و التّحميد [وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فوق الكلّ.

[كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى امن كان فى الجنّة فى تلك النّعم كمن هو خالدٌ فى النّار [وَ سُقُوا ماءً حَميماً] مسخّناً و قد يكون الحميم بمعنى الماء البارد و لكنّ المراد ههنا الاوّل.

[فَقَطَّعَ اَمْعاءَهُمْ] من فرط حرارته، و هذا مقابل الانهار الّتى وعد المتّقون [وَمِنْهُمْ] من المنافقين [مَنْ يَسْتَمِعُ اِلَيْكَ حَتّىٰ اِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدَكَ] يعنى انّ مقصودهم من الاستماع الاستهزاء بك او المعنى منهم من هو مطبوع على قلبه فيستمعون اليك و لايفهمون كلامك حتّى اذا خرجوا من عندك.

[قالُوا] لعدم تفطّنهم بكلامك [لِلَّذينَ اُوتُوا الْعِلْمَ ماذا قالَ اٰنِفاً اُولٰئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا اَهْواءَهُمْ وَ الَّذينَ اهْتَدَوْا] الى ولاية علىٍّ عليه السلام [زادَهُمْ] الله، او محمّد صلى الله عليه وآله، او ما قال محمّد صلى الله عليه وآله، او استهزاء المنافقين.

[هُدىً وَاٰتيٰهُمْ] الضّمير الفاعل لواحدٍ من المذكورات [تَقْويٰهُمْ] يعنى

صار سبباً لاتّصافهم بالتّقوى الّلائقة بهم او ءاٰتاهم ثواب تقويهم من العلم و الّذكاوة.

[فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا السّاعَةَ اَنْ تَأْتِيَهُمْ] بدل من السّاعة بدل الاشتمال، او بتقدير الّلام و تعليل لانتظارهم [بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ اَشْراطُها] جمع الّشرط بالتّحريك بمعنى العلامة فانّ من علاماتها فى العالم الكبير بعثة محمّدٍ ﷺ و انشقاق القمر و نزول ءاٰخر الكتب، و فى العالم الصّغير اوّل الاشراط نزول العقل من عالمه العلوىّ فيه ثمّ التّغييرات الّتى تكون فيه ثمّ الامراض الّتى ترد عليه و غير ذلك ممّا يدلّ على زواله و دثوره، و قرئ ان تأتهم بكسران و جزم تأتهم و جوابه فقد جاء اشراطها يعنى ان تأتهم بغتةً فلا غروفيه فقد جاء اشراطها، او جوابه قوله تعالى.

[فَاَنّىٰ لَهُمْ اِذٰا جٰاءَتْهُمْ] السّاعة [ذِكْرٰيهُمْ] يعنى لاينفع ذكريهم اذا جاءتهم الّساعة، و يجوز ان يكون فاعل جاءتهم ذكريهم.

عن النّبىّ ﷺ انّ من اشراط الّساعة ان يرفع العلم، و يظهر الجهل، و يشرب الخمر، و يفشو الزّنا، و يقلّ الرّجال، و تكثر النّساء، حتّى انّ الخمسين امرأة فيهنّ واحد من الرّجال.

حديثٌ فى احوال النّاس فى اخرالزّمان

و قال القمّىّ: انّ ابن عبّاسٍ قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجّة الوداع فأخذ بحلقةباب الكعبة ثمّ اقبل علينا بوجهه بوجهه فقال: الا أخبركم باشراط السّاعة؟

ـ فكان ادنى النّاس منه يومئذٍ سلمان رحمه الله فقال: بلى يا رسول الله، فقال: انّ من اشراط القيامة اضاعة الصّلوات، و اتبّاع الّشهوات، و الميل مع الاهواء، و تعظيم اصحاب المال، و بيع الدّين بالدّنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن فى جوفه كما يذاب الملح فى الماء ممّا يرى من المنكر فلايستطيع ان يغيّره.

قال سلمان: و انّ هذا لكائنٌ يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال، اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يليهم امراء جَوَرة، و وزراء فسقة، و عرفاء ظلمة، و امناء خونة.

فقال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول‌الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده: يا سلمان انّ عندها يكون المنكر معروفاً و المعروف منكراً، و يؤتمن الخائن و يخون الامين، و يصدّق الكاذب و يكذّب الصّادق.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول‌الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان فعندها تكون امارة النّساء و مشاورة الاماء و قعود الصّبيان على المنابر و يكون الكذب ظرفاً[۱] و الزّكوة مغرماً و الفىء مغنماً و يجفو الرّجل و الديه و يبرّ صديقه و يطلع الكوكب المذنب.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها فى التّجارة، و يكون المطر قيظاً و بغيظ الكرام غيظاً، و يحتقر الرّجل المعسر فعندها تقارب الاسواق اذقال هذا: لم ابع شيئاً، و قال هذا، لم اربح شيئاً فلاترى الّا ذامّاًلله.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان فعندنا يليهم اقوام ان تكلّموا

۱- الظّرف كالضّرب و الظّرافة و هو حسن القول اوحسن الوجه و الهيئة اوحسن اللّسان و البراعة و ذكاء القلب او من لايوصف الّا الفتيان.

قتلوهم و ان سكتوا استباحوهم، ليستأثرون بفيئهم، و ليطؤنّ حرمتهم، و ليسفكنّ دماءهم، و ليملأنّ قلوبهم دغلاً و رعبا فلاتراهم اّلاوجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول‌الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يؤتى بشىء من المشرق و بشىء من المغرب يلون امّتى، فالويل لضعفاء امّتى منهم و الويل لهم من الله لايرحمون صغيراً و لايوقّرون كبيراً و لايتخافون عن مسىء جثّتهم جثّة الآ دميّين و قلوبهم قلوب اّلشياطين.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها يكتفى الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء و يُغار[1] على الغلمان كما يُغار على الجارية فى بيت اهلها، و تشبّه الرّجال بالنّساء و النّساء بالرّجال و تركبن ذوات الفروج اّلسروج فعليهنّ من امّتى لعنة الله.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها تزخرف المساجد كما تُزخرف البيَع و الكنائس و تحلّى المصاحف و تطوّل المنارات و تكثر الصّفوف بقلوبٍ متباغضةٍ و السنٍ مختلفةٍ.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قالى: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها تحلّى ذكور امّتى بالّذهب و يلبسون الحرير و الدّيباج و يتّخذون جلود النّمور صفافاً[2].

١ـ اغار اهله تزوّج عليها.

٢ـ الصّفف = ما يلبس تحت الدرع.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يظهر الرّبا و يتعاملون بالعِينة[١] و الرّشىٰ، و يوضع الدّين و ترفع الدّنيا.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يكثر الطّلاق فلايقام‌لله حدٌّ و لن يضرّ والله شيئاً.

قال سلمان: و انّ هذا لكائنٌ يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها تظهر المغنّيات و المعازف[٢] و تليهم اشرار امّتى.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يحجّ اغنياء امّتى للنّزهة، و يحجّ اوساطهم للتّجارة، و يحجّ فقراءهم للرّيا و الّسمعة فعندها تكون اقوام يتعلّمون القرءاٰن لغير الله و يتّخذونه مزامير، و يكون اقوام يتفقّهون لغير الله، و يكثر اولاد الزّنا و يتغنّون بالقرءاٰن و يتهافتون[٣] بالدّنيا.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان ذلك اذا انتهك المحارم و اكتسبت المآثم، و سُلّط الاشرار على الاخيار، و يفشو الكذب، و تظهر اللّجاجة، و تفشو الفاقة، و يتباهون فى اللّباس، و يمطّرون فى غير اوان

١- بيع العينة = بيع الشّىء الى اجلٍ بزيادةٍ على ثمنه.

٢- المعازف = ءاٰلات الطّرب كالطّنبور و العود.

٣- اى يتفاخرون و يتسابقون، تهافت على الشّيىء بمعنى تساقط و تتابع و اكثر استعماله فى الشّر.

المطر، و يستحسنون الكوبة[١] و المعارف، و ينكرون الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر حتّى يكون المؤمن فى ذلك الزّمان اذلّ من الأمة و يظهر قرّاءهم و عبّادهم فيما بينهم التّلاوم فاولئك يدعون فى ملكوت السّماوات الارجاس الانجاس.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان فعندها لايخشى العنىّ الّا الفقر حتّى انّ السّائل يسئل فيما بين الجمعتين لايصيب احداً يضع فى كفّه شئياً.

قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟

ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان عندها يتكلّم الرُّ وبَيْضَة.

فقال سلمان: و مالرّ وبَيْضَة يا رسول الله ﷺ فداك ابى و امّى؟

قال: يتكلّم فى امر العامّة من لميكن يتكلّم، فلم يلبثوا الّا قليلاً حتّى تخور الارض خورة فلايظنّ كلّ قوم الّا انّها خارت فى ناحيتهم فيمكثون ماشاءالله ثمّ ينكثون فى مكثهم فتلقى لهم الارض افلاذ[٢] كبدها ذهباً وفضّةً، ثمّ اومى بيده الى الاساطين فقال: مثل هذا، فيومئذٍ لاينفع ذهبٌ و لافضّةٌ فهذا معنى قوله: فقد جاء اشراطها.

[فَاعْلَمْ] يعنى اذا علمت ذلك فاعلم [اَنَّهُ لااِلٰهَ اِلَّا اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لَلْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَتَقَلَّبَكُمْ] تقلبّكم و انتقالاتكم فانّ لكم انتقالات من اوّل استقرار نطفكم و موادّكم فى الارحام

١- الكوبة = النّرد و الشّطرنج و الطّبل الصغير و البربط.

٢- الفِلْذ = كبد البعير و افلاذ الارض كنوزها.

الى ءاٰخر الدّنيا و هكذا فى البرازخ الى الاعراف، او محالّ تقلبّكم من مراتب الدّنيا و البرازخ.

[وَ مَثْويٰكُمْ] فى مراتب الآخرة الّتى هى كثيرة بحسب مراتب النّاس [وَ يَقُولُ الَّذينَ اٰمَنُوا لَوْلانُزِّلَتْ سُورَةٌ] فى امر الجهاد او مطلقة و المراد بالمؤمنين مطلق المسلمين او المنافقون منهم او المؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة.

[فَاِذٰا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ] مبيّنة المعنى و المقصود، او غير ما يتطرّق فيه النّسخ، او عزيمة احكامها لارخَصٌ [وَذُكِرَ فيهَا الْقِتٰالُ] يعنى ذكر فيها الحكم بالقتال على سبيل العزيمة.

[رَأَيْتَ الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] الّذين هم بعض آلسائلين او رأيت السّائلين لكنّه وضع الظّاهر موضع المضمر لذمّهم و بيان علّد الحكم، او رأيت الّذين فى قلوبهم مرضٌ و هم غير آلسائلين.

[يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ] لشدّة خوفهم و دهشتهم [فَاَوْلٰى لَهُمْ] كلمة تهديدٍ و زجرٍ كأنّه نقل من اصله و صار من قبيل اسماء الاصوات، او من قبيل الامثال لايغيّر و كان فى الاصل فعلاً من الولى بمعنى القرب، او من ءاٰل بمعنى رجع مقلوباً او وصفاً منهما، او من الويل، او بمعنى احرى، و سيجىء تفصيله فى سورة القيامة و على هذا فهو خبر و قوله تعالى.

[طٰاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ] مبتدءه، او طاعةٌ مبتدء خبره محذوف اى خبر، و قرئَ يقولون طاعة، و حينئذٍ يكون المعنى يقولون لنا طاعة و قول معروف.

[فَاِذٰا عَزَمَ الْاَمْرُ] عزموا على الامر جدّوا فيه و قطعوا على فعله و عزم الامر بمعنى عُزم عليه [فَلَوْ صَدَقُواالله] فيما قالوا لو لاانزل سورةاى

فيما يستفاد منه من الحرص على الجهاد او فى مطلق ما قالوا و أقرّوا بلسانهم من الايمان و التّصديق بالله و الرّسول ﷺ و قبول الاحكام، او فيما اقرّوا به من امارة علىٍّ عليه السلام و التّسليم عليه باءمرة المؤمنين.

[لَكٰانَ خَيْراً لَهُمْ] ممّا يزعمونه خيراً من ايّام الدّنيا و تمتّعانها [فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عن علىٍّ عليه السلام او ان تولّيتم امور النّاس، و قرئ ان تولّيتم بالبناء للمفعول اى ان تولاّكم النّاس.

[اَنْ تُفْسِدُوا فِى الْاَرْضِ] يعنى ان تولّيتم لميكن شأنٌ سوى الافساد فينبغى لكم ان لاترجوا غيره حين التّولىّ [وَ تُقَطِّعُوا اَرْحٰامَكُمْ] الصّوريّة و المعنويّة.

[اُولٰئِكَ] التفات من الخطاب الى الغيبة [الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ اَعْمىٰ اَبْصٰارَهُمْ] يعنى اصمّم عن ادارك الجهة الاخرويّة من المسموعات و اعمى ابصارهم كذلك.

[اَ] يقدرون على التّأمّل فى الآيات و القرءاٰن [فَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ اَمْ عَلٰى قُلُوبٍ اَقْفٰالُهٰا] فلا يقدرون على التّدبّر، و نكّر القلوب مع انّ المناسب ان يقول ام على قلوبهم للاشعار بانّ القلوب الّتى عليها اقفالها كأنّها ليست قلوب الانسان فلايضاف اليهم، او انّها لغاية حقارتها كأنّها لايمكن ان تعرّف، و اضافة الاقفال الى القلوب للاشارة الى انّ اقفال القلوب من سنخ القلوب لامن جنس الاقفال الصّوريّة.

و قد مضى فى اوّل البقرة انّ لكلٍّ من القلوب روزنةً الى الملكوت العليا و روزنةً الى الملكوت الّسفلى، و باعتبار لكلٍّ بابٌ الى الملكوت العليا، و بابٌ الى الملكوت الّسفلى، و اذا انفتح كلٌّ من البابين اغلق الآخر.

[اِنَّ الَّذينَ ارْتَدُّوا عَلٰى اَدْبٰارِهِمْ] شبّه الّسالك على طريق الدّين

بمن سلك طريقاً، و الرّاجع عن الدّين بمن ارتدّ عن الطّريق على دَبْره و هذا حال المسلمين الّذين أسلموا بمحمّدٍ ﷺ ثمّ خالفوه فى أوامره.

[مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى] بقول الله و قول رسوله و المراد بالهدى الولاية و طريقها و قد بيّنها الله تعالى فى عدّة ءايٰاتٍ و بيّنها رسول‌الله ﷺ فى عدّة مواضع.

و قد ورد فى خبرٍ انّه ﷺ اخذ البيعة منهم فى عشرة مواطن و فى خبرٍ ءاخر: اخذ البيعة عنهم يوم الغدير ثلاث مرّاتٍ.

[الشَّيْطٰانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ اَمْلٰى لَهُمْ] امليت له فى غيّه اطلت، و البعير وسعت له فى قيده، و املى الله له امهله.

[ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قٰالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ] فى علىٍّ عليه‌السلام و خلافته [سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْاَمْرِ وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ اِسْرٰارَهُمْ]قرىء مصدراً و جميعاً.

قال الصّادق عليه‌السلام: فلانٌ و فلانٌ ارتدّوا عن الايمان فى ترك ولاية اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: نزلت والله فيهما و فى اتباعهما و هو قول الله عزّ و جلّ الّذى نزّل به جبرئيل على محمّدٍ ﷺ ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله فى علىٍّ عليه‌السلام سنطيعكم فى بعض الامر قال: دعوا بنى اميّة الى ميثاقهم الّا يصيروا الامر فينا بعد النّبىّ ﷺ و لايعطونا من الخمس شيئاً و قالوا: ان اعطيناهم ايّاه لم يحتاجوا الى شىء و لم يبالوا ان لايكون الامر فيهم فقالوا: سنطيعكم فى بعض الامر الّذى دعوتمونا اليه و هو الخمس ان لانعطيهم منه شيئاً و الّذى نّزل الله ما افترض على خلقه من ولاية اميرالمؤمنين عليه‌السلام و كان معهم ابوعبيدة و كان كاتبهم فانزل الله ام ابرموا امراًفاّ نامبرمون ام يحسبون انّا لانسمع سرّهم و نجويهم (الاية) و عنهما انّهم بنواميّة كرهوا ما نزّل الله ولاية علىٍّ عليه‌السلام.

[فَكَيْفَ] يكون حالهم او كيف يحتاجون [اِذٰا تَوَفَّتْهُم الْمِلاٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ اَدْبٰارَهُمْ ذٰلِكَ] الضّرب.

[بِاَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مٰا اَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوٰانَهُ] من ولاية عليٍّ عليه السلام فانّ الرّحمة و الرّضا و الرّضوان و النّعمة كلّها ولاية عليٍّ عليه السلام [فَأَحْبَطَ] الله او ذلك الاتّباع و الكراهة [اَعْمٰالَهُمْ] عن الباقر عليه السلام قال: كرهوا عليّاً عليه السلام امر الله بولايته يوم بدرٍ و يوم حنينٍ و ببطن نخلة و يوم التّروية و يوم عرفة نزلت فيه خمس عشرة ءاٰية في الحجّة الّتى صّدّ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام و بالجحفة و بخمّ و المراد بحبط الاعمال حبط ما عملوها فى الاسلام.

[اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ]ان لن يظهر الله [اَضْغٰانَهُمْ] لرسوله و للمؤمنين يعنى انّ هذا ظنٌّ فاسدٌ و نحن نخرج اضغانهم [وَ لَوْ نَشٰاءُ لَأَرَيْنٰاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمٰاهُمْ] يعنى لو نشاء تعريفهم لك لأريناكهم حتّى تعرفهم بسيماهم و نفاقهم الباطنىّ.

[وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ] ان لم تكن تعرفهم بسيماهم، و يجوز ان يكون الخطاب لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله و ان يكون لغير معيّنٍ و المراد بلحن القول فحواه و مقصوده من الكناية و التّورية و التّعريض، او امالته الى جهة التّعريض و التّورية.

و عن ابى‌سعيدٍالخدرىّ قال: لحن القول بغضهم علىّ بن‌ابى‌طالبٍ عليه السلام قال: و كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ببغضهم علىّ بن‌ابى‌طالب عليه السلام، و عن انسٍ: انّه ما خفى منافقٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد هذه الآية.

[وَاللهُ يَعْلَمُ اَعْمٰالَكُمْ] اسررتموها او اعلنتموها [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ] بالامر بالجهاد او بمطلق التّكليف او بالبلايا و حوادث الدّهر، او بالخطرات و

وسوسة الّشيطان و القائه الُّشبه في قلوبكم.

[حَتّىٰ نَعْلَمَ الْمُجٰاهَدِينَ مِنْكُمْ] يعنى حتّى يظهر علمنا او نعلم فى مظاهرنا [وَ الّٰابَرِينَ وَ نَبْلُوَ اَخْبٰارَكُمْ] الّتى تخبرونها عن انفسكم من انّكم ءامنتم بالله و رسوله و صدّقتم رسوله فيما جاء به، او نبلو اخباركم الّتى يخبرون عنكم من انّكم دبّرتم خلاف ما قاله الرّسول ﷺ فى علىٍّ عليه السلام، او نبلو اخباركم الّتى تخبرونها عن غيركم، و قرئ الافعال الثّلاثة بالغيبة ايضاً.

[اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] بالولاية [وَصدُّوا] اعرضوا او منعوا غيرهم [عَنْ سَبيلِ اللهِ] الّذى هو علىٌّ عليه السلام و ولايته.

[وَ شٰاقُّوا الرَّسُولَ] خالفوه او اتعبوه فى اهل بيته بعد اخذه الميثاق عليهم بولايته [مِنْ بَعْدَ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً] او لن يضرّوك او لن يضرّوا علياً عليه السلام.

[وَ سَيُحْبِطُ اَعْمٰالَهُمْ] الّتى عملوها فى الاسلام [يٰا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] بعد ما اظهر انّ الّذين لم يطيعوا رسوله فى خلافة علىٍّ عليه السلام سيحبط اعمالهم نادى المؤمنين تلطّفاً بهم فقال: [اَطيعُوا اللهَ وَ اَطيعُوا الرَّسُولَ] فيما امراكم به من ولاية علىٍّ عليه السلام حتّى لايبطل اعمالكم [وَ لاٰ تُبْطَلُوا] بترك طاعتهما.

[اَعْمٰالَكُمْ اِنَّ الَّذيٰنَ كَفَرُوا] بالولاية [وَ صَدُّوا عَنْ سَبيٰلِ اللهِ] الّذى هو الولاية كرّره لكونه المقصود من الّسورة المباركة [ثُمَّ مٰاتُوا وَ هُمْ كُفّٰارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ] ابداً.

[فَلٰا تَهِنُوا] لاتضعُفوا ايّها المؤمنون عن المجاهة و القتال مع الكفّار، او عن المجاهة و المحاجّة مع المنافقين المخاصمين لعلىٍّ عليه السلام [وَ تَدْعُوا اِلَى السَّلْمِ] اى و لاتدعوا الى الصّلح لضعفكم عن مخاصمتهم، او

لفظ الواو بمعنى مع و بعده ان مقدّرة.

[وَ اَنْتُمُ الْاَعْلَوْنَ] يعنى لاتهنوا و لاتدعوا الى الصّلح فى حال علوّكم عليهم او ليس المقصود تقييد النّهى بحال العلوّ بل هو حال فى معنى التّعليل لاالّتقييد.

[وَ اللّٰهُ مَعَكُمْ] هذه الجملة يؤيّد المعنى الثّانى [وَ لَنْ يَتِرَكُمْ اَعْمالَكُمْ] لن يضرّوكم من اعمالكم يعنى لن يضيع اعمالكم [اِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لِهْوٌ] قد تكرّر فى ماسلف بيان اللّعب و اللّهو فاذا كان الدّنيا لعب الاطفال فما لكم تتعلّقون بها و تضعفون لذلك عن مقاتلتهم او محاجّتهم.

[وَ اِنْ تُؤْمِنُوا] بعلىٍّ عليه السلام [وَ تَتَّقُوا] عن مخالفته [يُؤْتِكُمْ اُجُورَكُمْ وَ لا يَسْئَلْكُمْ اَمْوالَكُمْ] يعنى ان لم تؤمنوا بعلىٍّ عليه السلام و لم تتّقوا عن مخالفته يسألكم اموالكم اعتباراً لمفهوم المخالفة، او المعنى ان تؤمنوا يؤتكم اعواض أعمالكم و لايسألكم جميع اموالكم حتّى تثقل عليكم الايمان به، و الضّمير فى يؤتكم و يسئلكم لله او لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله او لعلىٍّ عليه السلام.

[اِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ] اى يجهدكم بمسئلته [تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ اَضْغانَكُمْ] اى يظهر احقادكم الّتى هى مكمونة فى قلوبكم [ها اَنْتُمْ هٰؤُلاءِ] قد مضى الكلمتان فى سورة ءال عمران مع بيانٍ لهما.

[تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] لاان تعطوا رسولنا، و تدعون لتنفقوا شيئاً يسيراً من اموالكم فى سبيل الله لاان تعطوا كثيراً من اموالكم [فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ] بالانفاق بما فرض الله و بغيره.

[وَ مَنْ يَبْخَلْ فَاِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ]اى يبخل متجاوزاً عن خير نفسه فانّ الانفاق كما مضى فى اوّل البقرة مورثٌ لاخذ الاشرف و الاولى و قد مضى هناك

ايضاً انّ الانفاق اعمّ من انفاق المال و القوى و الجاه و القوّة و الانانيّة.

[واللّهُ الْغَنِیُّ] فلايأمركم بالانفاق لحاجةٍ له اليه [وَ اَنْتُمُ الْفُقَراءُ] فيأمركم بالانفاق لحاجتكم فی استكمالكم الی الانفاق [وَ اِنْ تَتَوَلَّوْا] عن الايمان بعلیٍّ عليه السلام او عن طاعة الرّسول صلی الله عليه وآله فيما امركم به من الانفاق و غيره [يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ] القمّیّ: قال: يدخلهم فی هذا الامر.

[ثُمِّ لايَكُونُوا اَمْثالَكُمْ] فی ان يقولوا بافواههم ما ليس فی قلوبهم و قد فسّر القوم الآخر بابناء الموالی فی عدّة اخبارٍ.

و فی المجمع روی ابوهريرة انّ ناساً من اصحاب رسول الله صلی الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله صلی الله عليه وآله من هؤلاء الّذين ذكر الله فی كتابه؟ (و كان سلمان الی جنب رسول الله صلی الله عليه وآله) فضرب يده علی فخذ سلمان فقال: هذا و قومه ، الّذی نفسی بيده لوكان الايمان منوطاً بالثّريّا تتناوله رجالٌ من فارس.

و عن الصّادق عليه السلام: من اراد ان يعرف حالنا و حال اعدائنا فليقرأ سورة محمّدٍ صلی الله عليه وآله فانّه يراها ءاٰيةً فينا و ءاٰيةٍ فيهم.

سُورَةُ الفتح

مدنيّة كلّها، تسع و عشرون ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إنّا فَتَحْنٰا لَكَ فَتْحاً مُبيناً] فتح كمنع ضدّ اغلق كفتّح من التّفعيل و افتح، و الفتح النّصر كالفتاحة بفتح الحاء، و منه الاستفتاح و افتتاح دارالحرب و الحكم بين الخصمين كالفتاحة بالكسر و الضّمّ و كالفتح بالضّمّتين.

و يستعمل فى معنى العلم و فى انبساط القلب و اتّصاله بعالم الملكوت و مشاهداته، و فيما يصل الى الانسان من جهة الباطن او من جهة الظّاهر من انواع فضل الله و الكلّ مناسبٌ ههنا، و قد قيل بكلٍّ منها بيعضها صريحاً و ببعضها تلويحاً.

فقيل: معناه قضينالك، و قيل: يسّرنا لك، وَقيل اعلمناك، و قيل: ارشدناك، و قيل: فتحنا البلاد لك، و قيل: اظفرناك على الاعداء بالحجّة و المعجزة حتّى لم يبق معاندٌ للاسلام، و قيل :المراد به فتح مكّة له صلّى الله عليه وآله.

شرحٌ فى صلح الحديبيّة

و قيل: المراد به صلح‌الحديبيّة، و قيل: لم‌يكن فتح اعظم من صلح الحديبيّة، و ذلك انّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الاسلام فى قلوبهم و اسلم فى ثلاث سنين خلق كثيرٌ.

و قيل: بويع محمّدٌ صلّى الله عليه وآله بالحديبيّة بيعة الرّضوان و اطعم نخيل خيبر، و ظهرت الرّوم على فارس، و فرح المسلمون بظهور اهل الكتاب و هم الرّوم على المجوس اذ صدق به قوله تعالى و هم من بعد غلبهم سيغلبون.

و عن الصّادق عليه السلام قال: سبب نزول هذه السّورة و هذا الفتح العظيم انّ

الله عزّ و جلّ امر رسوله فی النّوم ان یدخل المسجد الحرام و یطوف و یحلّق مع المحلّقین فاخبر اصحابه و امرهم بالخروج فخرجوا، فلمّا نزل ذاالحلیفة[۱] احرموا بالعمرة و ساقوا البُدُن و ساق رسول الله ﷺ ستّة و ستّین بذنة و اشعرها عندا حرامه و احرموا من ذی الحلیفة ملبّین بالعمرة و قد ساق من ساق منهم الهدی معرّاتٍ مجلّلات، فلمّا بلغ قریشاً ذلك بعثوا خالدین الولید فی مأتی فارسٍ کمیناً لیستقبل رسول الله ﷺ و کان یعارضه علی الجبال.

فلمّا کان فی بعض الطّریق حضرت صلوة الظّهر فأذّن بلالٌ فصلیّ رسول‌الله ﷺ بالنّاس فقال خالد بن الولید: لو کنّا حملنا علیهم و هم فی الصّلوة لاصبناهم فانّهم لایقطعون صلوتهم ولکن تجیء الآن لهم صلوة اخری احبّ الیهم من ضیاء ابصارهم فاذا دخلوا فی الصّلوة اغرنا الیهم.

فنزل جبرئیل علی رسول‌الله ﷺ بصلوة الخوف فلمّا کان فی الیوم الثّانی نزل‌رسول‌الله ﷺ الحدیبیّة و هی علی طرف الحرم و کان رسول‌الله ﷺ یستنفر الاعراب فی طریقه معه فلم یتّبعه احد و یقولون: ایطمع محمّدٌ ﷺ و اصحابه ان یدخلوا الحرم و قد غزتهم قریش فی عقر دیارهم فقتلوهم، انّه لایرجع محمّد ﷺ واصحابه الی المدینة ابداً!

فلمّا نزل رسول الله ﷺ الحدیبیّة خرجت قریش یحلفون باللّات و العزّی لایدعون رسول‌الله ﷺ یدخل مکّة و فیهم عینٌ تطرف فبعث الیهم رسول‌الله ﷺ انّی لم ءأت لحربٍ و انّما جئت لاقضی نسکی و انحر بُدنی و اخلّی بینکم و بین لحمانها.

فبعثوا عروة بن مسعود الثّقفیّ و کان عاقلاً لبیباً و هو الّذی انزل الله

۱- ذوالحلیفة هو بالتّصغیر موضع علی ستة امیال من المدینة و میقات المدینة.

فيه: و قالوا لولا نّزل هذا القرءان على رجلٍ من القريتين عظيمٍ فلمّا أقبل الى رسول‌الله ﷺ عظّم ذلك.

و قال: يا محمّد ﷺ تركت قومك و قد ضرب الابنية و اخرجوا العوذ[1] المطافيل[2] يحلفون باللّات و العزىّ لايدعوك تدخل مكّة حرمهم و فيهم عين تطرف، افتريد ان تبير اهلك و قومك يا محمّد ﷺ؟

ـ فقال رسول‌الله ﷺ: ما جئت لحربٍ و انّما جئت لاقضى مناسكى و انحر بدنى و اخلّى بينكم و بين لحمانها.

فقال عروة: والله ما رأيت كاليوم احداً صُدّ كما صُددت، فرجع الى قريش فاخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد ﷺ مكّة و تسامعت به العرب لتذلّلن و لتجرئنّ علينا العرب فبعثوا حفص بن الاحنف و سهيل بن عمرٍ.

فلمّا نظر اليهما رسول‌الله ﷺ قال: ويح قريشٍ قد نهكتكم الحرب ألّا خلّوا بينى و بين العرب فان أك صادقاً فانّى اجّر الملك اليهم مع النّبوّة، و ان أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لايسئلنّى اليوم امرء من قريشٍ خطّةً ليس لله فيها سخط ألّا اجبتهم اليه فلمّا وافوا رسول‌الله ﷺ، قالوا يا محمّد ﷺ الاترجع عنّا عامك هذا الى ان ننظر الى ما يصير امرك و امر العرب؟

ـ فانّ العرب قد تسامعت بمسيرك فاذا دخلت بلادنا و حرمنا استذلّتنا العرب و اجترأت علينا و نخلّى لك البيت فى العام القابل فى هذا الّشهر ثلاثة ايّام تقضى نسكك و تنصرف عنّا.

١- العوذ جمع العائذه = الحديثات النتاج من كلّ انثى.

٢- المطافل و المطافيل جمع المُطفل = ذات الطّفل من الانس و الوحش.

فأجابهم رسول الله ﷺ الى ذلك، و قالوا له تردّ الينا كلّ من جاءك من رجالنا، و نردّ اليك كلّ من جاءنا من رجالك.

فقال رسول الله ﷺ: من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه و لكن على انّ المسلمين بمكّة لايؤذون فی اظهارهم الاسلام و لايُكرهون و لاينكر عليهم شیءٌ يفعلونه من شرائع الاسلام، فقبلوا ذلك.

فلمّا اجابهم رسول الله ﷺ الى الصّلح انكر عامّة اصحابة و اشدّ ما كان انكاراً عمر، فقال: يا رسول الله ﷺ السنا على الحقّ و عدوّنا على الباطل؟

ـ فقال: نعم، فقال: فنعطی الذّلّة فی ديننا.

فقال: انّ الله عزّ و جلّ قد وعدنی و لن يخلفنی، قال: ولو انّ معی اربعين رجلاً لخالفته، و رجع سهيل بن عمرٍ و حفص بن الاحنف الى قريشٍ فأخبراهم بالصّلح.

فقال عمر: يا رسول الله ﷺ، الم تقل لنا ان ندخل المسجد الحرام و نحلّق مع المحلّقين؟!

فقال: أمن عامنا هذا و عدتك؟! قلت لك: انّ الله عزّ و جلّ قد وعدنی ان افتح مكّة و اطوف و اسعی و احلّق مع المحلّقين، فلمّا اكثروا عليه قال لهم :ان لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم، فمرّ و انحو قريشٍ و هم مستعدّون للحرب و حملوا عليهم فانهزم اصحاب رسول الله ﷺ هزيمة قبيحة و مرّو ابرسول الله ﷺ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثمّ قال: يا علیّ عليه السلام، خذ السّيف و استقبل قريشاً فأخذ امير المؤمنين عليه السلام سيفه و حمل على قريش فلمّا نظروا الى امير المؤمنين عليه السلام تراجعوا ثمّ قالوا: يا علیّ عليه السلام بدالمحمّدٍ ﷺ فيما أعطانا؟

ـ فقال: لا، و تراجع اصحاب رسول الله ﷺ مستحيين و اقبلوا يعتذون الى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: الستم اصحابی يوم بدرٍ

اذ انزل الله عزّ و جلّ فيكم، اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّى ممّدكم بالف من الملائكة مردفين؟

ـ الستم اصحابى يوم احد اذ تصعدون و لاتلوون عنى احدٍ و الّرسول يدعوكم فى أُخريكم، الستم اصحابى يوم كذا؟

ـ الستم اصحابى يوم كذا؟

ـ فاعتذروا الى رسول الله ﷺ و ندموا على ما كان منهم و قالوا: الله اعلم و رسوله، فاصنع ما بدالك ورجع حفص بن الاحنف و سهيل بن عمرٍ و الى رسول‌الله ﷺ.

فقالا: يا محمّد ﷺ قداجابت قريش الى ما اشترطت من اظهار الاسلام و ان لايكره احد على دينه، فدعا رسول الله ﷺ، بالمكتب و دعا امير المؤمنين عليه السلام و قال له: اكتب، فكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال: سهيل بن عمرو: لانعرف الرّحمن، اكتب كما كان يكتب ءاباؤك باسمك اللّهمّ، فقال رسول‌الله ﷺ : اكتب باسمك اللّهمّ فانّه اسم من اسماء الله، ثمّ كتب: هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول‌الله ﷺ و املأمن قريشٍ، فقال سهيل بن عمرو: لو علمنا انّك رسول الله ﷺ ما حار بناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّدبن‌عبدالله ، اتأنف من نسبك يا محمّد ﷺ؟

ـ فقال رسول‌الله ﷺ: انا رسول‌الله ﷺ و ان لم تقرّوا، ثمّ قال: امح يا علىّ عليه السلام و اكتب محمّد بن عبدالله، فقال امير المؤمنين عليه السلام: ما امحو اسمك من النّبوّة ابداً، فمحاه رسول‌الله ﷺ بيده ثمّ كتب: هذا ما اصطلاح محمّدبن‌عبدالله و الملأمن قريشٍ و سهيلٌ اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين على ان يكفّ بعضنا عن بعضٍ، و على انّه لااسلال و لااغلال و انّ بيننا و بينهم غيبة مكفوفة و انّ من احبّ ان يدخل فى عهد محمّد ﷺ و عقده

فعل، و من احبّ ان يدخل فى عهد قريش و عقدها فعل، و انّه من أتى محمّداً ﷺ بغير اذن وليّة ردّه اليه، و انّه من أتى قريشاً من اصحاب محمّد ﷺ لم تردّ ه اليه.

و ان يكون الاسلام ظاهراً بمكّة و لايكره احدٌ على دينه و لايؤذى و لايعيّر و انّ محمّداً ﷺ يرجع منهم عامه هذا و اصحابه ثمّ يدخل علينا فى العالم المقبل مكّة فيقيم فيها ثلاثة ايّامٍ و لايدخل عليها بسلاحٍ الّا سلاح المسافر، الّسيوف فى القراب، و كتب علىّ بن ابى طالب عليه السلام و شهد الكتاب المهاجرون و الانصار، ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا علىّ عليه السلام انّك ابيت ان تمحوا سمى من النّبوّة فو الّذى بعثنى بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ ابناءهم الى مثلها و انت مضيض[1] مضطهد[2]؛ فلمّا كان يوم صفّين و رضوا بالحكمين كتب: هذا ما اصطلاح عليه امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه السلام و معاوية بن ابى سفيان، فقال عمروبن العاص: لو علمنا انّك امير المؤمنين عليه السلام ما حار بناك و لكن اكتب هذا ما اصطلاح عليه علىّ بن ابى طالب عليه السلام معاوية بن ابى سفيان.

فقال امير المؤمنين عليه السلام: صدق الله و صدق رسوله اخبرنى رسول الله ﷺ بذلك، فلمّا كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن فى عهد محمّدٍ ﷺ و عقده، و قامت بنوبكر فقالت: نحن فى عهد قريشٍ و عقهدها، و كتبوا نسختين نسخة عند رسول الله ﷺ و نسخة عند سهيل بن عمرو، و رجع سهيل بن عمرو و حفض بن الاحنف الى قريشٍ فاخبراهم و قال رسول الله ﷺ لاصحابه: انحروا بدنكم و احلقوا رؤسكم فامتنعوا و قالوا: كيف ننحر و

١- مض مضيضاً = ءألمه و اوجعه ـ احرق و شقّ عليه.

٢- اظطهده = قهره، اذاه بسبب المذهب.

نحلق و لم نطف بالبيت؟

ـ و لم‌نسع بين الصّفا و المروة؟

ـ فاغتمّ لذلك رسول الله ﷺ و شكا ذلك الى امّ سلمّة، فقالت: يا رسول الله ﷺ انحر انت و احلق فنحر رسول الله ﷺ و حلق فنحر القوم على حيث يقين و شكّ و ارتياب.

فقال رسول الله ﷺ تعظيماً للبدن: رحم الله المحلّقين، و قال قوم لم‌يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصّرين لانّ من لم‌يسق هدياً لم‌يجب عليه الحق، فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله المحلّقين الّذين لم‌يسوقوا الهدى.

فقالوا: يا رسول الله ﷺ و المقصّرين، فقال، رحم الله المقصّرين، ثمّ رحل رسول الله ﷺ نحو المدينة فرجع الى التّنعيم و نزل تحت الّشجرة فجاء اصحابه الّذين انكروا عليه الصّلح و اعتذروا و اظهروا النّدامة على ما كان منهم وسألوا رسول الله ﷺ ان يستغفر لهم، فنزلت ءاية الرّضوان.

اعلم، انّ اختلاف الاقوال و الاخبار فى بيان هذا الفتح و تعليله بمغفرة الله ذنوبه المتقدّمة و ذنوبه المتأخرة و قول النبىّ ﷺ بعد نزول هذه الآية و هذه الّسورة: لقد نزلت علىّ ءاية هى احبّ الىّ من الدّنيا و ما فيها، و تعقيب غفرانه باتمام النّعمة و الهداية و النّصر و انزال الّسكينة كلّها يدلّ على انّ المراد بهذا الفتح ليس فتح مكّة و لافتح خيبر و لافتح سائر البلاد فقط بل المراد فتحٌ هو اصل سائر الفتوح و هو فتح باب الارواح الى الجبروت بل الى الّلاهوت.

و فى هذا الفتح يكون جميع الفتوحات من فتح البلاد و من ايصال النّعم الصّوريّة و المعنويّة و النّصر على الاعداء و الحكم بينه و بين اعداءه و كيفيّة الحكومة بين الخلق و العلم بالاشياء.

و بالجملة هذا الفتح هو الّذى يصير سبباً لغفران ذنوب من اتّصال به و دخل تحت لوائه كائناً من كان و ان كان ذنوبه بعدد قطرات البحار و اجزاء الرّمال و لذلك قال علىّ عليه السلام: دينكم دينكم فانّ السّيّئة فيه مغفورة و الحسنة فى غيره غير مقبولة.

و هذا الفتح هو الّذى لايبقى معه نقص و قصور لصاحبه، و بهذا الفتح يصير صاحبه خاتماً للكلّ فى الكلّ، و هذا الفتح هو الّذى يكون احبّ الاشياء الى صاحبه.

[لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ].

اعلم، انّ ذنب كلّ انسان بحسب مقامه و منزلته، فانّ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين و توبة الانبياء من الالتفات الى غير الله كما انّ توبة الاولياء من خطرات القلوب.

و قد قال فيما نسب اليه: انّه لَيُران على قلبى و انّى لاستغفر الله كلّ يوم سبعين مرّةً، و انّ الرّسول لمّا كان أباً لجميع امّته و الابوّة الرّوحانيّة كما مرّ فى سورة البقرة عبارة عن تنزّل الاب الى مقام الابن و البنت و صيرورته فعليّة اخيرة لهما من غير تجافٍ عن مقامه العالى و كان شيئيّة الشىء بفعليّته الاخيرة كان الرّسول شيئيّة كلّ امّته و فعليّتهم الاخيرة.

فما ينسب الى امّته، و لمّا كان رسالته خاتم الرّسالات و كلّ الانبياء كانوا تحت لوائه و تحت رسالته و كلّ الشرائع تحت شريعته صحّ ان يقال: انّ من كان على دينٍ من ءادم عليه السلام و امّته الى انقراض العالم كلّهم كانوا امّته فصحّ ان يقول الله تعالى: انّا فتحنا لك هذا الفتح العظيم ليغفرلكالله ما تقدّم من ذنوبك الّلائق بشأنك على هذا الفتح و ما تأخّر وصحّ ان يقول: ليغفر لكالله ما تقدّم من ذنوب امّتك المتقدّمين من لدن ءادم عليه السلام و ما تأخّر

من ذنوب امّتك المتأخّرين الى انقراض العالم.

و صحّ ان يقول: انّا فتحنا لك مكّة ليغفر لك‌الله ما تقدّم من ذنبك بزعم مشركى مكّة على زمان الفتح و ما تأخّر فانّه كان اعظم ذنباً عندهم من كلّ مذنبٍ او ما تقدّم على الهجرة و ما تأخّر عنها.

كماورد عن الرّضا عليه السلام و صحّ ان يقال المعنى: انّا اظفرناك على الامم او اعلمناك او تفضّلنا عليك بالنّعم الصّوريّة و المعنويّة ليغفر لك‌الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر، و من ههنا يظهر وجه الالتفات من التّكلّم الى الغيبة فانّ ذنوب الامّة ليست الّا فى غيبتة تعالى و كذلك مغفرتهم و ذنبه الّذى هو الالتفات الى غير الله ليس الّا بالغفلة من الله غفلة لائقةً بشأنه و فى غيبته، و مغفرته الّتى لاتكون الّا للمذنب فى اىّ حالٍ كان كانت فى غيبته فان اللّطيفة الحاضرة عندالله ليس لهاذنب، و اللّطيفة المذنبة لاتصير حاضرةً عندالله، و ايضاً غفران الّذنوب و اتمام النّعم و سائر ما ذكر فى الآية ليس الّا باسمه الجامع الّذى يعبّر عنه بالله.

[وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ] اتمام النّعمة ليس الّا لمن فتح له باب الّلاهوت و عرج عن الملكوت و الجبروت الّلتين هما من عالم الامكان الى الّلاهوت الّتى هى فوق الامكان، و لايمكن ذلك الّا بهذا الفتح المذكور.

[وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقيماً] و هو الخروج من الافراط و التّفريط الّذى هو احدّ من الّسيف و ادقّ من الّشعر، و تنكير الصّراط للتّفخيم.

[وَ يَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزيزاً] لايوجد مثله، او نصراً يصير سبباً للغلبة و المناعة.

[هُوَ الَّذي اَنْزَلَ السَّكينَةَ] قد مضى بيان الّسكينة فى اواخر سورة البقرة عند قوله تعالى: انّ ءاٰية ملكه ان يأتيكم التّابوت فيه سكينة من

ربّكم (الآية) و فى سورة التّوبة و سورة يوسف عليه السلام، و انّ المراد بالّسكينة ظهور ملكوت وليّ الامر على صدر المؤمن و بهذا الظّهور يحصل له جميع ماورد فى الاخبار من معانى الّسكينة، و هو الّذى ينبغى ان يظهره الله فى مقام الامتنان.

[فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدٰادُوا اِيمٰاناً] شــهوديّاً [مَعَ اِيمٰانِهِمْ] العلميّ و الحاليّ فانّه اذا ظهر ملكوت وليّ الامر على المؤمن يصير ايمانه العلميّ قريناً لايمانه الّشهوديّ.

[وَ لِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] كأنّه بعد ماسبق فى سورة التّوبة من قوله تعالى بعد ذكر انزل الّسكينة و انزل جنوداً لمتروها و ايّده بجنودٍ لمتروها كان التّأييد بالجنود الغيبيّة مسلّماً بعد انزل الّسكينة و فقال: و انّ الجنود الغيبيّة الّتى لاتنفكّ عن تلك الّسكينة لله فهو الّذى انزل الجنود الغيبيّة للمؤمنين كما انزل الّسكينة عليهم فقوله: ولله جنود السّموات مفيدٌ معنى ايّدهم بجنودٍ لمتروها مع شيءٍ زائدٍ.

او المقصود من قوله ولله جنود السّموات و الارض تعميم المتنان بسائر القوى و المدارك بعد الامتنان بانزال الّسكينة عليهم كأنّه قال: لااختصاص لامتناننا على المؤمنين بانزال الّسكينة بل جميع المدارك و القوى الّتى هى من جنود الّسماوات و جميع الاعضاء الآليّة و الاعصاب و الاوتار المحرّكة الّتى هى من جملة جنود الارض من عطيّته، او المقصود ترغيب المؤمنين و تطيعهم بعد ذكر الامتنان بانزال الّسكينة فى انزال الجنود الّتى لميروها كأنّه قال: فاطلبوا جنود الّسماوات و الارض منه.

[وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً] بمصالحكم فيعلم وقت استعدادكم لانزال الّسكينة و وقت اصلاحكم بها و افسادكم بها، و يعلم وقت صلاحكم بتأييد

كم بالجنود و عدم تأييدكم.

[حَكيماً] لايفعل مايفعل الّا بعد المراقبة لجميع دقائق احوالكم و استحقاقكم و لايفعل مايفعل الّا بالاتقان فی فعليه بحيث لايتطرّق الخلل فيه.

[لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ] تعليلٌ لقوله تعالی ليغفرلكالله و هذا هو المناسب لتفسير المغفرة بمغفرة ذنوب امّته، او لقوله يتّم نعمته، او ليهديك، او لينصرك الله، او لانزل الّسكينة، او ليزداد ايماناً، او لمفهوم قوله لله جنود السّماوات و الارض، او للجميع علی سبيل التّنازع، او تعليل لمحذوف، او فعل ما فعل ليدخل المؤمنين و المؤمنات.

[جَنّٰاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مضی فی ءاٰخر سورة ءاٰل عمران بيانٌ لكيفيّة جريان الانهار من تحت الجنّات عند قوله فالّذين هاجروا و اخرجوا من ديارهم.

[خٰالِدينَ فيهٰا وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئٰاتِهِمْ] يزيلها عنهم [وَكٰانَ ذٰلِكَ] الادخال و التّكفير [عِنْدَاللهِ فَوْزاً عَظيماً وَ يُعَذِّبَ الْمُنٰافِقينَ وَ الْمُنٰافِقٰاتِ] الّذين نافقوا مع محمّدٍ ﷺ او فی حقّ علیٍّ عليه السلام [وَ الْمُشْرِكينَ] بالله او بالرّسول او بالولاية و هو المنظور اليه.

[وَ الْمُشْرِكٰاتِ الظّٰانّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَوْءِ] و هو ظنّ انّه لاينصر رسوله فی سفره الی مكّة [عَلَيْهِمْ دٰائِرَةُ السَّوْءِ] الّتی تظنّونها للمؤمنين من هلاكهم بأيدی قريشٍ، قال القمّیّ: و هم الّذين انكروا الصّلح و اتّهموا رسول الله ﷺ.

[وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ اَعَدَّلَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سٰاءَتْ مَصيراً وَ لِلهِ جُنُودُ السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضِ]كرّره تقويّةً لقلوب المؤمنين و تخييباً لظنّ المنافقين.

[وَ كٰانَ اللّٰهُ عَزِيزاً] لايغلب على مايريد [حَكِيماً] لايفعل الّا ما فيه صلاح المؤمنين و لاينظر الى اهوية المؤمنين او المنافقين.

[اِنّٰا اَرْسَلْنٰاكَ] جواب سؤالٍ عن علّة ادخال المؤمنين الجنّات، و تعذيب المنافقين غاية لمغفرة ذنوب المؤمنين الّتى هى غاية للفتح المبين كانّه قيل: لميدخل الله المؤمنين الجنّات ويعذّب المنافقين بسبب الفتح المبين للنّبىّ ﷺ؟ ـ فقال: لانّا ارسلناك ايّها النّبىّ ﷺ.

[شٰاهِداً] عليهم بحالك و قالك، فمن اتّصل بك تشهد له فيدخل الجنّة، و من لميتّصل بك تشهد عليه فيعذّب.

[وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً] للمؤمنين و الكافرين [لِتُؤْمِنُوا] صرف الخطاب عنه ﷺ الى امّته للاشارة الى انّ غاية الارسال ايمان المؤمنين [بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ]قرئ من باب الافعال و التّفعيل و الثّلاثىّ المجرّد من باب ضرب و نصر، و قرئ تعّزروه بالزّائين المعجمتين.

[وَ تُوَقِّرُوهُ] قرئ من باب التّفعيل و الافعال [وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ اَصِيلاً اِنَّ الَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ]جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل، او فى مقام بيان الحال، كأنّه قيل: ما حال البائعين مع الرّسول ﷺ؟ ـ فقال تعالى: انّ الّذين يبايعونك.

[اِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰهَ] لانّك مظهرٌلله و لاحكم للمظر حين ظهور الظّاهر فيه و انّما الحكم للظّاهر فقط.

[يَدُاللّٰهِ] لايدك [فَوْقَ اَيْدِيهِمْ] و قد مضى تفصيلٌ لاخذ البيعة عنه قوله الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده، و عند قوله انّ الله اشترى من المؤمنين (الآية) من سورة التّوبة و قد ذكر بيانٌ للبيعة فى غير هذه السّورة ايضاً.

[فَمَنْ نَكَثَ] نقض البيعة بنقض شروطها و عدم الاتيان بها، او بالاعراض عنها و فسخها [فَاِنَّمٰا يَنْكُثُ عَلٰى نَفْسِهِ] لانّ ضرره عائدٌ اليها

[وَ مَنْ اَوْفٰى بِمٰا عٰاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ]قرئ بضمّ الهاء فى عليه حفظاً لتفخيم لفظ الله [فَسَيُؤْتيهِ اَجْرًا عَظيًما] لايمكن ان يوصف.

قال القمّىّ: نزلت الآية فى بيعة الرّضوان لقد رضىالله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشّجرة و اشترط عليهم ان لاينكروا بعد ذلك على رسول‌الله ﷺ شيئاً يفعله و لايخالفوه فى شىءٍ يأمرهم به.

فقال عزّ و جلّ بعد نزول ءاٰية الرّضوان: انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم (الآية) و انّما رضى الله عنهم بهذا الّشرط ان يفوا بعد ذلك بعهدالله و ميثاقه و لاينقضوا عهده و عقده فبهذا العقد رضى الله عنهم فقدّموا فى التّأليف ءاٰية الّشرط على ءاٰية الرّضوان: و انّما نزلت اوّلاً بيعة الرّضوان ثمّ ءاٰية الّشرط فيها.

[سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْاَعْرٰابِ] الّذين استنفرهم رسول الله ﷺ عام الحديبيّة فاعتلّوا و اعتذروا بالّشغل باموالهم واهاليهم و انّما خلّفهم خوفهم من قريش فانّهم قالوا انّ قريشاً غزت محمّداً ﷺ فى عقر داره و هو يريد ان يدخل عليهم ديارهم لايفلت منهم احدٌ ابداً.

[شَغَلَتْنٰا اَمْوٰالُنٰا وَ اَهْلُونٰا فَاسْتَغْفِرلَنٰا] لتخلّفنا و هذا من الاخبار بالمغيبات [يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مٰا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً اِنْ اَرٰادَبِكُمْ ضَرًّا] على التّخلّف او مطلقاً [اَوْ اَرٰادَبِكُمْ نَفْعًا بَلْ كٰانَ اللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبيرًا] فاحذروا ممّا تعملون.

[بَلْ ظَنَنْتُمْ] يعنى ليس شغلتكم اموالكم و اهلوكم بل خفتم عن قريش لانّكم ظننتم انّهم يغلبون و يقتلون محمّداً ﷺ و اصحابه [اَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ اِلىٰ اَهْليهِمْ اَبِدًا وَزُيِّنَ ذٰلِكَ] اى استحكم ذلك [فِي قُلُوبِكُمْ] بحيث لاتحتملون غيره [وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ] بالله و

رسوله [وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا] هالكين عن الحيوة الانسانيّة [وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ] و ظنّ لهما ظنّ السوء.

[فَاِنّٰا اَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ] وضع الظّاهر المضمر لذمٍّ ءاُخر لهم و للاشعار بعلّة الحكم [سَعيرًا وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] بحسب استعداد كلٍّ فانّ مشيّته ليست جزافيّة.

[وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحيمًا] ترجيح لجانب الرّجاء و اشعارٌ بانّ المغفرة والرّحمة ذاتيّة له، و التّعذيب داخل فى قضائه بالقصد الثّانى.

[سَيَقُولُ] لكم [الْمُخَلَّفُونَ اِذَا انطَلَقْتُمْ اِلىٰ مَغٰانِمَ] كمغانم خيبر [لِتَأْخُذُوهٰا ذَرُونٰا نَتَّبِعْكُمْ يُريدُونَ اَنْ يُبَدِّلُوا كَلاٰمَ اللّٰهِ] يعنى قوله انّ الخارجين الى مكّة المصدودين عن طواف البيت مخصوصون بمغانم خيبر بدلاً من دخول مكّة او قوله انّ المتخلّفين لايتّبعوكم فى مغانم خيبر.

[قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونٰا] أتى بنفى التّأبيد مكان النّهى اشارة الى تحقّقة و تأكيداً له [كَذٰلِكُمْ قٰالَ اللّٰهُ مِنْ قَبْلُ] انّكم لاتكونون معنا فى مغانم خيبر.

[فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنٰا بَلْ كٰانُوا لاٰ يَفْقَهُونَ اِلاّٰ قَليلاً] يعنى لايدركون من امر الآخرة فى المخاطبات الّا قليلاً فلذلك يحملون قولكم و منعكم على الحسد الّذى هى من اوصاف الدّنيا.

[قُلْ لِلْمُخَلَّفينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر تصريحاً بذمّهم [مِنَ الْاَعْرٰابِ سَتُدْعَوْنَ اِلىٰ قَوْمٍ اُولِي بَأْسٍ شَديدٍ] قيل: هم هوازن و ثقيف [تُقٰاتِلُونَهُمْ اَوْ يُسْلِمُونَ فَاِنْ تُطيعُوا يُؤْتِكُمُ اللّٰهُ اَجْرًا حَسَنًا] الغنيمة و الجنّة.

[وَ اِنْ تَتَوَلَّوْا كَمٰا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ] يعنى عن الحديبيّة [يُعَذِّبْكُمْ عَذٰاباً اَليمًا لَيْسَ عَلَى الْاَعْمىٰ حَرَجٌ] لمّا اوعد المتخلّفين و ذمّهم استثنى

منهم فی الّذم و الایعاد هؤلاء لئّلایتوهّم انّهم موعدون.

[وَ لاٰ عَلَى الْاَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لاٰ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ] من غیر المعذّرین او من مطلق المسلمین [يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] قد مضی بیان جریان الانهار من تحت الجنّات فی ءاٰخر سورة النّساء.

[وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذٰابًا اَلِيمًا] تأكيد لمفهوم قوله ان تتولّوا كما تولّيتم من قبل و تعليلٌ له [لَقَدْ رَضِيَ اللّٰه عَنِ الْمُؤْمِنِينَ].

اعلم، انّ رضا الله عن العبد لیس الّا حین رضا العبد عن الله، وهل رضا العبد مقدّم او رضا الله؟ ـ الاخبار وكلمات الابرار فی ذلك مختلفة، و لعلّ اهل الّشهود منهم ما حقّقوا ذلك و لذلك اظهر بعضهم التّحيّر فيه و فی امثاله، و التّحقیق انّ هذه المسألة دوريّة بمعنی انّ ذكر الله او توبته او رضاه مقدّم بحسب مرتبةٍ منه علی ما للعبد بحسب مرتبةٍ منه و ما للعبد مقدّم علی الله بحسب مرتبةٍ اخری بل التّحقیق انّ ما للعبد عین مالله لكن نسبته الی الله مقدّمة فی نفس الامر علی نسبته الی العبد لكن اعتبار تلك النّسبة یختلف بحسب حال النّاظر، فمن كان نظره الی الله مقدّماً علی نظره الی نفسه.

كماورد عن علیٍّ عليه السلام: ما رأیت شیئاً الّا و رأیت الله قبله.

كان نسبته الی الله مقدّمةً علی نسبته الی العبد، و من كان نظره الی نفسه مقدّماً علی نظره الی الله كان نسبته الی العبد مقدّمةً، و من كان نظره الیهما علی الّسواء كان متحیّراً فی التّقدیم و التّأخیر و الی هذین النّظرین.

اشیر فی الخبر بقوله صلى الله عليه وآله: ما رأیت شیئاً الّا و رأیت الله بعده و بقوله صلى الله عليه وآله: ما رأیت شیئاً الّا و رأیت الله فیه.

و امّا من لم‌یرمثل المعتزلیّ اّلا نسبة الافعال و الصّفات الی العباد فلیس الکلام معه و لعلّ قوله تعالی: اذکرونی اذکرکم خطابٌ مع هؤلاء و هم اغلب العباد.

و قوله: و ما تشاؤن اّلا ان یشاء الله خطابٌ مع الفرقة الاولی او تنبیهٌ للکلّ علی انّ نسبة الاوصاف الی الله مقدّمة علی نسبتها الی العباد [إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] أتی باذ الّتی هی للماضی لانّ نزول الآیة کان بعد وقوع الواقعة، و أتی بالمضارع بعدها للاشارة الی تکرّر الفعل فانّ البائعین فی ذلک الیوم کانوا کثیرین، و سبب رضا الله تعالی عنهم فی تلک البیعة انّهم لمّا خالفوا رسول‌الله ﷺ و قاتلوا مع قریش وانهز مواهزیمةً منکرةً ندموا علی مخالفتهم لرسول الله ﷺ و تابوا الی الله و استغفروا رسوله و بایعوا معه عن صمیم القلب و لم‌یکن لهم حین تلک البیعة انانیّةٌ اصلاً و لذلک صاروا مستحقّین لنزول الّسکینة، و شرط علیهم الرّسول فی تلک البیعة ان لایخالفوه و لایخالفوا قوله و أمره، و لاینکروا بعد ذلک علیه شیئاً فعله.

فانّهم بعد ما انهزموا و رحل رسول الله ﷺ نحو المدینة ورجع الی التّنعیم فنزل تحت الّشجرة جاؤا الیه و اظهروا النّدامة فاخذ منهم العهد و المیثاق بذلک و کان اوّل من بایع رسول الله ﷺ حینئذٍ علیّاً علیه السلام و لقد ءاٰخا رسول الله ﷺ بین کلّ اثنین اثنین منهم و ءاٰخابین نفسه و بین علیٍّ علیه السلام.

[فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ] من الصّدق و التّوبة و الانابة فرضی بذلک عنهم [فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ] لانّهم خرجوا من انانیّاتهم و الّسکینة الّتی هی صورة ملکوتیّة تدخل بیت قلب العبد اذا خرج من انانیّته کما قیل: «چو تو بیرون شوی او اندر آید» و قد مضی فی ءاٰخر سورة البقرة و فی التّوبة بیانٌ للّسکینة.

[وَ اَثٰابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا] هو فتح خيبر [وَ مَغٰانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهٰا] هی مغانم خیبر.

[وَ كٰانَ اللّٰهُ عَزِيزًا] لايغلب على مراده [حِكِيًما] لايفعل ما يفعل و لايعد مايعد الّا لحكمة و غاية متقنة.

[وَعَدَكُمُ اللّٰهُ مَغٰانِمَ كِثِيرةً تَأْخُذُونَهٰا] هی مايفئ الله على المؤمنين الى يوم القيامة او هی مغانم مكّة و هوازن.

[فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَ كَفَّ اَيْدِيَ النّٰاسِ] ای ايدی قريش او ايدی الاعراب و غيرهم بقوّة الاسلام، او ايدی اهل خيبر و حلفائهم.

[عَنْكُمْ] ذكر فی المجمع عن العامّة انّه لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبيّة مكث بها عشرين ليلةً ثمّ خرج منها غازياً الى خيبر فحاصرهم حتّى اصابتهم مخمصة شدية ثمّ انّ الله فتحها.

و ذلك انّ النّبیّ ﷺ اعطى اللّواء عمر بن الخطّاب و نهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر و اصحابه فرجعوا الى رسول‌الله ﷺ يُجَبِّنّه اصحابه و يُجَبِّنّهم.

فقال رسول‌الله ﷺ بعد مااخبروه بما فعل عمر و اصحابه، لاُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه‌الله و رسوله، كرّاراً غير فرّارٍ لايرجع حتّى يفتح الله على يديه.

فلمّا اصبح النّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجون ان يعطيها، فقال ﷺ: اين علیّ بن ابی طالب عليه السلام؟

ـ فقالوا: هو تشتكی عينه، فأرسل اليه فأتى به فبصق فی عينيه و دعا له فبرئ كأن لم‌يكن به وجعٌ فأعطاه الرّاية.

فقال ﷺ: انفذ على رِسْلِك[١] حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم الى الاسلام و اخبرهم بمايجب عليهم من حقّ الله فوالله لان يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من ان يكون لك حمر النّعم.

فذهب الى خيبر فبرز اليه مرحب فضر به ففلق رأسه فقتله و كان الفتح على يده، هكذا اورده مسلم فى الصّحيح.

و نقل عن العامّة: انّ عليّاً عليه السلام لمّا دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضر به رجلٌ من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علىٌّ عليه السلام باب الحصن فتترّس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتّى فتح الله عليه ثمّ القاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفرٍ معى سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا.

و نقل عنهم انّ عليّاً عليه السلام حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه فافتتحوها و انّه حُرّك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً.

و روى من وجهٍ ءاخر انّه اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب، ورووا عن ابى ليلى قال: كان علىّ عليه السلام يلبس فى الحرّ و الّشتاء القباء المحشوّ[٢] الثخين و ما يبالى الحرّ فاتانى اصحابى فحكموا ذلك لى فقالوا: هل سمعت فى ذلك شيئاً؟

ـ فقلت: لا، فقالوا: فسل لنا اباك عن ذلك، فانّه يسمر معه فسألته فقال: ما سمعت فى ذلك شيئاً فدخل على علىٍّ عليه السلام فسمر معه، ثمّ سأله عن ذلك، فقال: او ما شهدت خيبر؟

ـ قلت: بلى، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابابكرٍ فعقد له ثمّ

١- اى، امش مستقيماً و لاتتوقّف فى مكان و لاترجع وراك.

٢- ممتلىء بالقطن.

بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم ثمّ جاء بالنّاس و قد هزم؟

ـ فقال رسول الله ﷺ: لأُ عطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله ويحبّه الله و رسوله يفتح الله على يده كرّاراً غير فرّارٍ، فدعانى فأعطانى الرّاية ثمّ قال: اللّهم اكفه الحرّ و البرد، فما وجدت بعد ذلك حرّاً و لابرداً.

و قال صاحب المجمع، هذا كلّه من كتاب دلائل النّبوةّة للامام ابى بكر البيهقىّ، ثمّ لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصناً حصناً حتّى انتهوا الى حصن الوطيخ و الّسلالم و كان ءاخر حصون خيبر و حاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة، قال ابن اسحاق: و لمّا افتتح القموص حصن ابن ابى الحقيق أُتى رسول الله ﷺ بصفيّة بنت حيّ بن اخطب و بأُخرى معها فمرّ بلال و هو الّذى جاء بهما على قتلى من قتلى يهود، فلمّا رأتهم الّتى معها صفيّة صاحت و صكّت وجهها و حثت التّراب على رأسها فلمّا رءاها رسول الله ﷺ قال اعزبوا عنّى هذه الّشيطانة و امر بصفيّة فحُيّزت[1] خلفه و ألقى عليها رداءه فعرف المسلمون انّه قد اصطفاها لنفسه.

و قال لبلال: لمّا رأى من تلك اليهويّة ما رأى انزعت منك الرّحمة يا بلال؟

حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟

ـ و كانت صفيّة قدرأت فى المنام و هى عروس بكانة بن الرّبيع بن ابى الحقيق انّ قمراً وقع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا ألا انّك تتمنّين ملك الحجاز محمّداً ﷺ و لطم وجهها لطمة اخضرّت عينها منها، فأتى بها رسول الله ﷺ و بها اثرٌ منها فسألها رسول الله ﷺ منها

١- تحيّز = انحصر فى مكان.

فاخبرته و أرسل ابن ابى الحقيق الى رسول‌الله ﷺ انزل فاكلّمك قال: نعم، و صالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتلة و ترك الذّرّيّة لهم و يخرجون من خيبر وارضها بذراريهم و يخلّون بين رسول‌الله ﷺ و بين ما كان لهم من مال و ارض على الصفراء و البيضاء و الكراع و الحلقة و على البزّ[1] الّاثوب على ظهر انسان.

و قال رسول الله ﷺ تبرّأت منكم ذمّة الله و ذمّة رسوله ان كتمتونى شيئاً فصالحوه على ذلك.

فلمّا سمع اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول‌الله ﷺ ان يسيرهم و يحقن دماءهم و يخلّون بينه و بين الاموال، ففعل و كان ممّن مشى بين رسول الله ﷺ و بينهم فى ذلك محيصة بن مسعود فلمّا نزل اهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ ان يعاملهم الاموال على النّصف و قالوا: نحن اعلم بها منكم و اعمر لها.

فصالحهم رسول الله ﷺ على النّصف على انّا اذاشئنا ان نخرجكم اخرجناكم، و صالحه اهل فدك على مثل ذلك فكان اموال خيبر فيئاً بين المسلمين و كانت فدك خالصةً لرسول الله ﷺ لانّهم لم يوجفوا عليها بخيلٍ و لاركابٍ، و لمّا اطمأنّ رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحارث بن سلامٍ و هى ابنة اخى مرحب شاةً مَصليّةً[2] و قد سألت ایّ عضو من الّشاة احب الى رسول الله ﷺ.

فقيل لها: الذّراع فأكثرت فيها الّسمّ و سمّت سائر الّشاة ثمّ جاءت بها،

١- البَزّ = ثياب الكتان او القطن. ٢- اللّحم المشوىّ.

فلمّا وضعتها بين يديه تناول الذّراع فأخذها فلاك منها مضعةً و انتهش[1] منها و معها بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه.

فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا ايديكم فانّ كتف هذه الّشاة تخبرنى انّه مسمومة ثمّ دعاها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟

ـ فقالت: بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت: ان كان نبيّاً فسيخبر و ان كان ملكاً استرحت منه، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ و مات بشر بن البراء من أكلته الّتى اكل، و دخل امّ بشرٍ على رسول الله ﷺ تعوده فى مرضه الّذى توفّى فيه.

فقال: يا امّ بشرٍ مازالت اكلة خيبر الّتى اكلت بخيبر مع ابنك تعازّنى[2] فهذا و ان قطعت[3] ابهرى و كان المسلمون يرون انّ رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما اكرمه الله به من النّبوّة.

[وَ لِتَكُونَ] يا محمّد ﷺ او لتكون العنيمة الّتى عجلّها لكم و هو عطف على محذوفٍ اى لتقوىّ و تُرفع و لتكون او متعلّق بمحذوفٍ معطوفٍ على عجّل اى فعل ذلك لتكون.

[اٰيَةً لِلْمُؤْمِنينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقيماً] يعنى الولاية او صراطاً مستقيماً واقعاً بين الافراط و التّفريط فى كلّ امرٍ.

[وَ اُخْرٰى] اى و وعدكم مغانم اخرى او قرىً اخرى، اواخرى مفعول فعلٍ محذوفٍ معطوف على عجّل اى واعدّالله لكم قرىً اخرى.

[لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها] و قيل: هى المغانم الّتى يزيدها الله للمسلمين

١- اى، صار مسموماً، من نهشه الحيّة. ٢- اى = غلبنى.

٣- الابهر عرق اذا انقطع مات صاحبه.

الی یوم القیامة، او القری الّتی یفتحها الله للمسلمین الی یوم القیامة، و قیل: هی غنائم مکّة و هوازن، او قریة مکّة.

و قیل: المراد غنائم فارس و الرّوم او ملکهما [قَدْ اَحٰاطَ اللهُ بِهٰا] فلا یخرج من یده حتّی یکون مستعجلاً مثلکم فکأنّه قال حفظها علیکم و منعها من غیرکم حتّی تفتحوها.

[وَ كٰانَ اللهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدیراً] لااختصاص لقدرته بفئ الغنائم و فتح البلاد و نصرة الانبیاء و خذلان الکفّار [وَ لَوْ قٰاتَلَكُمُ الَّذينَ كَفَرُوا] فلا یوم الحدیبیّة.

[لَوَلَّوُا الْاَدْبٰارَ ثُمَّ لٰا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَ لٰا نَصيراً سُنَّةَ اللهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ] یعنی سنّ الله نصرة الانبیاء و هزیمة الکفّار لوقاتلوا الانبیاء من قبل هذا الزّمان.

[وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلًا وَ هُوَ الَّذي كَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ اَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ] بالرّعب فی قلوبهم و النّهی لکم عن مقاتلتهم و الامر بالصّلح [بِبَطْنِ مَكَّةَ] یعنی الحدیبیّة.

[مِنْ بَعْدِ اَنْ اَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ] ای من بعد ان جعلکم مشرفین علی الظّفر علیهم اومن بعد ان اظفرکم علیهم ببدرٍ و یوم الخندق و فی اُحدٍ.

[وَ كٰانَ اللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصيراً هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا]جوابُ سؤالٍ فی مقام التّعلیل [وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ الْهَدْىَ مَعْكُوفاً] محبوساً.

[اَنْ يَبْلُغَ] من ان یبلغ [مَحِلَّهُ] و هو محلّ النّحر یعنی مکّة فانّها محلّ نحر هدی العمرة [وَ لَوْلٰا رِجٰالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسٰاءٌ مُؤْمِنٰاتٌ] بیانٌ لعلّة منعهم عن دخول مکّة.

[لَمْ تَعْلَمُوهُمْ اَنْ تَطَؤُهُمْ]بدل من رجال او من مفعول لم‌تعلموهم او

بتقدير فى ظرف لتعلموهم [فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ] عيب يعيكم به المشركون بان يقولوا: قتلوا اهل دينهم، او اثم و جناية اودية و كفّارة.

[بِغَيْرِ عِلْمٍ] و جواب لولا محذوف اى لاغرينا كم بهم اولاد خلنا كم مكّة [لِيُدْخِلَ اللّٰهُ] متعلّق بمحذوفٍ اى فمنعنا كم عن الدّخول ليدخل الله [فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ] من المؤمنين بسلامته من القتل و الاذى و لحوق الكفّارة و الدّية و من الكافرين بدخوله فى الاسلام.

[لَوْ تَزَيَّلُوا] اى لو تميّز المؤمنون و الكافرين [لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] من اهل مكّة [عَذَابًا أَلِيمًا] فلحرمة اختلاط المؤمنين بالكافرين، و لحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا بمكّة عن القتل و الاذى، و لحفظ نفوس الّذين كانوا مع محمّدٍ ﷺ عن لحوق المعرّة، و لحفظ نفوس المؤمنين الّذين كانوا فى اصلاب الكافرين لم يعذّبهم‌الله.

و قيل: انّ صلح الحديبيّة كان اعظم فتح للاسلام حيث اختلط المؤمنون بالكافرين و اظهروا دينهم من غير خوفٍ و تقيّةٍ فرغب فى دينهم كثير من الكافرين و دخلوا فيه من غير سيفٍ.

و عن الصّادق عليه‌السلام انّه سئل: الم يكن علىٌّ عليه‌السلام قويّاً فى بدنه قويّاً فى امر الله؟

ـ فقال: بلى، قيل: فما منعه ان يدفع او يمتنع لها؟ ـ قال: فافهم الجواب، منع عليّاً عليه‌السلام من ذلك ءاية من كتاب الله تعالى، فقيل: وايّ ءاية؟

ـ فقرأ: لو تزيّلوا (الآية) كان لله تعالى ودائع مؤمنون فى اصلاب قوم كافرين و منافقين فلم يكن علىّ عليه‌السلام ليقتل الآباء حتّى تخرج الوادائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، و كذلك قائمنا اهل البيت لن يظهر ابداً حتّى يخرج ودائع الله فاذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله، و فى هذا

المعنى اخبارٌ عديدةٌ، و قال عليه السلام: لواخرج الله ما فى اصلاب المؤمنين من الكافرين و ما فى اصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّبنا الّذين كفروا.

[اِذْ جَعَلَ الَّذينَ كَفَرُوا] اذظرف او تعليل لقوله: عذّبنا او لقوله: انزل الله و لفظة الفاء مثلها فى قوله تعالى بل الله فاعبد.

[في قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ] الحميّة مصدر حماه بمعنى منع منه او منعه عن شىءٍ او مصدر حمى من الّشىء كرضى انف منه و المقصود من الحميّة الّسجيّة الّتى تحمل الانسان على حفظ عرضه و حسبه و نسبه و اقاربه و ما ينسب اليه عن الوقع فيها والازدراء لها بحقٍّ او بباطلٍ و هى ناشئة من انانيّة النّفس و الاعجاب بها، و هى اصل جملة الشّرور و المعاصى، او الّسجيّة الّتى تحمل الانسان على النفة و عدم الانقياد لشىءٍ حقّاً كان او باطلاً و هى ايضاً ناشئة من انانيّة النّفس و استكبارها على الغير و تحقيره.

[حَمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ] بيانٌ للحميّة او تقييدٌ لها با كمل افرادها [فَأَنْزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنينَ] قد مضى قبيل هذا ذكر السّكينة.

[وَ اَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوىٰ] المراد بكلمة التّقوى هى الّسكينة او الولاية الّتى هى مورثة الّسكينة، او سجيّة التّقوى عن الانحراف الى الطّرق المنحرفة يعنى مكّن منهم الّسكينة او الولاية او التّقوى.

[وَ كانُوا اَحَقَّ بِها وَ اَهْلَها] اى احقّ بتلك الكلمة او بالّسكينة او بمكّة [وَ كانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليماً] يعنى انّ الله يعلم قدر استحقاق كلٍّ و احقيّة كلّ بكلٍّ.

[لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا] جوابٌ لما قالوا بعد صدّهم عن مكّة انّ محمّداً صلى الله عليه وآله و عدنا دخول مكّة و ما دخلنا و ماحلّقنا و ما قصّرنا

[بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ اِنْ شٰاءَ اللّٰهُ اٰمِنِينَ] قيل: الاستثناء تعليم للعباد كيف يتكلّمون اذا اخبروا عن الآتى.

و قيل: الاستثناء باعتبار حال الدّاخلين فانّ منهم من مات قبل الدّخول و لم يدخل كأنّه قال: لتدخلنّ كلّكم ان شاء الله.

و قيل: الاستثناء باعتبار الامن من العدوّ، و قيل: ان ههنا بمعنى اذ، اى اذشاء الله، و الحقّ انّه ههنا للتّبريك و محض التّعليم.

[مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لاٰ تَخٰافُونَ فَعَلِمَ] من الصّلاح فى اجمال الوعد و عدم التّصريح بوقته [مٰا لَمْ تَعْلَمُوا] فانّه كان فى صدّكم عن المسجد الحرام و صلحكم مع قريش بذلك الصّدّ منافع كثيرة للاسلام و اهله و قوّةً عظيمةً و نشر للاسلام.

[فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ] الدّخول [فَتْحًا قَرِيبًا] هو فتح خيبر او صلح الحديبية فانّه اختلط المسلمون بالمشركين بذلك الصّلح و تمكّنوا من اظهار الاسلام و سمع المشركون باحكام الاسلام و رغبوا فيه و تقوّى الاسلام به و دخل محمّد ﷺ و اصحابه فى العام المقبل و هو سنة الّسبع من الهجرة مكّة فى كمال الّشوكة و العزّة.

[هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ] باحكام الاسلام الّتى هى ما به الاهتداء الى الايمان [وَ دِينِ الْحَقِّ] اى الولاية فانّها الدّين و الطّريق الحقّ الى الله تعالى.

[لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ] اى جنس الدّين [كُلِّهِ] بان يجعل جميع الاديان تحته و يجعل دينه محيطاً بالكلّ بحيث لم يبق دينٌ من لدن ءادم عليه السلام الى انقراض العالم الّا و هو شعبة من دينه و ليظهره بحسب الظّاهر على كلّ الاديان بحيث لم يبق فى بقعةٍ من بقاع الارض دينٌ سوى دينه، و اتمام هذا

فى ظهور القائمعليه‌السلام و قد مضى هذه الآية فى سورة التّوبة.

[وَ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً] لرسوله اقررتم لم لم تـقرّوا [مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَ] هذه الجملة كسابقتها جوابٌ لسؤالِ مقدّرٍ محمّد مبتدء و رسول الله خبره او رسول الله صفته و قوله.

[وَ الَّذِينَ مَعَهُ] عطف على محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله عطف المفرد و المعنى على الوجه الاوّل محمّد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله و الّذين معه فى المرتبة رسل الله، و على الوجه الثّانى محمّد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله مع الّذين معه.

[اَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ] او عطف على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عـلى الوجـه الاوّل و المعنى محمّدٌ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله و هو الّذين معه فى الدّرجة فانّه لافرق بينه و بين من كان معه فى الدّرجة، او هو الّذين معه بالبيعة و التّوبة فانّه و ان كان غيرهم بوجهٍ لكنّه فعليّتهم الاخيرة.

و قد مرّ مراراً انّ شيئيّة الّشىء بفعليّته الاخيرة فشيئيّتهم الّتى هى فعليّتهم الاخيرة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله باعتبار تنزّله بصورته الى مراتبهم فانّه قد مضى مكرّراً انّ البيعة تورث تكيّف البائع بحسب نفسه و فعليّته الاخيرة بصورةٍ نازلةٍ من الّذى بويع معه، و قوله تعالى اشّداء على الكفّار.

[رُحَمٰاء بَيْنَهُمْ]قرئ بالرّفع خبراً لمحمّدٍ صلى‌الله‌عليه‌وآله و الّذين معه على وجـه او خبراً للّذين معه على وجهٍ، او خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ على وجهٍ.

و قرئ بالنّصب حالاً، و لميأت بأداة الوصل للاشعار بـانّهم جـامعون بـين الوصفين فى جمع الاحوال لاانّ بعضهم اشدّاء و بعضهم رحماء، و لاانّهم فـى حـالٍ اشدّاء و فى حالٍ رحماء كأنّهم مرجوا الّشدّة بالرّحمة نظير حلوٌ حامضٌ، لكنّ الاشدّاء بمادّته و الرّحماء بهيئته يدّلان على انّهم جامعونً بين الوصفين و كاملون فيهما.

[تَرىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا] كأنّهم من كثرة صلوتهم مزجوا بين الوصفين

[يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوانًا] الفضل عبارة عمّا يفيض الله على العباد بحسب مقام كثرتهم.

و الرّضوان عبارة عمّا يفيضه عليهم بحسب مقام وحدتهم و بعبارةٍ اخرى الفضل جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الرّسالة و هى احكام القالب، و الرّضوان جزاء الاعمال المأخوذة بحسب قبول الولاية و هى احكام القلب و الرّوح.

[سيماهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ اَثَرِ السُّجُود] المراد به الاثر الّذى يحدث فى جباههم من كثرة الّسجود فى الصّلوة، او المراد الاثر الّذى يحدث فى وجوههم من الّسهر بسبب صلوة اللّيل، او الاثر الّذى يحدث فى وجوههم من كثرة خشوعهم لله تعالى [ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْريٰةِ].

اعلم، انّ الّسالك له شأنان: شأن الّسلوك و شأن الجذب.

و بشأن الّسلوك يؤدّى الحقوق و يقيم كثرات وجوده من قواه و جنوده و يقيم من كان تحت يده من اهله و عياله و خدمه و حشمه و يصلحهم و يسدّ فاقتهم.

و بشأن الجذب ينصرف عن الكثرات الى الوحدة و يجذب قواه و جنوده و عياله الى جهة الوحدة، و يجعل مرمّة معاشه و معاش من تحت يده بحيث يؤدّى الى حسن معاده، و بتوجّهة الى الواحدة يصرف قواه و جنوده عن الكثرة الى الوحدة.

و بعبارةٍ اخرى له قربان؛ قرب النّوافل و قرب الفرائض

و بعبارةٍ اخرى ما يصل اليه من الله امّا يصل اليه بكسبه و اعماله و سبق استعداده و استحقاقه و اختياره و انانيّته، او من دون ذلك.

و الكامل ايضاً له نظران؛ نظر الى الكثرة و نظر الى الوحدة، و وجه

الى الكثرة و وجه الى الوحدة.

و بالوجه الى الوحدة يأخذ من الله و بالوجه الى الكثرة يفيض ما يأخذه على غيره، و بتفاوت هذين النّظرين يختلف الكاملون فى مراتب الكمال.

و الكامل المطلق من كان نظره الى الطّرفين متساوياً من غير ترجّحٍ لاحد الطّرفين على الآخر و هو شأن محمّدٍ صلى الله عليه وآله و الّذين معه، و امّا سائر الانبياء عليهم السلام فلا يخلو احد منهم من رجحان احد الطّرفين و انّ موسى عليه السلام كان نظره الى الكثرات غالباً على نظره الى الوحدة، و عيسى عليه السلام كان نظره الى الوحدة غالباً.

و لذا نقل فيما انّ محمّداً صلى الله عليه وآله قال: انّ اخى موسى عليه السلام كان عينه اليمنى عمياء، و اخى عيسى عليه السلام كان عينه اليسرى عمياء، و انا ذوالعينين.

و للاشارة الى انّ محمّداً صلى الله عليه وآله و المحمّديّين جامعون للطّرفين و كاملون فى النّظرين و تامّون فى القربين قال: ذلك الّذى ذكرنا من اتّصافهم بالاوصاف الاختياريّة و الاحكام القالبيّة، و اصلاح الكثرة مثلهم فى التّوراة الّذى هو نشأة موسى عليه السلام.

[وَ مَثَلُهُمْ فِي الْاِنْجيلِ] الّذى هو حال نشأة عيسى عليه السلام [كَزَرْعٍ اَخْرَجَ شَطْأَهُ] قرئ بسكون التّاء و فتحها و قرئ بالمدّ و بالقصر، و الّشطأ فرخ الحيوان و النّبات و ورق النّبات.

[فَاٰزَرَهُ] قرئ من الثّلاثّى المجرّد و بالمدّ من باب الافعال او المفاعلة و المعنى اعانه و قوّاه حتّى لحقت هذه الافراخ الامّهات او حتّى استكمل الاوراق.

[فَاسْتَغْلَظَ] الزّرع او الّشطأ [فَاسْتَوىٰ عَلٰى سُوقِهِ] فاستوى

الزّرع او الفرخ.

[يُعْجَبُ الزُّرّاعَ] بحسنه و استغلاظه.

قيل: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لمحمّدٍ ﷺ و اصحابه فالزّرع محمّد ﷺ و الّشطأ اصحابه و المؤمنون حوله و كانوا فى ضعف و قلّة كما يكون اوّل الزّرع دقيقاً ثمّ غلظ و قوى و تلاحق فكذلك المؤمنون قوّى بعضهم بعضاً حتّى استغلظ و استووا على امرهم.

[لِيَغيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ] بالبيعة الخاصّة فانّها اصل جميع الصّالحات.

و من باع البيعة الخاصّة كان كأنّه عمل جميع الصّالحات او ءاٰمنوا بالبيعة الخاصّة و عملوا الصّالحات على طبق ما اخذ منهم فى بيعتهم [مِنْهُمْ] من النّاس او من الّذين ءاٰمنوا او من الّذين مع محمّدٍ ﷺ [مَغْفِرَةً] ستراً لمساويهم [وَ اَجْرًا عَظيمًا] لايمكن ان يوصف.

سُورَةُ الحجرات

مدنيّة، و قيل الّا ءاٰية: يا ايّها النّاس انّا خلقناكم من ذكر و انثى (الاية)، ثمانى عشرة ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة فانّ هذا حكم قالبىّ لجملة المسلمين [لٰا تَقُدِّمُوا] قدم كنصر و قدّم من التّفعيل و استقدم و تقدّم بمعنىً و المعنى لاتمشوا.

[بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَ رَسُولِهِ] و المقصود لاتقدّموا بين يدى رسوله لكنّه اضاف الله للاشعار بانّ التّقدّم بين يدى رسول الله ﷺ هو التّقدّم بين يدى الله لانّ رسوله مظهره.

و قرئ لاتقدّموا من التّفعّل اى لاتتقدّموا، و يجوز ان يكون لاتُقدموا بضمّ التّاء و كسر الدّال من قدّمه اذا جعله مقدّماً فى الامر، و يكون المعنى لاتقدّموا احداً على الله و رسوله ﷺ.

او لاتقدّموا امراً على امر الله و رسوله ﷺ او لاتختاروا امراً بين يدى رسوله ﷺ من دون اذنه، او لاتجعلوا امر انفسكم مقدّماً على امر الله بان تجعلوا فى الاعمال المعاديّة امر النّفس و الغايات النّفسيّة نصب اعينكم غافلين عن امر الله، و بان يكون نظركم فى الاعمال المعاشيّة الى ما يزيّنه لكم انفسكم من دون نظر فيها الى امر الله و نهيه، و المقصود من الكلّ هو المقصود من كلّ القرءاٰن و هو لاتقدّموا احداً فى الخلافة و لاتُقْدموا على الخلافة من دون امر الله و رسوله ﷺ.

[وَ اتَّقُوا اللهَ] اى سخطه فى الاقدام على الامور الّشرعيّة [اِنَّ اللهَ

سَميعٌ] لما تقولون فى امر الخلافة، او لما تأمركم انفسكم عند اعمالكم المعاديّة و المعاشيّة.

[عَليمٌ] بنيّاتكم و دقائق اعمالكم و احوالكم و مكنوناتكم الّتى لااطّلاع لكم عليها [يا اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا] لمّا كانت السورة المباركة لتأديب الامّة صدّر كلّ حكمٍ منها بالنّداء تلطّفاً بهم و تنشيطاً لهم للاستماع و جبراً لكلفة التّأديب بلذّة.

[لاٰ تَرْفَعُوا اَصْواٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لاٰ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ] سواءٌ كان فوق صوته ﷺ او لميكن [كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ] كراهة ان تحبط.

[اَعْماٰلُكُمْ وَ اَنْتُمْ لاٰ تَشْعُرُونَ] فانّ رفع الصّوت عنده تركٌ لتعظيمه او اظهارٌ لتحقيره و كلاهما مورثٌ لحبط العمل، و ورد انّ رسول الله ﷺ كان اذا رفع احدٌ عنده صوته رفع صوته فوق صوته.

[اِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ اَصْواٰتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ اُولٰئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى] امتحنه اختبره، و امتحن الله قلبه وسّعه و شرحه، و للتّقوى علّة لامتحن حصوليّة او تحصيليّة يعنى لكونهم متّقين وسّع الله قلوبهم و شرحها، او لاجل تحصيل التّقوى شرح الله قلوبهم، او اختبر الله قلوبهم، و المؤمن الممتحن هوالّذى شرح الله صدره بنزول السكينة فيه و ظهور ملكوت الامام عليه.

و لذلك قال علىّ عليه السلام فى حديث المعرفة بالنّورانيّة: انّ من عرفنى بالنّورانيّة هو المؤمن الممتحن قلبه للايمان، و من امتحن الله قلبه للتّقوى يستشغر مداماً بعظمة الله و عظمة رسوله فلايمكنه رفع الصّوت عند الرّسول ﷺ.

[لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ اَجْرٌ عَظِيمٌ] و يجوزان يكون الوقف على قوله قلوبهم و يكون للتّقوى تعليلاً لما بعده [اِنَّ الَّذِينَ يُنٰادُونَكَ مِنْ وَرٰاءِ الْحُجُرٰاتِ اَكْثَرُهُمْ هُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ] و لذلك لايعظّمونك و يجعونك مثل واحدٍ منهم.

[وَ لَوْ اَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّٰى تَخْرُجَ اِلَيْهِمْ لَكٰانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] تقوية لجهة الرّجاء، فى المجمع: نزل قوله: يا ايّها الّذين ءامنوا (الى قوله) غفورٌ رحيمٌ فى و فد تميمٍ و هم اشراف بنى تميم فى وفدٍ عظيم، فلمّا دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، ان اخرج الينا يا محمّد،... فاذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فقالوا: جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا و خطيبنا، فاذن رسول الله ﷺ فقام خطيبهم اوّلا و خطب، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: قم فاجيه، فقام و خطب احسن من خطيبهم، ثمّ قام شاعرهم و اجابه حسّان بن ثابت، فلمّا فرغوا قال الاقرع بن حابس الّذى كان من اشرافهم: هذا الرّجل خطيبه اخطب من خطينا و شاعره اشعر من شاعرنا، و اصواتهم اعلى من اصواتنا، فلمّا فرغوا اجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائز هم و اسلموا.

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنْ جٰاءَكُمْ فٰاسِقٌ بِنَبَا فَتَبَيَّنُوا] نزلت الآية فى الوليد بن عقبة بعثه رسول الله ﷺ فى صدقات بنى المصطلق فخرجوا يتلقّونه فرحاً به و كانت بينهم عداوة فى الجاهليّة فظنّ انّهم همّوا بقتله فرجع الى رسول الله ﷺ و قال: انّهم منعوا صدقاتهم فغضب النّبىّ ﷺ فنزلت الآية.

و قيل: نزلت فى عائشة حين رمت مارية القبطيّة بجريح القبطىّ، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام و قال: يا اخى خذ هذا السّيف فان وجدته عندها

فاقتله، فقال: يا رسول الله ﷺ اكون فى امرك اذا ارسلتنى كالسّكّة المحماة امضى لما امرتنى ام الّشاهد يرى ما لايرى الغائب، فقال: بل الّشاهد يرى ما لايرى الغائب، قال علىّ عليه السلام فأقبلت متوشّحاً بالّسيف فوجدته عندها فاخترطت[1] الّسيف فلمّا عرف انّى اريده أتى نخلة فرقى اليها ثمّ رمى بنفسه على قفاه و شغر[2] بر جليه فاذا انّه اجبّ امسح، ماله ماللرّجال، فرجعت فأخبرت النّبىّ ﷺ.

فقال: الحمدلله الّذى يصرف عنّا الّسوء اهل البيت، و المعنى ان جاءكم جنس الفاسق الخارج عن طاعة الله و رسوله اوجاءكم فاسق واحد فتبيّنوا الخبر و تجسّسوا صدقه و كذبه، و قد مضى مكرّراً انّ مفهوم المخالفة غير معتبرٍ فى المخاطبات خصوصاً فى الاحكام فليس المقصود ان جاءكم عادل فاعملوا و لاتبيّنوا، و لا ان جاءكم فاسقان فلاتبيّنوا و اعملوا.

فمن اعتبر المفهوم و قال: خبر العدل الواحد حجّة باعتبار مفهوم مخالفة هذه الآية لايُصغى اليه [اَنْ تُصيبُوا] كراهة ان تصيبوا [قَوْمًا بِجَهٰالَةٍ] بحالهم.

[فَتُصْبِحُوا عَلٰى مٰا فَعَلْتُمْ نٰادِمينَ وَ اعْلَمُوا اَنَّ فيكُمْ رَسُولَ اللهِ] فتبيّنوا الاخبار بالعرض عليه و استأذنوه فى العمل بها حتّى لاتصيروا نادمين على فعلكم، او هو تمهيد لما بعده كأنّه قال: انّ هذا الّذى هو فيكم هو رسول الله ﷺ اعتباراً للوصف العنوانىّ.

[لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ الْاَمْرِ] و يطرح امر الله و حكمه [لَعَنِتُّمْ] لتعبتم او هلكتم و هوردّ لما اشار اليه بعضهم من الايقاع ببنى المصطلق.

١- اخترط السّيف = استله.

٢- اى دفع...

[وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ] استداركٌ لما توهّم من انّهم ارادوا ان يحملوا رسول الله ﷺ على طاعتهم كأنّه قال لكنّ الله حبّب.

[اِلَيْكُمُ الْايمٰانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ اِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيٰانَ] فلاتريدون حمل الرّسول ﷺ على اتّباعكم و المراد بالايمان علىّ عليه السلام، او قبول ولايته، او محمّد ﷺ، او قبول رسالته الّذى هو الاسلام.

[اُولٰئِكَ هُمُ الرّٰاشِدُونَ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ وصرفٌ للخطاب عن المؤمنين و الجملة معترضة او غير معترضة [فَضْلاً مِنَ اللّٰهِ وَ نِعْمَةً] مفعول له لحبّب و كرّه او تعليل للرّاشدون بتقدير اللّام لعدم صحّة جعله مفعولاً له للّراشدون لعدم اتّحاد المرفوع و قد تكرّر تفسير الفضل بمحمّدٍ ﷺ و رسالته و احكام رسالته و قبول رسالته، و تفسير النّعمة بعلىٍّ عليه السلام و ولايته و ءاُثار ولايته و قبول ولايته.

[وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ] باحوالكم و دقائق مايصلحكم و لذلك زيّن الايمان فى قلوبكم و كرّه الكفر [حَكِيمٌ] لايفعل ما يفعل الّا لغايةٍ محكمةٍ متقنةٍ.

[وَ اِنْ طٰائِفَتٰانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] اى المسلمين [اقْتَتَلُوا] بيانٌ لادب المعاشرة [فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا فَاِنْ بَغَتْ اِحْديٰهُمٰا عَلَى الْاُخْرىٰ فَقٰاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ اِلٰى اَمْرِ اللّٰهِ] بالرّجوع الى الرّسول و ما حكم به.

[فَاِنْ فٰاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا بِالْعَدْلِ] لمّا كان الاصلاح بعد الامر بالمقاتلة مع الباغين مظنّة للحيف قيّده بالعدل.

او المراد انّ الاصلاح كما يكون باستيفاء جميع الحقوق من الطّرفين يكون باسقاط بعض الحقوق و الاغماض عن بعضٍ فقيّده بالعدل للاشعار بانّ الاصلاح ينبغى ان يكون باستيفاء الحقوق.

[وَ أَقْسِطُوا] فى جميع الامور حتّى فى العبادات فلاتضيّقوا على

انفسكم [اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُقْسِطِينَ] قيل: نزلت فى قتالٍ وقع بين الاوس و الخزرج فى عهد الرّسول ﷺ بالّسعف و النّعال.

و عن الصّادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ:

انّ منكم من يقاتل بعدى على التّأويل كما قاتلت على التّنزيل، فسئل من هو؟ ـ قال: خاصف النّعل يعنى امير المؤمنين عليه السلام فقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الآية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً و هذه الرّابعة و الله لوضربونا حتّى يبلغوا بنا السّعفات من هجرٍ لعلمنا انّا على الحقّ و انّهم على الباطل، و كانت الّسيرة فيهم من امير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله ﷺ فى اهل مكّة يوم فتح مكّة فانّه لم يَسْب لهم ذرّيّة و قال: من اغلق بابه فهو ءاٰمنٌ، و من القى سلاحه فهو ءاٰمنٌ، و من دخل داراىى سفيان فهو ءاٰمنٌ.

و كذلك قال امير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة نادى فيهم لاتَسْبلوا لهم ذرّيّةً، و لاتجهزوا على جريحٍ، و لاتتبعوا مدبراً، و من اغلق بابه و ألقى سلاحه فهو ءاٰمن.

[اَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ] قد مضى فى سورة البقرة و فى سورة النّساء وجه كون المؤمنين اخوةً عند قوله تعالى: و بالوالدين احساناً و ذكر انّما المؤمنون اخوة ليكون تمهيداً و تعليلاً و رفعاً لكلفة التّكليف بالاصلاح.

لقوله تعالى: [فَأَصْلِحُوا بَيْنَ اَخَوَيْكُمْ] و هذا اعمّ من سابقه فانّ المراد ههنا انّه اذا وقع اختلاف بين المؤمنين سواء بلغ الى حدّ المقاتلة او لم يبلغ فأصلحوا بينهما.

[وَ اتَّقُوا اللّٰهَ] و سخطه فى الحيف و الميل الى احد الطّرفين [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] على اصلاحكم و عدم ميلكم، او لعلّكم ايّها المتخالفون و المصلحون جميعاً ترحمون.

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] ادبٌ ءاُخر و لمّا كانت الّسخريّة من الخلق سجّيّةً لاكثر النّاس و تركها صعباً صدّره بالنّداء جبراناً لكلفته.

[لاٰيَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ اَنْ يَكُونُوا] اى القوم المسخور منهم [خَيْراً مَنْهُمْ]اى من الّساخرين.

[وَ لاٰنِسٰاءٌ مِنْ نِسٰاءٍ عَسٰى اَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مَنْهُنَّ] قال القمّىّ: نزلت فى صفيّة بنت حيّ بن اخطب و كانت زوجة رسول الله ﷺ و كانت عائشة و حفصة توذيانها و تشتمانها و تقولان لها: يا بنت اليهوديّة.

فشكت الى رسول الله ﷺ فقال لها: الاتجيبينهما؟

ـ فقالت: بماذا يا رسول الله ﷺ؟

ـ قال: قولى لهما: انّ ابى هارون ﷺ نبيّ الله، و عمّى موسى كليم الله، و زوجى محمّد ﷺ رسول الله ﷺ فما تنكران منّى؟! فقالت لهما: فقالتا هذا علّمك رسول الله ﷺ.

[وَ لاٰ تَلْمِزُوا اَنْفُسَكُمْ] أتى بهذه الكلمة اشعاراً بعلّة الحكم حيث انّ المؤمنين كلّ منهم بمنزلة نفس الآخر [وَ لاٰ تَنٰابَزُوا بَالاْلَقٰابِ] الّسيّئة بان يلقّب بعضكم بعضاً بلقب سوءٍ.

[بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ] الخروج عن عهد محمّدٍ ﷺ و عقده و شروط عقده بذلك و انّما أتى بالفسوق مقام الضّمير او اسم الاشارة للاشعار بانّ ذلك فسوق و خروج عن عهدة عهدالله.

[بَعْدَ الاْيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ] عن الّسخريّة و اللّمز و النّبذ بالالقاب، و أتى بذكر التّوبة اشعاراً بانّه معصية.

[فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ] لاظالم اظلم منهم [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] لمّا كان الحكم الآتى ايضاً ممّا يصعب امتثاله لكون الظّنّ فى جبلّة اكثر

النّاس أتى بالنّداء.

[اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ] ابهام الكثير ليحتاط فى كلّ ظنٍّ و يتبيّن انّه من ايّ القبيل.

اقسام الظّنّ و هى خمسة بحسب الاحكام الخمسة

[إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ] اجتناب اصل الظّنّ غير مقدورٍ للمكلّفين الّا ان يكون الامر باجتناب الظّنّ امراً باجتناب الظّنّ امراً باجتناب مباديه.

و امّا اجتناب اتّباعه فانّه مقدور لكلّ احدٍ و الظّنون مختلفة فظنّ يجب اتّباعه لو حصل، و يجب تحصيله لو لم‌يكن حاصلاً و هو الظّنّ حين الّشكّ فى الصّلوة، و الظّنّ حين الاحتياط فى العمل.

وكالظّنّ الحسن بالله و بالمؤمنين، و ظنّ يستحبّ اتّباعه لو حصل و يستحبّ تحصيله لو لم‌يكن حاصلاً كالظّنّ بحاجة المؤمن، وتحصيل الظّنّ بحاله من جاجةٍ و غيرها، و ظنّ يكره اتّباعه و تحصيله كالظّنّ بنجاسة شيءٍ لايحصل من تطهيره ضررٌ معتدّبه.

و ظنّ يحرم اتّباعه و تحصيله كالظّنّ بسؤات المؤمنين و عوراتهم و فحشائهم، و ظنٌّ مباح، فبعض الظّنّ اثم يجب اجتنابه و ترك اتّباعه.

و عن علىّ عليه السلام قال: ضع امر اخيك على احسنه حتّى يأتيك ما يقلبّك منه، و لاتظنّنّ بكلمةٍ خرجت من اخيك سوءً و انت تجد لها فى الخير محملاً.

و عن على عليه السلام: اذا استولى الصّلاح على الزّمان و اهله ثمّ اساء رجلٌ الظّنّ برجلٍ لم يظهر منه خزيةٌ فقد ظلم، و اذا استولى الفساد على الزّمان و اهله ثمّ احسن الرّجل الظّنّ برجل فقد غرر.

معنى الغيبة

[وَ لٰا تَجَسَّسُوا] عن عورات المؤمنين حتّى يحصل لكم ظنّ سوء، و قرئ لاتحسّسوا بالحاء المهملة و هو بمعناه.

عن الصّادقعليه‌السلام قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: لاتطلبوا عثرات المؤمنين فانّه من تتبّع عثرات اخيه تتّبع‌الله عثرته، و من تتّبع‌الله عثرته يفضحه و لو فى جوف بيته.

[وَ لٰا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا] اى لايذكر بعضكم بعضاً بالسّوء فى غيبته، و الغيبته ان تظهر بلسانك او بسائر جوارحك بالتّصريح او بالكناية و التّلويح عيباً للمؤمن قد ستره‌الله عليه فى غيابه، و حيث لم‌يكن يعلم باظهارك، و امّا العيوب الّتى لم‌تكن فى المؤمن فنسبتها اليه فى حضوره و غيابه تكون بهتاناً و تكون اشدّ من الغيبة، و يظهر ممّا ذكرنا فى سورة البقرة فى بيان قوله تعالى: و بالوالدين احساناً وجه حرمة الّسخريّة بالمؤمن و لمزه ونبزه باللّقب الّسوء و الظّنّ به و تجسّس عورته و الغيبة له و البهتان له.

و يظهر ايضاً سرّ كونها اشدّ من الزّنية، و قد ذكر فى الفقه الموارد الّتى يجوز الغيبة فيها.

و عن الصّادق عليه‌السلام انّه سئل عن الغيبة فقال: هو ان تقول لاخيك فى دينه ما لم يفعل و تبثّ عليه امراً قد ستره الله لم‌يقم عليه فيه حدّ، و فى روايةٍ: و امّا الامر الظّاهر فيه مثل الحدّة و العجلة فلا.

و عن الكاظمعليه‌السلام من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه النّاس لم‌يغتبه، و من ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لايعرفه النّاس اغتابه، و من

ذكره بما ليس فيه فقد بهته.

و فى حديثٍ: قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذره النّاس.

و فى اخبارٍ عديدةٍ مضمون قول النّبىّ ﷺ: ايّاكم و الغيبة فانّ الغيبة اشدّ من الزّنا، ثمّ قال: انّ الرّجل يزنى و يتوب فيتوب الله عليه، و انّ صاحب الغيبة لايغفر له الّا ان يغفرله صاحبه، و الغيبة المحرّمة تكون للمؤمن او للمسلم مطلقاً او لمن قبل صورة الاسلام منتحلاً كان او مسلماً او مؤمناً.

قال بعض اهل المعرفة: غير المؤمن حكمه حكم الانعاد فكما لاغيبة للانعام لاغيبة لغير المؤمن، و لغير المتّصف بالاسلام حقيقةً فانّ منتحل الاسلام كمنتحلى التّهودّ و التّنصرّ لاحرمة له انّما الحرمة لمن اتّصل بمظاهرالله بالبيعة العامّه او الخاصّة، و التّحقيق انّ رؤية العيب من العباد بل من مطلق خلق الله ليست الّا من نظرٍ ردیٍّ خسيسٍ و هو النّظر الى الاشياء مباينة للحقّ المقوّم الصّانع لها مع الغفلة عن الحقّ تعالى و صنعه.

و مع النّظر الى النّفس و الاعجاب بها، او مع الغفلة عنها و عن عيوبها، و اذا أراد الله بعبدٍ شرّاً بصّره عيوب غيره و أعماه عن عيوب نفسه، و ذكر الاشياء و تعييبها فى الحقيقة راجعٌ الى تعييب الصّنع، و الغفلة عن الصّانع و صنعه حين النّظر الى المصنوع كفر للطّانع، و الغفلة من النّفس و عيوبها مذموم، و رؤية النّفس و الاعجاب بها اصل جميع الّشرور.

فرؤية الّسوء من غير الانسان قبيحة، و رؤيته من الانسان اقبح، و من المنتحل للاسلام اشدّ قبحاً، و من المسلم اشدّ قبحاً، و من المؤمن اشدّ قبحاً، و ذكره فى غيابه او حضوره بسوءٍ لاقبيح اقبح منه حتّى نسب الى الخبر انّه اشدّ من سبعين زنيةً مع الامّ تحت الكعبة.

و لذلك نسب الى عيسى عليه السلام انّه مرّمع الحواريّين على جيفة كلبٍ

منتنةٍ فقال الحواريّون: ما انتنه...!

فقال عیسی عليه السلام: ما ابيض اسنانه...!

و روی انّ نوحاً مرّ علی کلبٍ کریه المنظر فقال نوح: ما اقبح هذا الکب فجثا الکلب و قال بلسان طلق ذلق: ان کنت لاترضی بخلق الله فحوّلنی یا نبیّ الله، فتحیّر نوح و اقبل یلوم نفسه بذلك و ناح علی نفسه اربعین سنة حتّی ناداه الله تعالی الی متی تنوح یا نوح؟ فقد تبت علیك.

و عن النّبیّ صلّی الله علیه و آله: المؤمن اذا کذب بغیر عذرٍ لعنه سبعون الف ملك و خرج من قلبه نتنٌ حتّی یبلغ العرش، ویلعنه حملة العرش و کتب الله علیه بتلك سبعین زنیةً اهونها کما یزنی مع امّه، و الکذب قبیح من کلّ احدٍ خصوصاً من المؤمن لکن غیبة المؤمن اقبح منه بمراتب.

و عنه صلّی الله علیه و آله: من ءأذی مؤمناً فقد ءأذانی، و من ءأذانی فقد ءأذی الله، و من ءأذی الله فهو ملعون فی التّوراة والانجیل و الزّبور و الفرقان، و هو ما ذکره بسوءٍ فوق جمیع المعاصی و غایتها کما قال تعالی: ثمّ کان عاقبة الّذین اساؤا الّسوءی ان کذّبوا بآیات الله و استهزؤا بها.

و قال صلّی الله علیه و آله: من اغتاب مؤمناً بما فیه لم یجمع الله بینهما فی الجنّة ابداً، و من اغتاب مؤمناً بما لیس فیه انقطعت العصمة بینهما، و کان المغتاب فی النّار خالداً فیها و بئس المصیر، فالغیبة بما لیس فی المؤمن تجمع خواصّ الغیبة و الکذب جمیعاً.

و قال صلّی الله علیه و آله: انّه یؤتی بأحدٍ یوم القیامة یوقف بین یدی الله و یدفع الیه کتابه فلا یری حسناته فیقول: الهی لیس هذا کتابی! لانّی: لااری فیها طاعتی! فیقول له: انّ ربّك لایضلّ و لاینسی، ذهب عملك باغتیاب النّاس، ثمّ یؤتی بآخر و یدفع الیه کتابه فیری فیه طاعاتٍ کثیرة.

فيقول: ما هذا كتابى! فانّى ما عملت هذه الطّاعات! فيقول: لانّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك.

و قال ﷺ: كذب من زعم انّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة و اجتنبوا الغيبة فانّها ادام كلاب النّار.

و نعم ما قال المولوىّ قدّس سرّه:

عيب بر خود نه نه بر ءأيات دين
کی رسد بر چرخ دين مرغ گلين
پس تو حيران باش بی لا و بلی
تا ز رحمت پيشت آيد محملی
عيب باشد كو نبيند جز كه عيب
عيب کی بيند روان پاك غيب
ای خنك جانی كه عيب خويش ديد
هر چه عيبی ديد آن بر خود خريد

[اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ اَخيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ] و لقد أتى بالاستفهام الانكارىّ و بالاحد للعموم و بأكل لحم الميّت من الاخ و بتأكيد مفهوم نفى الحبّ بعطف كرهتموه للمبالغة البالغة فى النّهى عن الغيبة و تمثيل الغيبة بأكل لحم الميتة.

لانّ الاسماء قوالب المسمّيات و لاحكم لها على حيالها، و من ذكر مؤمناً بسوءٍ لايكون ذلك منه الّا بتخلية المؤمن عن لطيفة ايمانه فذكره على لسانه و سماعه بسمعه بمنزلة لحمه الخالى عن الرّوح الممضوغ بفمه و الدّاخل فى جوفه فانّ دخوله فى جوفه فانّ دخوله فى جوفه من طريق سمعه كدخوله فى جوفه من طريق حلقه، و لذلك ورد انّ السّامع للغيبة شريك

المغتاب.

[وَ اتَّقُوا اللّهَ] فلاتغتابوا و توبوا ان اغتبتم، و لمّا كان فى جبلّة الانسان رؤية العيب من الغير و ذكر ما رءاه على لسانه و قد بالغ تعالى فى ذمّ الغيبة و النّهى عنه و كان ذلك مورثاً ليأس اغلب النّاس عن رحمته تعالى قال: [اِنَّ اللّهَ تَوّابٌ رَحيمٌ] بعد ذلك ترجيحاً لجانب الرّجاء.

[يا اَيُّهَا النّاسُ] هذا الّذى يأتى تأكيدٌ للنّواهى الّسابقة و تعليلٌ لها [اِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ اُنْثىٰ] يعنى من هذين الجنسين او من ءادم و حوّاء عليهما السلام [وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَ قَبائِلَ] الّشعوب للعجم كالقبائل للعرب، و قيل: الّشعب بفتح الّشين الجمع العظيم المنتسبون الى اصلٍ واحدٍ و هو يجمع القبائل، و القبيلة تجمع العمائر.

و العمارة تجمع البطون، و البطن يجمع الافخاذ، و الفخذ يجمع الفصائل، والاقل من الكلّ الفصيلة، فخزيمة شعب و كنانة قبيلة، و قريش عمارة ودقصى بطن و هاشم فخذ و عبّاس فصيلة.

[لِتَعارَفُوا] لاان تفاخروا و تنابزوا و تلمزوا و تسخروا و تغتابوا [اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّهِ اَتْقيٰكُمْ] فليست الكرامة و الّشرف بالنّسب و الحسب و المال و الجمال و كثرة الاولاد و الخلوّ من العيوب.

[اِنَّ اللّهَ عَليمٌ] بالمتّقى منكم و الاتقى و بالّشقىّ و الاشقى [خَبيرٌ] بما لايتعلّق علمكم به من بواطن اموركم و قدر استعدادكم و استحقاقكم [قالَتِ الْاَعْرابُ اٰمَنّا].

اعلم، انّ الاسلام و هو الدّخول تحت احكام القالب يحصل بمحض الاقرار اللّسانىّ و البيعة العامّة النّبويّة، و لذلك كانوا يدخلون النّاس فى الاسلام بالبيعة العامّة بالتّخويف و الّسيف و القتل و الاجلاء و الاسر و

النّهب و هو فى الحقيقة انقياد للّسلطانة الخلقيّة لاللحكومة الالهيّة، فان كان مع ذلك اعتقاد بالحكومة الآلهيّة و انقياد فى القلب كان الاسلام حقيقة و سمّوا مسلمين حقيقة و الّا كانوا مسلمين ظاهراً لاحقيقةً.

و الايمان و هو الدّخول تحت احكام القلب يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة و ليس الّا انقياد القلب لمن ءأمن على يده.

و بعبارةٍ اخرى الاسلام الحقيقيّ قبول الرّسالة كما انّ الاسلام الظّاهريّ قبول احكام الرّسالة، و الايمان قبول احكام النّبوّة و الولاية.

و بعبارةٍ اخرى؛ الاسلام قبول الدّعوة الظّاهرة، و الايمان قبول الدّعوة الباطنة.

و بعبارةٍ اخرى الاسلام تحلّى الظّاهر بحلية الّشريعة، و الايمان تكيّف الباطن بكيفيّة الامام الّتى هى صورة نازلة منه ملكوتيّة تدخل قلب المؤمن و بها يكون فعليّته الاخيرة، و بها تحصل الابوّة و النبوّة بين الامام و المؤمن، و بها تحصل الاخوّة بين المؤمنين و هى الّتى اذا ظهرت على صدر المؤمن صارت سكينّةً و فكراً و حضوراً و هى ظهور القائم عليه السلام فى العالم الصّغير، و بها تحصل المعرفة بالنّورانيّة و بها تشرق الارض بنور ربّها.

و لمّا كانت الاعراب بمحض البيعة العامّة و الدّخول تحت احكام القالب قالوا: ءأمنّا، و لميكونوا يؤمنون بالبيعة الخاصّة و لميتكيّف قلوبهم بكيفيّة الامام و لميتنزّل صورة الامام فى قلوبهم فانّها لاتتنزّل الّا بالبيعة الخاصّة و الاتّصال المعنوىّ بالامام عليه السلام قال الله تعالى لنبيّه: قل لهم الايمان غير الاسلام و الاسلام الظّاهرىّ الّذى هو الدّخول تحت الّسلطنة بمحض البيعة العامّة غير الاسلام الحقيقىّ الّذى هو الانقياد تحت الحكومة الالهيّة بالبيعة العامّة فانْفُ الايمان عنهم رأساً.

و [قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ] اقتصروا فى القول على ما هو المتيقّن من الدّخول تحت الّسلطنة بالبيعة العامّة و [قُولُوا اَسْلَمْنٰا] و لم يقل اسلمتم لايهام اثبات الاسلام الحقيقىّ و الحال انّه ليس بمتيقّنٍ.

[وَ لَمّٰا يَدْخُلِ الْايمٰانُ] الّذى هو كيفيّة نازلة من الامام فى قلب المؤمن بالبيعة [فِي قُلُوبِكُمْ] لعدم وقوع تلك البيعة منكم و قدمرّ فى اوّل البقرة بيان معانى الاسلام و الايمان.

[وَ] لكن [اِنْ تُطيعُوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ] حتّى يتحقّق بالطّاعة فيكم حقيقة الاسلام [لٰا يَلِتْكُمْ] لاينقصكم [مِنْ اَعْمٰالِكُمْ] بانفسها على تجسّم الاعمال و من اجورها.

[شَيْئاً اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر منكم زّلاتكم و لاينظر الى عدم ايمانكم و الى انّ الاسلام الظّاهر لاينفع سوى المنافع الدّنيويّة [رَحيمٌ] يتفضّل عليكم بأنواع فضله و لاينظر الى عدم استحقاقكم.

[اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] بعد ما نفى ايمانهم بمحض البيعة العامّة بيّن انّ الايمان ليس محض البيعة العامّة و قال: انّما المؤمنون [الَّذينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ] اى باعوا البيعة الخاصّة الّتى بها يحصل الايمان و الدّخول تحت احكام القلب و قبول احكام الولاية فبقوا عليه حتّى يظهر لهم ءاُثار الولاية و يصلوا الى حدود القلب و لذلك أتى بثمّ.

و قال [ثُمَّ لَمْ يَرْتٰابُوا] فانّ البائع البيعة الخاصّة قلّما ينفكّ عن الارتياب و الاضطراب فى اوّل الامر و اذا ظهر عليهم ءاُثار الولاية و ظهر لهم رذائل الصّفات و خصائلها حصل لهم الاطمينان و جاهدوا لامحالة مع جنود الّشيطان و لدفع الرّذائل و جلب الخصائل.

و لذلك قال [وَ جٰاهَدُوا بِاَمْوٰالِهِمْ] من الاعراض الدّنيويّة و

الاعراض النّفسانيّة و القوى البدنيّة و الوجاهة الانسانيّة، و نسب الافعال و الاوصاف الى انفسهم.

[وَ اَنْفُسِهِمْ] من انانيّاتهم الّتى هى اصل سيّئاتهم و شرورهم [فِي سَبِيلِ اللهِ اُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ] الخارجون من الاعوجاج.

اعلم، انّ الايمان الحاصل بالبيعة الخاصّة و قبول الدّعوة الباطنة امّا يكون صاحبه فى مقام الصّدر غير خارجٍ منه الى نواحى القلب و هذا لايخلو من اضطرابٍ فى بعض الاحيان و لايخلو من صرف الاعمال عن جهتها الآلهيّة الى الجهات النّفسانيّة فلايخلو ايضاً من اعوجاجٍ.

و اذا خرج من حدود الصّدر الّذى هو محلّ الاسلام الى حدود القلب الّذى هو محلّ الايمان صار خارجاً من الارتياب و من الاعوجاج الّذى هو مداخلة اغراض النّفس فى الاعمال الآلهيّة.

و كأنّ القسم الاوّل غير خارج عن حقيقة الاسلام و غير داخل فى حقيقة الايمان و ان كان يحصل بالبيعة الخاصّة صورة الايمان.

و لهذا قال الصّادق عليه‌السلام فيماورد عنه: انّما تمسّكتم بأدنى الاسلام فايّاكم ان يفلت من ايديكم، و للاشارة الى حقيقة الايمان الّتى بها يحصل الصّدق فى الاعمال و يرتفع الارتياب قال: ثمّ لم يرتابوا (الى ءاٰخر الآية) و للاشارة الى حصول صورة الايمان بمحض البيعة الخاصّة قال: الّذين ءاٰمنوا بالله و رسوله يعنى بالبيعة الخاصّة.

لانّ المخاطبين كانوا بائعين بالبيعة العامّة فلم يكن المراد البائعين البيعة العامّة و انّما اقتصر على ذكر الاوصاف و الآثار للمؤمنين لانّه ان قال: انّما المؤمنون الّذين باعوا البيعين او باعوا البيعة الخاصّة او البيعة الولويّة لكان المنافقون طلبوا ذلك وز احموا النّبىّ صلى‌الله‌عليه‌وآله بذلك و ءاٰذوه طلباً لذلك.

[قُلْ] لهؤلاء الّذين يظهرون الايمان على السنتهم [اَ تُعَلِّمُونَ اللهَ بِدينِكُمْ] يعنى ان كنتم مؤمنين فلاحاجة الى اظهاره.

فانّ الايمان هو وصف الهىّ وغايته الهيّة فان كان اظهاركم لاعلام النّاس بذلك لاينبغ ذلك لانّه وصف آلهىّ لاخلقىّ، و ان كان لاعلام الله لاينبغى ذلك ايضاً لانّكم بأعمالكم و اوصافكم و أحوالكم غير خارجين من السّماوات و الارض.

[وَ اللهُ يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِى الْاَرْضِ وَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَليمٌ] تعميمٌ بعد تخصيصٍ او تأكيدٌ، روى انّه لمّا نزلت الآية المتقدّمة جاؤا و حلفوا انّهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية.

[يَمُنُّونَ عَلَيْكَ اَنْ أَسْلَمُوا] منّ عليه منّاً و منّينى كحلّيفى انعم عليه، و منّ عليه منّةً عدّ نعمته عليه و اعتدّ بها و عظّمها.

و هذا هو المراد ههنا فانّهم اعتدّوا باسلامهم نعمةً عليه [قُلْ لاٰ تَمُنُّوا عَلَىَّ اَسْلاٰمَكُمْ] لانّ الاسلام ليس نعمة لكم و لا لى بل هو مقدّمة للايمان الّذى هو نعمة لكم ولى فقل لهم: لاتعتدّوا باسلامكم و لاتعدّوه نعمة علىّ.

[بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ] ينعم عليكم او يعدّه نعمةً عليكم [اَنْ هَدٰيكُمْ لِلْايمٰانِ] ان ادخلكم فى الاسلام الّذى هو ما به الهداية الى الايمان الّذى هو نعمة [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقينَ] فى ادّعاء الاسلام، قال القمّىّ: نزلت الآية فى عثمان يوم الخندق.

[اِنَّ اللهَ يَعْلَمُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] فيعلم خفيّات اموركم و صدق نيّاتكم و مكموناتكم الّتى لاخبرة لكم بها من القوى و الاستعدادات المكمونة [وَ اللهُ بَصيرٌ بمٰا تَعْمَلُونَ] فيعلماغراضكم فيها.

سُورَةُ قٓ

مكّيّة، و قيل الّا قوله: و لقد خلقنا السّموات و الارض (الى قوله) قبل الغروب،

خمسة و اربعون ءاٰيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قٓ] اسم لله او للنّبىّ ﷺ، او للقرءاٰن، او للجبل المحيط بالدّنيا، و هو من جبال عالم البرزخ او المثال او نفس عالم البرزخ لانّ خلفه عالم المثال [وَ الْقُرْاٰنِ الْمَجيدِ] العظيم فى نفسه المنيع من التّسلّط عليه، و جواب القسم محذوف اى انّك لرسول الله ﷺ او انّهم ليبعثون بقرينة ما بعده.

[بَلْ عَجِبُوا اَنْ جاٰءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ] يعنى ما كذّبوك لانّهم وجدك كاذباً بل كذّبوك لتعجّبهم من رسالة البشر.

[فَقاٰلَ الْكاٰفِرُونَ] برسالتك [هٰذاٰ] الّذى يدّعيه من الرّسالة من الله [شَیْءٌ عَجيبٌ] يعجب منه، او هذا الّذى يقوله من البعث بعد الموت و تفتّت العظام شىءٌ يتعجّب منه.

[ءَاِذاٰ مِتْناٰ وَ كُنّاٰ تُراٰبًا] نبعث و نرجع [ذٰلِكَ] الاحياء بعد الموت [رَجْعٌ بَعيدٌ] لعدم امكانه فانّ البعث على ما يتصوّره العوامّ، يقول الفلسفىّ الّذى يعدّ نفسه من الحكماء انّه محالٌ عقلا لاستلزامه ردّ الفعليّة الى القوّة و الاستعداد، و الموجود الى المعدوم كما بيّن فى محلّه.

[قَدْ عَلِمْناٰ ماٰ تَنْقُصُ الْاَرْضُ مِنْهُمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنه قيل: كيف يبعثون؟

ـ و الحال انّهم مختلطون بالارض! [وَ عِنْدَناٰ كِتاٰبٌ حَفيظٌ] حافظ

الجميع ما لهم من القوى و الاعضاء و حافظ لاسمائهم و اعدادهم و اعمالهم من الخير و الّشرّ، او محفوظ من التّغيير و التّبديل.

[بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ] يعنى ليس تكذيبهم للبعث لوجود البرهان عليه بل لانّهم صاروا باطلين، و الباطل لايصدّق الحقّ و منه رسالتك و خلافة علىٍّ عليه السلام و القرءان و البعث.

[فَهُمْ في اَمْرٍ مَريجٍ] مختلط من الاهوية البهيميّة و الاستعلاء اّلسبعيّة و الحيل اّلشيطانيّة، او هم فى امرٍ مختلط من حال محمّدٍ صلى الله عليه و آله فيقولون: انّه مجنونٌ او شاعرٌ او ساحرٌ او كاهنٌ.

[اَ] لم يخرجوا من حدود انفسهم فلم يقوموا من نكسهم [فَلَمْ يَنْظُرُوا اِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها] بحيث لايمكن بقاء مواليد الارض بدون هذا البناء [وَ زَيَّنّاها] بالكواكب بحيث يتّصل اثرها الى الارض و مواليدها و لولا ءاثار تلك الكواكب لما امكن بقاؤها.

[وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ] بحسب الصّورة يعنى ليس بناؤها مثل بناء البانين من البشر لايمكن لهم ان يبنوا بلا فروجٍ و مالها خلل و نقص فى خلقتها حتّى يمكن لاحدٍ ان يقول: لو كان كذا لكان اولى.

[وَ الْاَرْضَ مَدَدْناها] اى كيف مددنا الارض بحيث يمكن التّعيّش عليها و الانتقاع بها بالزّارعات و التّجارات و العمارات.

[وَ أَلْقَينا فيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوجٍ] اى صنف [بَهيجٍ] من النّبات و بذلك الانبات يسهل تعيّشكم و تعيّش انعامكم وليس هذا من محض الطّبيعةً كمايقوله اراذل النّاس من الطّبيعيّة و الدّهريّة بل من مبدء عليمٍ قديرٍ رحيمٍ حكيمٍ مدبّرٍ، و خلق الكلّ لبنى ءادم كما هو المشهود، و ليس ذلك لتعيّشهم فى الدّنيا كما يقوله منكروا البعث بل

لتعيّشهم فى الدّنيا و استكما لهم فيها ليكونوا فى الآخرة على احسن وجهٍ [تَبْصِرَةً وَ ذِكْرٰى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ] الى ربّه فانّ غيره لابتلائه بالحرص و طول الامل يمرّ على الآيات غافلاً عنها.

[وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً] كثير البركة فانّ بركات الارض كلّها من الماء و ليس من ماء فى الارض الّا وقد خالطه ماء الّسماء.

كما روى عن النّبىّ ﷺ: ليس من ماءٍ فى الارض الّا و قد خالطه ماء الّسماء.

او المراد بالّسماء جهة العلو.

[فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ] نسبة الانبات الى الجنّات باعتبار انبات اشجارها مجاز عقلىّ [وَحَبَّ الْحَصيدِ] يعنى انبتنا به حبّ النّبات الّذى من شأنه ان يحصد.

[وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ] طوالاً [لَها طَلْعٌ نَضيدٌ] منضود بعضها فوق بعض [رِزْقاً لِلْعِبادِ] اى نرزق بذلك الطّلع بعد بلوغه و نضجه رزقاً للعباد، او حالكون الطّلع رزقاً للعباد.

[وَ أَحْيَيْنابِهِ] بذلك الماء [بَلْدَةً مَيْتًا كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ] بعد المماة فما لكم تشاهدون اماتة الاشجار و الاراضى عن الاوراق و النّبات و احياءها بعد ذلك و تنكرون احياء البشر بعد المماة.

و هذا تمثيل لسهولة تصوير البعث او تنبيه على البيّنة الوجدانيّة [كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ اَصْحابُ الرَّسِّ] الّذين رسّوا نبيّهم فى الارض و قد مضى قصّتهم و بيان الرّسّ فى سورة الفرقان.

[وَ ثَمُودُ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ]المراد من فرعون هو و قومه كما اراد من ثمود و عاد الطّائفتين الّلتين سمّيتا بهما.

[وَ إِخْوَٰنُ لُوطٍ]اى اخوان معاشرته [وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ]اى قوم شعيبٍ كما سبق مكرراً [وَ قَوْمُ تُبَّعٍ]قدسبق فى سورةالدّخان [كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ]وفيه تسلية للرّسول ﷺ وقومه و تهديدٌ للكفّار بوعيده.

[أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ]أَ فنعجز عن الاعادة بذلك؟![بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ]اى فى اشتباه و لذلك انكروا الخلق الجديد لا انّ لهم برهاناً على عدمالاعادة كما يدّعيه الفلاسفة، او فى اختلاطٍ من خلقٍ جديدٍ و نكّر الخلق الجديد لانّ الخلق الجديد لهم من قبيل الحركة فهم فىكلّ ءان فى خلقٍ غير الخلق الاوّل فلابقاء لفردٍ من افرادهحتّى يمكن ان يعرف.

حديثٌ فى تجدّدالعوالم غير هذا العالم

عن الباقر عليه السلام انّه سئل عن هذهالاية فقال: تأويل ذلك انَّ اللّهَ تعالى اذا افنى هذا الخلق و هذا العالم و سكن اهلالجنّة الجنّة و اهل النّار النّار جدداللّه عالماً غير هذا العالم و جدّد خلقاً من غير فهولة و لا اناث يعبدونه و يوحّدونه، و خلق لهم ارضاً غير هذهالارض تحملهم و سماء غير هذا السّماء تظلّهم، لعلّكترى انّ اللّه انّما خلق هذ العالم الواحد، اوترى انّاللّه لم يخلق بشراً غيركم، بلى واللّه لقد خلق الف الف عالمٍ، والف الف ءادم، انت فى ءاخر تلك العوالم و اولئكالادميّين.

[وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ]تمهيد لعلمه تعالى بخفيّات امورالانسان و تعليل لقوله: قد علمنا ما تنقص الارض منهم، و المراد بالانسان جنس الانسان.

[وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ]من خطرات قلوبه [وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ] تعليل لعلمه بخفيّات اموره والاوردة العروق النّابتة

من الكبد و بها يجرى الدّم الّذى هو غذاء البدن الى الاعضاء كما انّ الشّرائين العروق النّابتة من القلب و بها يجرى الرّوح الحيوانى و الرّوح الدّماغى الى الاعضاء و صار حبل الوريد مثلاً فى القرب.

[إِذْ يَتَلَقَّى]ظرفٌ لاقرب او لنعلم اولهما يعنى نحن اقرب اليه وقت اذ يتلقّى.

[ٱلْمُتَلَقِّيَانِ]اى اذ يتلقّى الحفيظان ما يتلفّظ و ما يفعله والمعنى نحن اقرب اليه وقت تلقّى الكاتبين الفاظه و اعماله فلاحاجة لنا الى كاتب يكتب اعماله.

[عَنِ ٱلْيَمِينِ وَ عَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ]مراقب كثيراً لاعماله [عَتِيدٌ]معدّ لكتابة الاعمال.

عن الصّادق عليه السلام ما من قلبٍ الاّ وله اذنان على احديهما ملك مرشد و على الاخرى شيطان مفتّنٌ هذا يأمره و هذا يزجره، الشّيطان يأمره بالمعاصى، والملك يزجره عنها، و هو قول الله تعالى عن اليمين و عن الشّمال قعيد، و فى بعض الاخبار تلويح بانّ صاحب اليمين و صاحب الشمال كليهما ملكان، صاحب اليمين اميرعلى صاحب الشّمال و يكتب الحسنات و صاحب الشّمال و يكتب السّئات و هذا من سعة وجوه القرءان.

[وَ جَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ] سكرة الموت كناية عن الغشية الحاصلة عنده، و اتى بالماضى لتحقق وقوعه [بِٱلْحَقِّ] لايغيّر الحقّ حتّى تكون امارةٌ كاذبةً و قرىء: و جاءت سكرة الحقّ بالموت، والباء على القرائتين للتّعدية، او بمعنى مع، او للسببيّة [ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ] وتفرّ، و الجملة حاليّة، او جوابٌ لسؤال مقدّرٍ بتقدير القول، والخطاب لمطلق الانسان او لمنكر البعث.

[وَ نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ] و هذه ايضاً حاليّة او

مستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقال له ذلك اليومالعظيم يومالوعيد الّذى كنت تنكره، و المراد بالنّفخة النّفخة الثّانية كما انّ المراد بمجىء سكرةالموت النّفخة الاولى.

[وَ جَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَ شَهِيدٌ]السّائق ملك موكّل على الانسان يسوقه الى المحشر والى الاخرة، ويزجره عنالوقوف فى المواقف، والشّهيد ملك موكّل عليه يحضر معه فى كلّ موطن و يحفظ و يشهد عليه بجميع اعماله، فانّه كما انّ الانسان فىالدّنيا له نوائب تمنعه عن الوقوف والاطمينان بالدّنيا وله حالة يلتذّ بها فى المناجاة والطّاعات كذلك فى الاخرة عليه ملك يزجره عن الوقوف و يسوقه، و ملك حاضر معه فى جميع مواطنه، و هذان الملكان يكونان معه فى الدّنيا لكن لايعلم بهما.

وقيل المراد بالسّائق الملك الّذى هو صاحب الشّمال، و بالشّهيد صاحب اليمين .

[لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا]مستأنفة او حاليّة بتقدير القول والمعنى كنت فى غفلةٍ من هذا فىالدّنيا.

[فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَـآءَكَ]فتبصر فى هذا اليوم ما كنت لاتبصره فى الدّنيا[فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ]فتبصر فى هذااليوم دقائق ما كنت لا تقدر على ابصاره فى الدّنيا.

[وَ قَالَ قَرِينُهُۥ]اى الملك الموكّل عليه[هَـٰذَا]المكتوب الّذى كتبته عليه [مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ] و مهيّأٌ للحضور والاظهار و قال الشّيطان الّذى قيّض له هذا الضّال مالدىّ عتيد و مهيأ لجهنّم [أَلْقِيَا] من مقول قولالقرين او استيناف كلام منالله بتقدير القول سواء جعل حالاً او مستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر والخطاب للسّائق والشّهيد، او لمحمّد ﷺ و على عليه السلام كما ورد فىاخبار

عديدة من طريق الخاصّة والعامّة و زيد فى بعض الاخبار: وادخلاالجنّة من احبّكما.

[فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ] يتعدّى حدوداللّه او معتد على العباد [مُّرِيبٍ] شاكٍّ فى اللّهِ، او فى خلافة خليفته [ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ] من الاصنام والكواكب والاهوية، او جعل مع مظاهراللّه خليفة اخرى فى الارض مثل نمرود و فرعون.

[فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُۥ] اى الشّيطان المقيّض له [رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ] كانّه قال: هو اطغانى [وَ لَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ] من الحقّ يعنى انّه كان فى الفطرة ضالاًّ فاعنته على ذلك لا انّى احدثت له الضّلالة.

[قَالَ] اى اللّه [لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ] فما سمعتموه و ما ارتدعتم فلاحجّة لكم عندى [مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ] بالعذاب على من سجّلت العذاب عليه، وامّاالعفو فهو ليس من تبديل القول فانّه ايضاً من الوعد الّذى لاخلف فيه و ليس العفو جزافاً حتّى يقول كلّ مذنب ليعف عنّى.

[وَ مَآ أَنَا بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ] فلااعذّب من دون سبب و لاعفو من غيرداعٍ [يَوْمَ نَقُولُ] ظرف لظلّامٍ، او ليبدّل اى يوم يقول اللّه، وقرىء بالتّكلّم.

[لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ] يسئل عنها سؤال تقرير حتّى لايبدّل قوله: لاملأنّ جهنّم من الجنّة و النّاس اجمعين او سؤال استفهام لكنّ المنظور تنبيه العصاة و تهديدهم.

[وَ تَقُولُ] فى الجواب [هَلْ مِن مَّزِيدٍ] استفهاماً لطلب الزّيادة او تعجباً من الزّيادة على ما فيها و انكاراً للمزيد، و لمّا كان جميع اجزاء عالم الاخرة ذات علم و

ارادة و نطق فلاحاجة لنا الى تأويل السّؤال والجواب هيهنا.

[وَ أُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ]فى قوله القيا فى جهنّم و فى جهنّم و فى قوله ازلفت الجنّة [لِلْمُتَّقِينَ] توهين للعصاة و تشريف للمتّقين و ليس المتّقون الاّ من قبل الولاية و هم شيعة ءال محمّد صلى الله عليه وآله.

[غَيْرَ بَعِيدٍ]مكاناً غيربعيد او ازلافاً غيربعيد، او حال كونها غير بعيدة و اسقاط التّاء حينئذٍ يكون من قبيل اسقاط التّاء من قوله: انّ رحمةالله قريب من المحسنين و هو تأكيد لقربها.

[هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ]بدل من قوله للمتّقين، او خبر مبتدء محذوف، والاوّاب الكثير الرّجوع الى الله [حَفِيظٍ]حافظٍ نفسه من التّدنّس بادناس المعاصى، او محفوظ عن المعاصى.

[مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ]بدل من اوّاب، او خبر مبتدء محذوف او مبتدء خبر ادخلوها[وَ جَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ]راجع الى الله [ٱدْخُلُوهَا]خبر لمن خشى، او حال، او مستأنف والكلّ بتقديرالقول [بِسَلَـٰمٍ]من كلّ ءافة.

[ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِلَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا]متعلّق بيشاؤن او بلهم [وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ]فانّ لدينا ما لايخطر ببالهم حتّى يشاؤها ثمّ عطف على عقوبة الكفّار تهديداً لهم و قال: [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم]قبل قريش او قبل اهل مكّة.

[مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ]نقب فى الارض من المجرّد، و نقب من التّفعيل، و انقب من الافعال ذهب فيها، و نقّب عن الاخبار بحث عنها و اخبر بها، والمراد فتحوا البلاد و ساروا فيها بالمنافع الكثيرة و الاعمال الدّقيقة او صاروا فيها لتجسّس الاخبار.

[هَلْ مِن مَّحِيصٍ]و مخلص من الهلاك و الجملة حاليّة او مستأنفة

بتقدیرالقول ای یقول تلك القرون او نقول لهم هل من محیصٍ .

[إِنَّ فِی ذَٰلِكَ]الاخبار او فی ذلك الاهـلاك [لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ].

اعلم انّ‌العلم نورٌ یقذفه الله فی قلب من یشاء، اوّل ظهوره یـورث التّحیّر و الانصات فیطلب به من یخرجه من تحیّره فاذا وجد و انـقاد له لم یکن له شأن الاّ الاستماع الی ما قال المنقاد والامام، فثانی مراتبه یـورث الاستماع لمن انقادله و هو من مقام التّقلید فانّه یأخذ فی هذا المـقام مـن الامام مصدّقاًله من غیر تحقیقٍ لمأخوذاته؛ او من غـیر اعـتبارٍ لتـحقیق مأخوذاته.

و هذا صاحب الصّدر المنشرح بالاسلام فاذا وجد هذا المقلّد انموذج مأخوذاته بوجدانه او بشهوده کان خارجاً من حدود صدوره الی حدود قلبه و هذا هو الّذی مزج التّقلید بالتّحقیق، او خرج من التّقلید الی التّحقیق، و هذا صاحب القلب سواء دخل فی بیت القلب او لم‌یدخل بعدُ لکن کان مشرفاً علی الدّخول، و هذان هما اللّذان یتذکّران و یعتبر ان بکلّ ماسمعاه، و امّا غیر هما من ارباب النّفوس فیمرّون علی الآیات و هم عنها معرضون.

[وَ هُوَ شَهِیدٌ] حاضر الذّهن عند القائل تقیید لالقاء الّسمع [وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فِی سَتَّةِ اَیّٰامٍ] قد مضی فی سورة الاعراف بیان خلق الّسماوات و الارض فی ستّة ایّامٍ.

[وَ مٰا مَسَّنٰا مِنْ لُغُوبٍ] حتّی احتجنا الی الاستراحة کما قالته الیهود و هو ردّ للیهود حیث قالوا: انّ الله بدأ خلق العالم یوم الاحد و فرغ منه یوم الجمعة، و استراح یوم الّسبت، واستلقی علی العرش.

روی انّ الیهود اتت النّبیّ ﷺ فسألته عن خلق الّسماوات و الارض،

فقال: خلق الله الارض يوم الاحد و الاثنين، و خلق الجبال و ما فيهنّ يوم الثّلثاء، و خلق يوم الاربعاء الّشجر و المدائن و العمران و الخراب، و خلق يوم الخمس الّسماء، و خلق يوم الجمعة النّجوم و الّشمس و القمر و الملائكة، قالت اليهود: ثمّ ماذا؟

ـ يا محمّد ﷺ، قال: ثمّ استوى على العرش، قالوا: قد اصبت لو أتممت، قالوا: ثمّ استرح، فغضب النّبيّ ﷺ غضباً شديداً، فنزلت الآية.

[فَاصْبِرْ عَلٰى مٰا يَقُولُونَ] فى حقّ الله بما لايليق بجنابه و فى حقّك و فى حقّ عليٍّ عليه السلام [وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ] قد مضى فى اوّل الحمد بيان انّ تسبيحه تعالى ليس الّا بحمده و لذلك قيّد التّسبيح فى الاغلب بالحمد، او قرنه به، او بما يفيده.

[قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ] يعنى فى جميع الاوقات فانّه كثيراً ما يقيّد الامر بطرفى النّهار و يراد استغراق الاوقات، او المراد هذان الوقتان بخصوصهما لشرافتهما، و ماورد فى فضيلة ما بين الطّلوعين اكثر من ان يحصى، و قد ورد فى فضيلة العصر اخبارٌ عديدةٌ.

او المقصود الاشارة الى صلوة الصّبح و صلوة العصر، او صلوة الظّهر و العصر.

[وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ] اى بعضاً من اللّيل سبّحه لانّ اللّيل و خصوصاً ءاُخره وقت شريف تتوجّه النّفوس فيه الى الله و الى اصلها لخلوصها من العوائق الخياليّة، او هو اشارة الى المغرب و العشاء، او الى صلوة اللّيل.

[وَ اَدْبٰارَ السُّجُودِ] قرئ مصدراً و جمعاً و المراد بالّسجود كمال الخضوع لعظمة الرّبّ يعنى بعد ما حصل لك كمال التّوجّه الى الله و الخضوع له او اشير بادبار الّسجود الى ركعة الوتر او الرّكعتين او الاربع الّركعات بعد

المغرب او الى الوتيرة.

[وَ اسْتَمِعْ] انت فى الحال الحاضر نداء المنادى يوم القيامة، او يوم ظهور القائمعليه السلام، فانّك تسمع بالفعل نداء ذلك المنادى لخروجك من مرقدك و شهودك القيامة او خروج القائمعليه السلام.

[يَوْمَ يُنٰادِ الْمُنٰادِ] للبعث و الحساب او ينادى المنادى باسم القائمعليه السلام و اسم ابيه كما فى الخبر، و اسقاط الياء من المنادى لاجراء الوصل مجرى الوقف و هو عربّى جيّد.

[مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ] من كلّ النّاس فانّ نسبة المنادى فى القيامة او فى ظهور القائم متساوية الى الكلّ [يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ] يعنى الصّيحة للحساب و القيام عندالله، او صيحة القائم او الصّيحة بخروج القائمعليه السلام.

[ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ] من المراقد، عن الصّادقعليه السلام هى الرّجعة.

[إِنّٰا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ] فى الدّنيا جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: من يفعل ذلك؟ ـ و من يخرج الاموات من المراقد؟

ـ فقال: انّا نحن نحيى و نميت [وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ] فى الآخرة [يَوْمَ تَشَقَّقُ] ظرف للمصير او بدل من يوم يسمعون الصّيحة [الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرٰاعًا ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنٰا يَسِيرٌ] و ذلك فى الرّجعة او فى القيامة [نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ] فى حقّنا، او فى حقّك، او فى حقّ علىٍّعليه السلام تسلية له صلى الله عليه و آله و تهديدٌ لقومه المنافقين او المشركين.

[وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّٰارٍ] بمسلّطٍ عليهم بالاجبار لهم انّما انت منذرٌ مذكّرٌ [فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ] اى بمطلق القرءان، او بقرءان ولاية علىٍّعليه السلام [مَنْ يَخٰافُ وَعِيدِ].

سُورَةُ الذّاريات

مكّيّة، ستّون ءايةٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ الذّٰارِيٰاتِ ذَرْوًا] ذرت الرّياح التّراب و الهشيم و اذرت و ذرّت بالتّشديد اطارته، و المراد الرّياح او النّساء الّتى تذروا الاولاد، او الاسباب الّتى تذرو الخلائق من الملائكة و غيرهم.

[فَالْحاٰمِلاٰتِ وِ قْرًا] اى السّحب الحاملات للامطار، او الرّياح الحاملات للّسحاب، او النّساء الحوامل، و قرئ و قراً بفتح الواو مصدراً، و الوقر بالكسر الحمل الثّقيل.

[فَالْجاٰرِياٰتِ يُسْرًا] السّفن الجاريات فى البحار بسهولة، او الرّياح الجاريات فى مهابّها، او الكواكب الجاريات فى مناطقها [فَالْمُقَسِّمٰاتِ اَمْرًا] اى الملائكة الّذين يقسّمون الارزاق و الامطار و غيرها، او الرّياح الّتى تقسّم الامطار و السّحب، او جميع ما يقسّم شيئاً من الملائكة و الرّياح و الانبياء و الاولياء عليهم السلام و هذا قسم من الله فان كان هذه اوصافاً لذواتٍ متعدّدة فلفظ الفاء فيها لتفاوت المقسم به فى الشّرف و الخسّة و فى الدّلالة على قدرة الرّبّ و عنايته بخلقه.

وان كانت او صافاً لذاتٍ واحدةٍ فالفاء للتّرتيب بين الافعال فانّ الرّيح تفرّق و تحرّك الابخرة فى الجوّ فتنعقد فى الجوّ سحاباً فتحمله الى حيث يأمرها الله فتجرى به بسهولةٍ فتقسّمه على البلاد و البرارى و البحار [اِنَّمٰا تُوعَدُونَ] من الثّواب و العقاب و الحشر و الحساب.

[لَصٰادِقٌ وَ اِنَّ الدّ ينَ] اى الجزاء [لَوٰاقِعٌ] او الّلام لتعريف العهد

الذّهنیّ و المعنی انّ هذا الدّین الّذی یدّعیه لواقع یعنی حقّ و صدق [وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُكِ] ای ذات الطّرائق من مسیر الکواکب او ذات الحسن و الزّینة کما ورد عن امیر المؤمنین علیه السلام فانّ الکواکب و طرائقها تزیّن السّماء کما یزیّن الموشّی الثّوب الوشّی بالطّرایق.

او المراد بالطّرائق الادلّة الّتی یأخذها النّظّار منها الّتی یستدلّون بها علی صانعها و علمه و قدرته و ارادته و حکمته.

حدیثٌ فی کیفیّة وضع الارض و طبقات الّسماوات

و عن الحسین بن خالدٍ عن ابی الحسن الرّضا علیه السلام قال قلت له: اخبرنی عن قول الله تعالی والسّماء ذات الحبك،فقال: محبوکة الی الارض و شبّك بین اصابعه، فقلت: کیف تکون محبوکة الی الارض؟

ـ و الله تعالی یقول رفع الّسماء بغیر عمدٍ فقال: سبحان الله! الیس یقول بغیر عمدٍ ترونها؟

ـ قلت: بلی، قال: فثمّ عمدو لکن لاتری، فقلت: فکیف ذلك؟

ـ جعلنی الله فداك، قال: فبسط کفّه الیسری ثمّ وضع الیمنی علیها، فقال: هذه ارض الدّنیا و الّسماء الدّنیا فوقها قبّة، و الارض الثّانیة فوق الّسماء الدّنیا، و الّسماء الثّانیة فوقها قبّة، و الارض الثّالثة فوق الّسماء الثّانیة و الّسماء الثّالثة فوقها قبّة.

ثمّ هکذا الی الارض الّسابعة فوق الّسماء الّسادسة و الّسماء الّسابعة فوقها قبّة، و عرش الرّحمن فوق الّسماء الّسابعة و هو قوله: خلق سموات ٍو من الارض مثلهنّ یتنزّل الامر بینهّن.

و صاحب الامر هو النّبیّ صلی الله علیه و آله و الوصیّ علیّ علیه السلام بعده، و هو علی وجه

الارض و انّما يتنزّل الامر اليه من فوق السّماء بين السماوات و الارضين.

قلت: فما تحتنا الّا ارضٌ واحدةٌ، قال: و ما تحتنا الّا ارض واحدة و انّ السّتّ لفوقنا.

[اِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ] فى هذا الدّين الواقع الحقّ بانّ بعضكم يصدّق، و بعضكم يكذّب، او فى محمّدٍ ﷺ بالتّصديق و التّكذيب و بأنّه مجنونٌ او شاعرٌ او معلّم من غيره او كاهنٌ، او فى القرءاٰن بانّه سحروكهانة و رجز و اساطير الاوّلين، او فى علىّ عليه السلام خليفته.

[يُؤْفَكُ عَنْهُ] اى عن الدّين او محمّدٍ ﷺ او القرءاٰن او علىّ عليه السلام و ولايته [مَنْ اُفِكَ] حذف المصروف عنه عن الثّانى للمبالغة و التّأكيد فى ذمّ من افك عنه.

كأنّه قيل: كلّ من افك من خيرٍ يؤفك عنه و المناسب لهذا التّعميم و التّأكيد ان يكون المراد بالضّمير المجرور عليّاً عليه السلام و ولايته كما فى الخبر فانّه اصل جميع الخيرات و الآفك من كلّ خير أفك عنه، او المعنى يؤفك عنه من افك فى الذّرّ، او المعنى يؤفك عن هذا القول المختلف، و بسببه من افك عن الخير، او عن هذا الدّين، او عن محمّدٍ ﷺ او علىٍّ عليه السلام.

[قُتِلَ الْخَرّاٰصُونَ] الخرص بالفتح الحرز و الاسم منه بالكسر يقال كم خرص ارضك بالكسر و القول بالظّنّ و الكذب و الكلّ مناسبٌ هٰهنا و المعنى لعن القائلون فى الدّين و خلافة امير المؤمنين عليه السلام بالظّنّ و التّخمين، و استعمال القتل فى اللّعن لانّ من لعنه الله يقتله عن الحيوة الانسانيّة.

[الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ] الغمرة شدّة الشّيء و مزدحمه، و تنكيره للتّفخيم و عدم نسبته الى شيءٍ مخصوصٍ لايهام التّعميم و المعنى الّذين هم فى غمرةٍ من كلّ شيءٍ من الجهل و الشّهوات و الغضبات و الشيطنة و

الكبر و العجب و الفخر.

[سٰاهُونَ] عمّا ذكّرناهم به بحسب فطتهم من طريق الآخرة و نعيمها، او عمّا ذكّرناهم فى عالم الذّرّ، او ساهون عن الله و عن المنعم و انعامه [يَسْأَلُونَ]حال او خبرٌ بعد خبرٍ او مستأنفٌ [اَيّٰانَ يَوْمُ الدّٖينِ]اى يوم الجزاء و كان سؤالهم هذا استهزاءً و انكاراً و لذلك أتى به بعد قوله: الّذين هم فى غمرةٍ ساهون و اجابهم بقوله.

[يَوْمَ هُمْ عَلَى النّٰارِ يُفْتَنُونَ] يقال لهم [ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] اى عذابكم و حريقكم او فسادكم فى الدّنيا.

[هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ]بدل من فتنتكم او مبتدء و خبرٌ[اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ]مستأنفٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال المتّقى عن القول المختلف او عن الافك عن الولاية.

[آخِذِينَ مٰا آتٰاهُمْ رَبُّهُمْ]كناية عن رضاهم به و هو كناية عن كون ما ءاٰتاهم مرضيّاً حسناً [اِنَّهُمْ كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنِينَ]مستأنفٌ فى مقام التّعليل و المعنى انّهم كانوا محسنين فى اعمالهم، او كانوا ذوى حسنٍ و هو الولاية، او كانوا محسنين الى من تحت ايديهم و الى غيرهم.

[كٰانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ]بدل من قوله كانوا قبل ذلك محسنين نحو بدل التّفصيل عن الاجمال.

[مٰا يَهْجَعُونَ]عن الصّادق عليه السلام: كانوا قلّ اللّيالى يفوتهم لايقومون فيها، و عن الباقر عليه السلام: كان القوم ينامون و لكن كلّما انقلب احدهم قال: احمدلله و لاآله الّا الله و الله اكبر [وَ بِالْاَسْحٰارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ].

اعلم، انّ الانسان الصّغير كالانسان الكبير فى وجوده ليل و يوم و شمس و قمر، وليله مراتب طبعه و نفسه الحيوانيّة، و يومه مراتب ملكوته،

و شمسه عقله، و قمره نفسه المستضيئة بنور العقل، و ما لم‌يخرج الانسان من بيت طبعه و نفسه لايمكن غفران مساويه و لواستغفر كلّ يوم الف و مرّة، وذا خرج من حدود نفسه الحيوانيّة و قرب من حدود قلبه و عقله الّتى هى فى الصّغير بمنزلة الاسحار فى الكبير سأل بلسان حاله غفران مساويه من ربّه و يجيبه الله و يغفره سواء سأل بلسان قاله او لم يسأل، و من ههنا يظهر سرّ تقييد الاستغفار بالاسحار، و سرّ تقديم الاسحار المفيد للحصر.

[وَ فيِ اَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ] من منفعة كسبه، و لايخفى تعميم الاموال للاعراض الدّنيويّة و القوى و الاعضاء، و الوجاهة و الخدم و الحشم و الانانيّات و لاتعميم السّائل للّسائلين من الاناسىّ بالكفّ و اللّسان، او بلسان الحال و السّائلين من الملائكة و العقول و الائمّة و الله تعالى فانّه يسأل القرض من عباده.

و السّائلين بلسان حالهم او قالهم افاضة الخيرات من النّبىّ صلى الله عليه وآله والامام و اتباعهما، و المحروم.

كما عن الصّادق عليه السلام المحارف[1] الّذى قد حرم كدّيدة فى الشّراء و البيع.

و لايخفى تعميم بين كاسب الاموال الدّنيويّة المعاشيّة و كاسب الاموال الاخرويّة المعاديّة [وَ فِى الْاَرْضِ اٰياٰتٌ] دالّات على المبدء و علمه و قدرته و عنايته بخلقه ورأفته [لِلْمُوقِنينَ] بامر الآخرة لاغيرهم فانّهم يمرّون عليها و هم عنها معرضون.

[وَ فيِ اَنْفُسِكُمْ] عطف على فى الارض او متعلّق بمحذوف بقرينة

١- المُحارَف = المحروم المنقوض الحظّ.

قوله تعالى [اَفَلاٰ تُبْصِرُونَ] و قد تكرّر ذكر ءاٰيات الارض الّتى هى ءاٰيات الآفاق و ذكر ءاٰيات الانفس.

عن الصّادق ﷺ انّ رجلاً قام الى اميرالمؤمنين ﷺ فقال: يا اميرالمؤمنين بما عرفت ربّك؟ ـ قال: بفسخ العزم و نقض الهمم لمّا ان هممت فحال بينى و بين همّى، و عزمت فخالف القضاء عزمى، علمت انّ المدبّر غيرى، و عن الصّادق ﷺ مثل هذا السّؤال و الجواب.

[وَ فِى السَّمٰاءِ رِزْقُكُمْ]الخاصّ بكم من حيث انسانيّتكم او اسباب رزقكم النّباتيّة و ارزاقكم الانسانيّة [وَ مٰا تُوعَدُونَ] من نعيم الجنّة فانّ الجنّة و نعيمها فى السّماء الصّوريّة بمعنى انّها مظهر لها و فى سماوات عالم الارواح فانّ محلّ الجنّة و نعيم الآخرة عالم الملكوت و الجبروت و قال القمّىّ: المطر ينزل من السّماء فيخرج به اقوات العالم من الارض، و ما توعدون من اخبار الرّجعة و القيامة و الاخبار الّتى فى السّماء.

و قيل: فى السّماء تقدير ارزاقكم اى ما قسّمه لكم مكتوب فى امّ الكتاب و جميع ما توعدون فى السّماء ايضاً لانّ الملائكة تنزل من السّماء لقبض الارواح و لاستنساخ الاعمال و لانزال العذاب و يوم القيامة للجزاء و الحساب.

[فَوَرَبِّ السَّمٰاءِ وَ الْاَرْضِ اِنَّهُ لَحَقٌّ] اى ما توعدون او كون الرّزق و كون ما توعدون فى السّماء، اوانّ المعهود المقصود من كلّ قصّةٍ و حكاية و هو الولاية ولاية علىٍّ ﷺ لحقّ.

[مِثْلَ مٰا اَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ] مثل نطقكم الّذى لاتشكّون فيه، او المعنى فى السّماء رزقكم مثل ما انّكم تنطقون اى تدركون المعانى الغيبيّة فانّه من السّماء ينزل اليكم.

او الولاية حقّ حالكونها مثل نطقكم فانّه من ءاثار الولاية التّكوينّة و نازلة منها [هَلْ اَتٰيكَ حَديثُ ضَيْفِ اِبْرٰهيمَ الْمُكْرَمينَ] استيناف كلام لتهديد المعرضين عن المبدء او الرّسول اوالولاية.

[اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهَ فَقٰالُوا سَلاٰمًا قٰالَ سَلاٰمٌ] قد مضى فى سورة هودٍ هاتان الكلمتان [قَوْمٌ مِنْكَرُونَ] اى قال فى نفسه هؤلاء قومٌ منكرون غير معروفين لى، او قال لهم: انتم قوم منكرون اى لااعرفكم.

[فَرٰاغَ اِلٰى اَهْلِهِ] اى فذهب اليهم فى خفية من ضيفة تعجيلاً للقرى [فَجٰاءَ بِعِجْلٍ سَمينٍ] لانّه كان عامّة ماله البقر [فَقَرَّبَهُ اِلَيْهِمْ قٰالَ اَلاٰ تَأْكُلُونَ فَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خيفَةً قٰالُوا لاٰ تَخَفْ] لانّا رسل ربّك.

[وَ بَشَّرُوهُ بِغُلاٰمٍ عَليمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَاَتُهُ] بعد البشارة و هى سارة [فى صَرَّةٍ] اى فى صيحةٍ او فى جماعة كما روى عن الصّادق عليه السلام.

[فَصَكَّتْ وَ جْهَهٰا] قيل: جمعت اصابعها و ضربت بها جبهتها، و قيل: لطمت وجهها للتّعجّب، و قيل: غطّت وجهها.

[وَ قٰالَتْ عَجُوزٌ عَقيمٌ] يعنى كيفَ الِدو كنت عاقراً وقت اقتضاءالّسنّ الحمل و صرت عجوزاً ليس من شأنى الحمل [قٰالُوا كَذٰلِكِ قٰالَ رَبُّكِ] و انّما نخبرك عنه.

[اِنَّهُ هُوَ الْحَكيمُ] يعلم دقائق الامور و يصنع الامور المتقنة الّتى يعجز عن ادراكها و صنعها و غيره [الْعَليمُ] فيعلم انّك كنت عقيماً و صرت عجوزاً و يقدر على جعل العقيم و لوداً و جعل العجوز ذات حيض و ولد.

[قٰالَ] ابراهيم عليه السلام بعد ما عرفهم و انس بهم [فَمٰا خَطْبُكُمْ] امركم و شغلكم لمّا لم يكن نزول الاربعة الاملاك دفعةً معهوداً له علم انّهم لم ينزلوا الّا لامرٍ عظيمٍ فسأل ما خطبكم؟

[اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قالُوا اِنّا اُرْسِلْنا اِلىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] قد مضى قصّتهم فى سورة هود و غيرها.

[وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْاَلِيمَ وَ فِي مُوسىٰ اِذْ اَرْسَلْناهُ اِلىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ فَتَوَلّىٰ بِرُكْنِهِ] الرّكن الجنب الاقوى و البلاء للتّعدية، او بمعنى مع و المراد انّه ولّى جنوده اوجانبه، او تولّى هو و جنوده.

[وَ قالَ ساحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ] يعنى ما يفعله من سحره و باختياره او هو مجنون و ما يظهر عليه من خوارق العادات انّما يظهر من الجنّ على يديه من دون اختياره.

[فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِى الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ] ءاتٍ بما يلام عليه [وَ فِي عادٍ اِذْ اَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ] سمّيت عقيماً لعدم تضمّنها لمنفعةٍ اولانّها اهلكتهم و استأصلتهم.

[ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ اَتَتْ عَلَيْهِ اِلّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ] كالرّماد المتفتّت الاجزاء [وَ فِي ثَمُودَ اِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّىٰ حِينٍ] اى ثلاثة ايّام ان كان المراد به قول النّبىّ ﷺ بعد الايعاد بالعذاب، او قيل تكويناً: تمتّعوا حتّى حين الاجال الّتى لكم و هذا هو المناسب لما بعده.

[فَعَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطاعُوا مِنْ قِيامٍ وَ ما كانُوا مُنْتَصِرِينَ] ممتنعين [وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ اِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ] و قد مضى تلك القصص مكرّراً.

[وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِاَيْدٍ] بقوّةٍ [وَ اِنّا لَمُوسِعُونَ] اى قادرون او

لموسعون الرّزق على العباد او لذو وسعة للعباد و ارزاقهم [وَ الْاَرْضَ فَرَشْنٰاهٰا] بسطناها.

[فَنِعْمَ الْمٰاهِدُونَ] الباسطون او الممهّدون للقرار [وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنٰا زَوْجَيْنِ] برّيّاً و بحريّاً، او انسيّاً و وحشيّاً، و يكون لفظ كلّ من حمل حكم الاكثر على الكلّ او من كلّ حيوان ذكرٍ و انثى، او من كلّ شيءٍ من الكيفيّات و الكمّيّات و المذوقات و المشمومات ضدّين متنافيين كالحرّ و البرد، و السّواد و البياض، و المرّو الحلو، و القصير و الطّويل، و الحسن و القبيح، الى غير ذلك، و فى الاخبار اشارة الى هذا المعنى.

[لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] علمه و حكمته و قدرته و عنايته بخلقه و رأفته و لعلّكم تذكّرون بمضادّته بين الاشياء ان لاضدّ له و بتفريقه بين المتفارقات انّ لها مفرّقاً، وبتأليفه بين المتئالفات انّ لها مؤلّفاً.

[فَفِرُّوا اِلَى اللّٰهِ] المنعم عليكم بهذه النّعم من نفوسكم الامّارة و من الّشيطان و جنوده بالاستعاذة به، و من الاشرار وشروروهم بالاستعانة به، و من اهويتكم الّتى هى الهتكم بالطّاعة لأمره و نهيه، او فرّوا من اوطانكم الى الحجّ، او فرّوا من اوطانكم الى الرّسول و الامام.

[اِنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبينٌ] و قوله تعالى ففّروا حكاية لقول الرّسول ﷺ او قوله انّى لكم منه نذير من الله [وَ لاٰ تَجْعَلُوا مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ اِنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبينٌ] تكرير للتّأكيد.

[كَذٰلِكَ] القول لك من انّك مجنونٌ او ساحرٌ او كاهنٌ او شاعرٌ [مٰا اَتَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ اِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ اَوْ مَجْنُونٌ اَتَواصَوْا بِهِ] يعنى انّ الاوّلين و الاخرين تواصوا بهذا القول فى حقّ الرّسول.

[بَلْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ] و مقتضى طغيانهم عدم الانقياد للحقّ تعالى

[فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] عن المحاجّة و المجادلة معهم بعد اتمامك الحجّة و اصرارهم على الانكار [فَمٰا اَنْتَ بِمَلُومٍ] بعد ذلك.

[وَ ذَكِّرْ فَاِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ] و ان لم يتذكّر بها الكافرون و المنافقون فى اخبارٍ عديدةٍ انّ النّاس لمّا كذّبوا رسول الله ﷺ همّ الله تعالى باهلاك اهل الارض الّا عليّاً عليه السلام فما سواه بقوله: فتولّ عنهم فما انت بملومٍ ثمّ بداله فرحم المؤمنين ثمّ قال لنبيّه: و ذكّر فانّ الّذكرى تنفع المؤمنين، و عن عليٍّ عليه السلام لمّا نزلت: فتولّ عنهم لم يبق احدٌ منّا الّا ايقن بالهلكة فلمّا نزل و ذكّر طابت انفسنا [وَ مٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْاِنْسَ اِلّاٰ لِيَعْبُدُونِ].

اعلم، انّ الله تعالى كان غيباً مطلقاً لم يكن منه خبر و لااسم و لارسم فأحبّ ان يتجلّى فيعرف كما فى القدسيّ: كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف، فخلق الخلق لان يتجلّى عليهم فيألفوه.

و لايتجلّى عليهم الّا اذا صاروا خارجين من انانيّاتهم، و لايخرجون من انانيّاتهم الّا بارتياض النّفوس بما قرّره الله تعالى لذلك و ليس الّا العبادات الّشرعيّة، و ايضاً لايخرجون من انانيّاتهم الّا اذا صاروا عبيداً له تعالى خارجين من عبوديّة انفسهم و ليس المقصود من العبادات و لا من العبديّة الّا ان يصيروا عارفين له متّصلين به منتهين اليه.

فالمقصود من قوله الّا ليعبدون الّا ليعرفون لكنّه ادّاه بهذه العبارة للاشعار بانّ المعرفة لاتحصل الّا بالعبادة او بالعبديّة، عن الصّادق عليه السلام قال: خرج عليّ بن الحسين عليه السلام على اصحابه فقال: ايّها النّاس انّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد الّا ليعرفوه، فاذا عرفوه عبدوه، و اذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله ﷺ بابى انت و امّى، فما معرفة الله؟ ـ قال: معرفة اهل كلّ زمانٍ امامهم الّذى يجب عليهم طاعته،

وقوله تعالى و لايزوالون مختلفين الّا من رحم ربّك و لذلك خلقهم، المستفاد منه انّ خلقهم للاختلاف، و عبادة بعضهم و تمرّد بعضهم لاينا فى ذلك، فانّ الغاية المقصودة و المنظور اليها و المترتّب عليها فعل الفاعل عبادتهم و معرفتهم و لكن لمّا لم يكن خلق البشر فى عالم الكون من الاضداد الّا بان يكونوا مختلفين و كان غاية تلك الخلقة المنتهى اليها خلقتهم اختلافهم قال: و لذلك خلقهم فلامنافاة بينهما.

فانّ العبادة علّة غائيّة لخلقهم و الاختلاف غاية مترتّبة عليه [مٰا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ] لى و لالغيرى [و مٰا أُرِيدُ اَنْ يُطْعِمُونِ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فما اراد من خلقهم رزقاً و اعانةً.

[إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزّٰاقُ] لكلّ مرزوقٍ تعليل يعنى انّ الرّزّاقيّة لاتتأتّى من غيره فكيف يريد رزّاقيّة الغير [ذُوا الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] الّذى لاحاجة له الى معين فى رزّاقيّته.

[فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء او المعاد، او ظلموا الرّسول بعدم انقياده و عدم اعطاء حقّه من تسليم انفسهم له، او ظلموا ءال محمّدٍ صلّى الله عليه وآله حقّهم من عدم تسليم انفسهم لهم و من غصب حقوقهم و هذا هو المنظور اليه، و الفاء للّسببيّة لقوله فذكّر.

[ذَنُوبًا] قسطًا و نصيباً فانّ الّذنوب الدّلو، او الّتى فيها ما، او الملأى، او دون الملأى، او المراد بالذّنوب اليوم الطّويل الّشرّ [مِثْلَ ذَنُوبِ اَصْحٰابِهِمْ] الّذين اتّبعوهم فى ظلم ءال محمّد صلّى الله عليه وآله [فَلاٰ يَسْتَعْجِلُونَ] بالعذاب.

[فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية علىٍّ عليه السلام [مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ] و هو يوم ءاخر الدّنيا او يوم القيامة.

۵۲ سُورَة الطُّوُر

مكّيّة، تسع و اربعون ايةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَالطُّورِ] اقسم بالجبل الّذى كلّم الله عليه موسى عليه السلام، او اقسم بمطلق الجبل لما فيه من انواع البركات و الخيرات و لما ينبع من تحته الماء الّذى هو اصل جميع البركات و باطنه الامام الّذى به وجود العالم و بقاؤه و بركاته، او المراد جهة النّفس العليا الّتى اذا بلغ الانسان هناك قرب من الله اذا كان على الجانب الايمن منها.

[وَ كِتٰابٍ مَسْطُورٍ] اى مكتوب مسطور [فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ] الرّقّ الجلد الرّقيق الّذى يكتب فيه و الصّحيفة البيضاء و المراد به هيولى العالم الّتى كتب فيها صور الانواع و نفوسها، او طبع الانسان الّذى كتب فيه نفسه و قواها و مداركها.

و قيل: هو الكتاب الّذى كتبه الله لملائكته فى السّماء يقرؤن فيه ما كان و ما يكون فيعملون بما فيه، و قيل: هو القرءان المكتوب عندالله فى اللّوح المحفوظ.

و قيل: هو صحائف الاعمال الّتى تخرج الى بنى ادم يوم القيامه، و قيل: هو التّوراة [وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ] الّذى فى السّماء الرّابعة يدخله كلّ يوم سبعون الف ملكٍ ثمّ لايعودون اليه ابداً، و عن الباقر عليه السلام انّه قال: انّ الله وضع تحت العرش اربع اساطين و سمّاهنّ الضّراح و هو البيت المعمور و قال للملائكة: طوفوا به، ثمّ بعث ملائكةً فقال: ابنوا فى الارض بيتاً بمثاله و قدره، و امر من فى الارض ان يطوفوا بالبيت.

و عن النّبىّ صلى الله عليه و آله: البيت المعمور فى السّماء الدّنياو فى حديثٍ عنه صلى الله عليه و آله انّه فى السّماء السّابعة.

و اختلاف الاخبار فى ذلك يشعر بوجه التّأويل، و لمّا كان الانسان الصّغير مطابقاً للانسان الكبير فالبيت المعمور هو قلبه الّذى هو فى السّماء الرّابعة بوجهٍ، و تحت العرش بوجهٍ، و فى السّماء الدّنيا بوجهٍ، و بخذائه القلب الصّنوبرىّ الّذى هو فى ارض الطّبع و بناه الملائكة بحذاء القلب المعنوىّ الّذى هو فى سماء الارواح.

[وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ] السّماء، او العقل الّذى هو بمنزلة السّقف للقلب و الطّبع [وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ] اى الموقد او المملوّ فانّ البحار تسجّر و توقّد ناراً يوم القيامة و المراد بحر الهيولى الّذى يوقد من نار الغضبات و الشّهوات و الحيل الشّيطانيّة.

[اِنَّ عَذٰابَ رَبِّكَ لَوٰاقِعٌ مٰالَهُ مِنْ دٰافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمٰاءُ مَوْراً] اى تضطرب او تموج او تدور [وَ تَسِيرُ الْجِبٰالُ سَيْراً] حتّى تستوى مع الارض، او يظهر سير الجبال فانّها تمرّمرّ السّحاب و تحسبها جامدةً.

[فَوَيْلٌ] اى اذا كان ذلك اليوم فويلٌ [يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] لله و رسوله ﷺ مطلقاً، او فى ولاية علىٍّ و هو المنظور.

[اَلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ] فى الملاهى، او فى انكار المبدء و المعاد، او فى انكار الرّسول ﷺ، او فى انكار ولاية علىٍّ عليه السلام [يَلْعَبُونَ يَوْمَ يُدَعُّونَ] اى يدفعون بعنفٍ فانّ الدّعّ الدّفع العنيف.

[اِلٰى نٰارِ جَهَنَّمَ دَعًّا] و قيل: هو ان تغلّ ايديهم الى اعناقهم و تجمع نواصيهم الى اقدامهم، ثمّ يدفعوا الى جهنّم دفعاً على وجوههم.

[هٰذِهِ النّٰارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ] الجملة حاليّة او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول اى يقول الله او الملائكة او خزنة جهنّم.

[اَفَسِحْرٌ هٰذٰا اَمْ اَنْتُمْ لاٰ تُبْصِرُونَ] لمّا كانوا ينسبون محمّداً ﷺ الى

السّحر تارةً و الى انّه يتصّرف فى الابصار اخرى ردّ الله تعالى عليهم قولهم فى حقّه فقال: افسحر هذا ام انتم لاتبصرون بالتّصرّف فى ابصاركم؟

[اِصْلَوْها] يعنى يقال لهم: اصلوها [فَاصْبِرُوا اَوْ لا تَصْبِرُوا] لفظة او للتّسوية و لذلك اكّد المفهوم بالتّصريح فقال: [سَواءٌ عَلَيْكُمْ اِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ]جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل: لم نعذّب هذا العذاب؟ [اِنَّ الْمُتَّقِينَ] عن تكذيب الله و رسوله ﷺ فى ولاية علىٍّ عليه السلام بالاقرار له و البيعة معه بيعة خاصّة ولوية.

[فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ] تنكير الجنّات و النّعيم للتّفخيم [فاكِهِينَ] متنعّمين او معجبين.

[بِما اٰتيٰهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقيٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَ اشْرَبُوا] حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول [هَنِيئًا بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ] حال [عَلٰى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ]متّصل بعضها ببعضٍ.

[وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ] أتى بالماضى للاشعار بانّ التّزويج حاصل لهم فى دار الدّنيا و ان كان لايظهر عليهم: او للاشارة الى تحقّق وقوعه [وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة.

[وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِاِيمانٍ] الذّرّيّة تقع على الواحد و الكثير و هى الصّغار من اولاد الرّجل او مطلق الاولاد، و الباء بمعنى مع، او بمعنى فى، او للّسببيّة و تنكير الايمان للاشعار بكفاية ايمانٍ ما للالحاق و لو كان ايماناً حكميّاً فانّ صغار اولاد المسلمين فى حكم الاسلام و ان لم يحكم عليهم بالاسلام الحقيقىّ لعدم تعلّق التّكليف بهم بعدُ.

[اَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] و المراد انّه تعالى يلحق اولاد المؤمنين المكلّفين منهم القاصرين عن درجة ابائهم بآبائهم تشريفاً لايمان ابائهم، و

غير المكلّفين منهم بمحض ايمان الاباء يلحقون بالاباء تشريفاً لهم كما فى الاخبار انّ الصّغار من الاولاد تهدى فى الجنّة للاباء.

[وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] بواسطة الحاق الاولاد [كُلُّ امْرِئٍ بِمٰا كَسَبَ رَهِينٌ] حاليّة او متعرضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ.

[وَ أَمْدَدْنٰاهُمْ] يعنى اعطيناهم على التّدريج و الاستمرار [بِفٰاكِهَةٍ] شريفة لايمكن تعريفها [وَ لَحْمٍ] غير معروفٍ ليس من جنس لحوم الدّنيا حتّى يمكن تعريفها.

[مِمّٰا يَشْتَهُونَ] اى من لحم من ذى لحم يشتهونه من لحم الطّيور و غير الطّيور [يَتَنٰازَعُونَ] اى يتجاذبون من وجد [فِيهٰا كَأْساً] الكأس مهموزة اسم لما يشرب منه، او اسم له مادام الشّراب فيه، و تطلق على الخمر ايضاً و هى مؤنّثة سواء اريدبها ما يشرب به او الخمر.

[لاٰ لَغْوٌ فِيهٰا] يعنى لايجرى بينهم لغوٌ حين تعاطيها مثل الكؤوس الدّنيويّة [لاٰ تَأْثِيمٌ] اى لاجعل الشّارب ءاثماً بخلاف كؤوس الدّنيا.

[وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمٰانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ] فى الحسن و الصّباحة و الصّفاء و البياض، و توصيف اللّؤلؤ بكونه مكنوناً لكون المكنون محفوظاً من الاغبرة و ما يكدّره.

[وَ اَقْبَلَ بَعْضُهُمْ] اى كلّ بعضٍ منهم [عَلٰى بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ] عن سبب تنعّمهم فى الجنّة بقرينة ما يأتى [قٰالُوا] فى الجواب.

[إِنّٰا كُنّٰا قَبْلُ] اى قبل الاخرة [فِي اَهْلِنٰا مُشْفِقِينَ] على اهلنا، او مشفقين من عذاب الله [فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنٰا] بهذه النّعم.

[وَ وَقٰينٰا عَذٰابَ السَّمُومِ] السّموم من اسماء جهنّم، او السّموم الحرّ الّذى يدخل فى مسامّ البدن [إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ اِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ] الّذى

لايدع من يدعوه من غير نصرة.

[الرَّحِيمُ] الّذى يتفضّل على عباده من غير استحقاقٍ منهم [فَذَكِّرْ] يعنى اذا كان الامر هكذا فذكّر و لاتبال بردّهم و قبولهم فانّه ينفع بعضهم ان لم ينفع كلّهم، او ينفع ءاخراً ان لم ينفع اوّل الامر.

[فَمٰا اَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ] الباء للقسم او للّسببيّة، و النّعمة هى الولاية و النّبوّة و الرّسالة صورتها [بِكٰاهِنٍ] الكهانة الاخبار بالغيب بطريق خدمة الجنّ، و الفعل كمنع و نصر و كرم.

[وَ لاٰ مَجْنُونٍ] كما يقولون و يصفونك بهما [اَمْ يَقُولُونَ] هو [شٰاعِرٌ] يتكلّم بما لاحقيقة له و يتموّه فيقرّب البعيد و يبعّد القريب، و لمّا كان الشّاعر فى اكثر الامر يأتى فى شعره بما لاحقيقة له و يموّه سمّى كلّ من يأتى بكلام مموّه لاحقيقة له بالّشاعر.

[نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونَ] الرّيب صرف الدّهر، و المنون الدّهر و الموت و المقصود منه انّا نتربّص هلاكته [قُلْ تَرَبَّصُوا] الهلكة لى.

[فَاِنّيِ مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ] حوادث الدّهر لكم [اَمْ تَأْمُرُهُمْ اَحْلاٰمُهُمْ] اى عقولهم [بِهٰذٰا] القول و الانكار.

[اَمْ هُمْ قَوْمٌ طٰاغُونَ] و طغيانهم يحملهم على ذلك لاعقولهم [اَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ] قال القران بتعمّلٍ من عند نفسه و ليس من الله [بَلْ لاٰيُؤْمِنُونَ] بالله او بك او بالقران او بالولاية.

[فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ] اى مثل القران [اِنْ كٰانُوا صٰادِقِينَ] فى انّك تقوّلته و قد مضى فى اوّل البقرة عند قوله فاتوا بسورة من مثله بيان التّحدّى بالقرءاٰن و الاشارة الى وجه اعجازه.

[اَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ]بل أُخلقوا من غير غايةٍ لخلقتهم؟ -كما يقول

المعطّلون للعالم و خلقه عن الغاية، او من غير مبدءٍ؟ كما يقول الدّهريّة و الطّبيعيّة و القائلون بالبخت و الاتّفاق، او من غير امرٍ و نهيٍ و وعظٍ و نصحٍ لهم؟

حتّى يكونوا مهملين، او من غير سبق مادّةٍ و استعدادٍ؟ حتّى يقولوا بالجبر للعباد من دون اختيارٍ لهم، او من غير سبق صورةٍ مثاليّةٍ لهم فى مراتب علمنا؟ فيكون خلقنا لهم من غير علمٍ لنا بهم سابقاً.

[اَمْ هُمُ الْخٰالِقُونَ] لانفسهم فلم يكن لهم مبدء ءاُخر فلم يكن لغيرهم حقّ عليهم [اَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضَ] حتّى لايكون لهما خالق فلما يقرّوا بمبدءٍ لهما اضطراراً.

[بَلْ لاٰ يُوقِنُونَ] فلا يتكلّمون فى شيءٍ الّا عن ظنٍّ و تخمينٍ [اَمْ عِنْدَهُمْ خَزٰائِنُ رَبِّكَ] فيعطوا من شاؤا ما شاؤا و يمنعوا من شاؤا ما شاؤا فيمنعوا الرّسالة منك و يعطوها غيرك او يعطوا انفسهم ما يشاؤن فلم يضطّروا الى الالتجاء الى الله و السّؤال منه، او الى الالتجاء الى رسوله ﷺ و السّؤال منه، او الى العبادات و اخذها من اهلها.

[اَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ] المسيطر الرّقيب الحافظ و المتسلّط حتّى لايحتاجوا الى غيرهم [اَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ] اى فى السّلّم اخبار الغيب فيخبروا انّ محمّداً ﷺ ليس بنبيٍّ، او يخبروا بما يحتاجون اليه من امر دينهم و دنياهم فلايكون لهم حاجة الى رسولٍ.

[فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ] بحجّةٍ واضحةٍ او موضحةٍ صدّقه [اَمْ لَهُ الْبَنٰاتُ] أتى بعد ذكر الاستماع من السّماء حجّة على انّهم غيرمستمعين بل غير عاقلين.

فانّ العاقل لايقول مثل ما قالوا فانّهم جوّزوا عليه التّوالد الّذى مفاسده غير خفيّة ثمّ اثبتوا له البنات، و اذا بشّر احدهم بالانثى ظلّ و جهه

مسّوداً و هو كظيم و رجّحوا انفسهم عليه فاثبتوا لانفسهم البنين و لذلك قال [وَ لَكُمُ الْبَنُونَ اَمْ تَسْأَلُهُمْ اَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ] بذلك الاجر فمنعهم ذلك عن الاقرار بك.

[اَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ] من دون الصّعود الى السّماء [فَهُمْ يَكْتُبُونَ] فيعلمون بذلك انّك لست برسولٍ او لايحتاجون بذلك الى رسولٍ.

[اَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ] يعنى انّهم يريدون كيداً عظيماً بك و بوصيّك فالّذين كفروا برسالتك او بولاية علىٍّ عليه السلام هم المكيدون فانّ كيدهم لك هو كيدالله لهم فى الخذلان و المنع من حضرته.

[اَمْ لَهُمْ اِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحٰانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ] من الاصنام و الكواكب و الاهوية [وَ اِنْ يَرَوْا] و الحال انّهم ليسوا فى شىءٍ على حالة اليقين فانّهم ان يروا.

[كِسْفًا مِنَ السَّمٰاءِ سٰاقِطًا] مع انّه من المشهودات الّتى هى ثوانى البديهيّات ينكروا و [يَقُولُوا سَحٰابٌ مَرْكُومٌ] فاذا كان الامر هكذا.

[فَذَرْهُمْ حَتّٰى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذى فِيهِ يُصْعَقُونَ] يهلكون بالصّاعقة او يغشون [يَوْمَ لٰا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا] من الاغناء او شيئاً من العذاب.

[وَ لٰاهُمْ يُنْصَرُونَ وِ اِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بانكار المبدء او المعاد او الرّسالة او الولاية او ظلموا ءال محمّدٍ صلّى الله عليه و آله حقّهم [عَذٰابًا دُونَ ذٰلِكَ] اليوم و هو عذاب يوم الاحتضار، او عذاب البرزخ، او عذاب الدّنيا بالقتل و الاسر و النّهب، او دون هذا العذاب.

[وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] ذلك فلذلك يجترؤن على انكارك [وَ اصْبِرْ] عطف على قل تربّصوا او على ذكّر [لِحُكْمِ رَبِّكَ] بامهالهم او لحكم ربّك

بايذائك على ايديهم، او لحكم ربّك بانكار هم لك، او لله، او لحكم ربّك ببقائك فيهم، او واصبر منتظراً لحكم ربّك باهلاكهم و لاتبال بانكارهم و تهديدهم.

[فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا] نشاهدك و نشاهد جميع امورك فلاندعهم حتّى يضرّوك [وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ] الى الصّلوة او حين تقوم عندالله فانّ القيام عندالله يقتضى التّنزية المطلق من غير التفاتٍ الى جهة الكثرات و حمده تعالى بها، لكنّ الكامل ينبغى ان يكون حافظاً للطّرفين فى كلّ حالٍ و انت اكمل النّاس فسبّح بحمد ربّك حين تقوم عنده و لاتغفل عن الكثرات.

[وَ مِنَ اللَّيْلِ] الّذى يغشاك فيه ظلمات الكثرات و تستر وجهة ربّك [فَسَبِّحْهُ] و بالغ فى تنزيهه عن الكثرات فانّ المنغمر فى ظلمات الكثرات عليه ان يبالغ فى تنزيه الحقّ و لايلتفت الى تشبيهه و لذلك لم يضف الحمد هناك و ان كان تسبيحه لاينفكّ عن حمده.

[وَ إِدْبَارَ النُّجُومِ] و حين ادبار النّجوم و قد فسّرت الاية بحسب التّنزيل بوجوهٍ فقيل حين تقوم من النّوم، او الى الصّلوة المفروضة فقل: سبحانك اللّهمّ و بحمدك.

و قيل: صلّ بأمر ربّك حين تقوم من مقامك، و قيل: المراد الرّكعتان قبل صلوة الفجر، و قيل: حين تقوم من نومة القائلة و هى صلوة الظّهر، و قيل، اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصّلوة.

و قيل: قوله من اللّيل فسبّحه يعنى به صلوة اللّيل، و قيل: معناه صلّ المغرب و العشاء الاخرة، و ادبار النّجوم معناه الرّكعتان قبل الفجر، و قيل: صلوة الفجر المفروضة.

و قيل: لاتغفل عن ذكر ربّك صباحاً و مساءً و نزّهه فى جميع احوالك ليلاً و نهاراً قائماً و قاعداً.

۵۳ سُورَة والنّجم

مكّيّة، و قيل ءاية: الّذين يجتنبون كبائر الاثم، الاية، و قيل: هى مدنيّة كلّها.

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[وَ النَّجْمِ] اقسم بالنّجم المراد به القرءاٰن فانّه نزّل نجوماً اى متفرّقاً فى طول ثلاث و عشرين سنةً، او اقسم بالثّريّا.

فانّ النّجم علم بالغلبة لها، او اقسم بمطلق النّجوم، او اقسم بالنّجم الّذى يرجم به الشّيطان عن استراق السّمع، او اقسم بالنّبات اذا سقط على الارض او ارتفع منها و نما.

و قيل: اقسم بحمّدٍ صلّى الله عليه وآله فانّه النّجم الّذى نزل من السّماء السّابعة ليلة المعراج.

و عن ابن عبّاسٍ انّه قال: صلّينا العشاء الاخرة ذات ليلةٍ مع رسول‌الله صلّى الله عليه وآله فلمّا سلّم اقبل علينا بوجهه ثمّ قال: انّه سينقضّ كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط فى دار احدكم، فمن سقط ذلك الكوكب فى داره فهو وصيّى و خليفتى و الامام بعدى، فلمّا كان قرب الفجر جلس كلّ واحدٍ منّا فى داره ينتظر سقوط الكوكب فى داره و كان اطمع القوم فى ذلك ابى العبّاس، فلمّا طلع الفجر النقضّ الكوكب من الهواء فسقط فى دار علىّ بن ابى طالب عليه السلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلىّ عليه السلام: يا علىّ و الّذى بعثنى بالنّبوّة لقد وجب لك الوصيّة و الخلافة و الامامة بعدى، فقال المنافقون عبدالله بن أُبىٍّ و اصحابه: لقد ضلّ محمّد فى محبّة ابن عمّه و غوى، و ما ينطق فى ساعته الّا بالهوى، فأنزل الله هذه الاية (الى ءاٰخر الحديث).

[اِذٰا هَوٰى] سقط و غرب: او اذا صعد و ارتفع، فانّه يستعمل فيهما [مٰا ضَلَّ صٰاحِبُكُمْ] يا قريش [وَ مٰا غَوٰى] يعنى ما ضلّ عن طريق الحقّ فى الاعمال و الاقوال الظّاهرة و ما ضلّ فى العلوم و العقائد الباطنة [وَ مٰا يَنْطِقُ] بالقرءاٰن او بالولاية او بمطلق ما ينطق به او بـالاحكام الشّـرعيّة [عَنِ الْهَوٰى] اى هوى نفسه من دون امر ربّه.

[اِنْ هُوَ] اى نطقة او القرءاٰن اوامر الولاية [اِلّاٰ وَحْىٌ يُوحٰى] يعنى انّه خرج من انانيّته و صار انانيّته انانيّة الله فلم يكن منه فعل او قول او خلق الّا بوحىٍ من الله و انانيّته.

[عَلَّمَهُ شَديدُ الْقُوٰى] جمع القوّة مقابلة الضّعف، و لمّا كـان قـوّة جبرئيل فى جميع ماله من انواع الادراكات و التّصرّفات جمع القوى.

[ذُومِرَّةٍ] ذومتانةٍ فى عقله و ثبات من امره، فـانّ صـاحب المـرّة يكون صاحب ثباتٍ فى الامر و لذلك ورد انّه: ما بعث نبىٌّ قطّ الّا كان ذامرّة سوداء.

[فَاسْتَوٰى] اى فاستقام على صورته الحقيقيّة الّتى خلقه الله عليها، قيل: مارءاٰه احد من الانبياء فى صورته غير محمّد ﷺ نبيّنا فانّه رءاٰه على صورته مرّتين، مرّةً فى السّماء و مرّةً فى الارض، و قيل: فـاستوى عـلى جميع ما فى الارض او على ما امره الله به، و قيل: فاستوى مـحمّد ﷺ اى استقام فى امره و تمكّن، و على اىّ تفسير فالاتيان بالفاء كان فى محلّه، و قيل: كان جبرئيل يأتى النّبىّ ﷺ فى صورة الادميّين فسأله رسول الله ﷺ ان يريه نفسه على صورته الّتى خلق عليها، فأراه نفسه مرّتين، مـرّة فـى الارض و مرّة فى السّماء، امّا فى الارض فانّ محمّداً ﷺ كان بحراء فطلع له جبرئيل من المشرق فسدّ الافق الى المغرب فخرّ النّبىّ ﷺ مـغشيّاً عـليه،

فنزل اى جبرئيل فى صورة الادميّين فضمّه الى نفس عالم.

[وَ هُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى]اى جبرئيل بالافق الاعلى و هو افق عالم العقول الّذى هو عالمالجبروت من جهة الّلاهوت، و كان جبرئيل حين النّزول ينزل من افق المشرق و هو اعلى من افق المغرب، او المراد انّ محمّداً ﷺ كان حين نزول الوحى و التّعليم بالافق الاعلى يعنى افق عالم العقول الى الّلاهوت، او عالم النّفوس الى العقول، او عالم المثال الى النّفوس، او افق عالم الطّبع الى عالم المثال، فانّه ﷺ كان يوحى اليه فى جميع تلك الافاق.

[ثُمَّ دَنٰى]جبرئيل من الافق الا على من محمّدٍ ﷺ و تدلّى تحت [فَتَدَلّٰى] دنى محمّدٌ ﷺ [فَتَدَلّٰى]فى الهواء او ثمّ دنى محمّد ﷺ من الافق الاعلى من الله، فتدلّى من انانيّه و تدلّى تحت العرش، فلم يبق له مقام و مكان و لاانانيّة يعتمد عليها بل صار تدلّياً من غير ذاتٍ متدلّية.

و قرئ فتدانى، و سئل الكاظم عليه السلام عن قوله دنى فتدلّى، فقال: انّ هذه لغة فى قريش اذا اراد الرّجل منهم ان يقول: قد سمعت يقول قد تدلّيت و انّما اى بل ادنى و التّدلّى الفهم لكلّ قوسٍ قابان.

[فَكٰانَ] الامتداد و المسافة بينهما [قٰابَ قَوْسَيْنِ اَوَاَدْنٰى] قاب القوس ما بين مقبضها الى رأسها، و لِكلّ قوس قابان، و لذلك قيل: انّه على القلب و الاصل قابى قوسٍ لكن ليس هذا على القلب و ليس المقصود انّه كان بينهما مقدار قابى القوس بل المقصود انّه كان بينهما مقدار قاب واحد من القوس اذا انعطفت لااذا كانت مستقيمةً، فانّ القوس قطعةٌ من الدّائرة و لكلّ قوس اذا انعطفت قوسان ما بين مقبضها و رأس كلّ طرف منها.

و عن الصّادق عليه السلام: انّه سئل كم عرج برسول الله ﷺ ؟ـ فقال: مرّ تين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال: مكانك يا محمّد ﷺ فقد وقفت موقفاً ما وقفه

ملك و لانبيٌّ قطّ، انّ ربّك يصلّى، فقال: يا جبرئيل، و كيف يصلىّ؟ـ قال: يقول سبّوح قدّوس انارِبّ الملائكة و الرّوح، سبقت رحمتى غضبى، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك، قال: و كان كما قال الله: قاب قوسين اوادنى.

قيل: ما قاب قوسين اوادنى؟

ـ قال: ما بين سيتها[1] الى رأسها، قال: فكان بينهما حجاب يتلألأ يخفق و لااعلمه الّا وقد قال: زبرجد، فنظر فى مثال سمّ الابرة الى ماشاءالله من نور العظمة، فقال الله تبارك و تعالى: يا محمّد ﷺ، قال: لبّيك ربّى، قال: من لامتّك من بعدك؟

ـ قال: الله اعلم، قال: علىّ بن ابى طالبٍ عليه السلام امير المؤمنين و سيّد المسلمين و قائد الغرّ المحجّلين، ثمّ قال الصّادق عليه السلام: والله ماجاءت ولاية علىّ عليه السلام من الارض ولكن جاءت من السّماء مشافهةً.

و قال فى الصّافى؛ و فى التّعبير عن هذا المعنى بمثل هذه العبارة اشارةٌ لطيفةٌ الى انّ السّائر بهذا السّير منه سبحانه نزل فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهِ مٰا] و اليه صعد، و انّ الحركة الصّعوديّة كانت انعطافيّة و انّها لم تقع على نفس المسافة النّزوليّة بل على مسافة اخرى كما حقّق فى محلّه فسيَره كان من الله و الى الله و فى الله و بالله و مع الله تبارك و تعالى ابهم الموحى.

[اَوْحٰى للتّفخيم و قد مضى فى ءاخر البقرة انّه كان فيما اوحى اليه قوله تعالى لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰاوٰات وَ الْاَرْضِ وَ اَنْ تُبْدُوا مَا فِى اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُم بِهِ اللهُ (الاية) و كانت الاية قد عرضت على الانبياء من لدن ءادم عليه السلام الى ان بعث الله محمّداً ﷺ و عرضت البقرة [مٰا كَذَبَ] على

(۱) السّيَة كالعدة من الوعد = القوس ما عطف من طرفيها.

الامم فأبوا ان يقبلوها من ثقلها، و قبلها رسول الله ﷺ، و عرضها على امّته فقبلوها، و قد مرضى فى ءاٰخر بيان هذه الاية و عدم منافاتها لما ورد انّه تعالى: لايؤاخذ العباد على الخطرات و الوساوس و عزم المعاصى.

[مَا كَذَبَ] قرئ بتخفيف الذّال و تشديدها [الْفُؤٰادُ] ﷺ اى فؤاد محمّد ﷺ و لم يضفه اليه لايهام ان ليس فؤادٌ غير فؤاده، و انّ المطلق ينصرف اليه.

[مٰا رَءاٰىَ] فى بعض الاخبار انّ محمّداً ﷺ رأى ربّه بفؤاده لابالبصر، و فى بعضٍ: لقد رأى من ءاٰيات ربّه الكبرى وءايات‌الله غير الله، او رءاى خلافة علىّ عليه السلام و علىّ اكبر الايات، او رأى جبرئيل على صورته الّتى خلق عليها، و لم يره احد كذلك [اَ فَتُمارُونَهُ] افتجادلونه، و قرىء افتمرونه من مرى بمعنى اتغلبونه فى المحاجّة و تنكرونه؟!

فانّهم كانوا يجادلونه فى خلافة علىٍّ عليه السلام [عَلٰى مٰا يَرىٰ] كان الاوفق ان يقول على ما رأى لكنّه ادّاه بالمضارع للاشعار باستمرار الرّؤية منه فانّه كان كلّما نظر بفؤاده رأى خلافة على عليه السلام و ولايته بعده.

و سئل رسول الله ﷺ عن ذلك الوحى، فقال: اوحى الىّ انّ علياً عليه السلام سيّد المؤمنين، و امام المتّقين، و قائد الغرّ المحجّلين، و اوّل خليفةٍ يستخلفه خاتم النّبيّين ﷺ، فدخل القوم فى الكلام فقالوا: امن الله او من رسوله؟

ـ فقال الله جلّ ذكره لرسوله قل لهم: ما كّذب الفؤاد ما رأى ثمّ ردّ عليهم فقال: افتمارونه على مايرى.

فقال لهم رسول‌الله ﷺ: قد امرت فيه بغير هذا، امرت ان انصبه للنّاس، فأقول: هذا وليّكم من بعدى، و انّه بمنزلة السّفينة يوم الغرق، من

دخل فيها نجا، و من خرج عنها غرق.

[وَ لَقَدْ رَءاٰهُ نَزْلَةً اُخْرٰى] فى نزول عرش الرّبّ او مرّة اخرى من غير اعتبار النّزول فيها فانّها تستعمل فى معنى المرّة من غير اعتبار معنى مادّته.

[عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى] اى عند سدرةالواقعة فى منتهى مقامات الامكان، و تسمية الشّجرة النّوريّة الواقعة فى منتهى المقامات بالسّدرة لانّها ليس عندها الّا الحيرة و الدّهشة، و السّادر هو المتحيّر.

و هى شجرة عن يمين العرش فوق السّماء السّابعة ينتهى اليها علم كلّ ملك، و ينتهى اليها اعمال الخلائق من الاوّلين و الاخرين، و اليها ينتهى الارواح الصّاعدة، و لايتجاوز عنها من كان مقيّداً بقيود الحدود، و لذلك قال جبرئيل فى هذا المقام: لو دنوت انملةً لاحترقت، و هى شجرة طوبى، و هى شجرة النّبوّة كما انّ فوقها شجرة الولاية.

[عِنْدَهٰا جَنَّةُ الْمَأْوٰى] الّتى لايتجاوز عنها الممكن بخلاف سائر الجنّات فانّها معبرٌ غير مأوىً لبعض النّفوس و ان كانت مأوىً لبعضٍ ءاُخر.

[اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مٰا يَغْشٰى] لفظ ما فى امثال هذا الكلمة يفيد التّفخيم، قيل: يغشاها الملائكة امثال الغربان.

و قيل: يغشاها من النّور و البهاء، و قيل: فراش من الذّهب، و قيل: لمّا رفع الحجاب بينه و بين رسول‌الله ﷺ غشى نوره السّدرة.

[مٰا زٰاغَ الْبَصَرُ]حتّى لميكن يبصر ما هو الواقع و يكون مخطئاً فى ابصاره يعنى ما زاغ بصر محمّدٍ ﷺ حين رأى عند السّدرة[وَ مٰا طَغٰى] و ما جاوز عن حدّ القصد فى الابصار حتّى يكون مخطئاً فىالابصار.

[لَقَدْ رَءاٰى مِنْ اٰيٰاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى] مثل سدرة المنتهى و جبرئيل

على صورته الّتى خلق عليها.

و قيل: سمع كلاماً لولا انّه قوّى ما قوى، و قيل: رأى رفرفاً اخضر من رفارف الجنّة قد سدّ الافق، و قيل: رأى ربّه بقلبه، و قيل: رأى عليّاً عليه‌السلام فانّه الايات الكبرى الّتى لااكبر منها.

و روى عن النّبىّ صلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال لعلىّ عليه‌السلام: يا علىّ انّ الله اى اخبرونا عن اشهدك معى فى سبع مواطن وعدّ من ذلك ليلة الاسراء [اَفَرَأَيْتُمُ اللّاٰتَ وَ الْعُزّٰى وَ مَنٰوةَ الثّاٰلِثَةَ الْاُخْرٰى] اى اخبرونا عن هذه الالهة الّتى تعبدونها يضرّونكم او ينفعون؟! او هى بنات الله؟!

و قيل: انّهم زعموا انّ الملائكة بنات الله و صوّروا اصنامهم على صورهم و عبدوها من دون الله و اشتقّوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا: الّلات من الله، و العزّى من العزيز.

و قيل: انّ التّاء فى الّلات اصليّة، و قرئ الّلاتّ بتشديد التّاء، قيل: كان صنماً نحتوه على صورة رجل يلتّ السّويق و يطعم الحاجّ، و قيل: انّ الّلات كان صنماً لثقيفٍ، و العزّى صنم.

و قيل: انّها كانت شجرة يعبدها الغطفان فبعث اليها رسول‌الله خالد بن وليد فقطعها، و مناة كانت صنماً بقديد بين المكّة والمدينة و قيل ثلاثتها كانت اصناماً فى الكعبة يعبدونها، و الثّالثة نعتٌ لمناة و كذلك الاخرى و كانتا نعتين بيانيين.

[اَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْاُنْثى تِلْكَ اِذًا قِسْمَةٌ ضِيزٰى] ذات جور، ضيزى قيل: انّه فعلا مضموم الفاء سواء جعل واويّاً او يائيّاً لعدم وجود الوصف على فعلى مكسور الفاء، و قرئ بالهمزة من ضازه اذا ظلمه.

[اِنْ هِىَ] اى الاصنام [اِلّاٰاَسْمٰاءٌ سَمَّيْتُمُوهٰا اَنْتُمْ وَ اٰباٰؤُكُمْ مٰا اَنْزَلَ

اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ] قدسبق الاية فى سورة الاعراف مع تفاوت يسيرٍ فى اللّفظ و قد سبق تحقيق لها هناك و فى سورة البقرة ايضاً عند قوله تعالى: «و علّم ءادم الاسماء كلّها».

[اِنْ يَتَّبِعُونَ] فى جعل هذه الاسماء الّتى ليست لها حكم فضلاً عن ان تكون معبودات مسمّيات ٍو فى النّظر اليها و السّجدة لها، و قرئ تتّبعون بالخطاب و بالغيبة.

[اِلاّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْاَنْفُسُ]عطف على الظّنّ و يجوز ان يكون ما نافية او استفهاميّة.

[وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى] ما به الهدى و اليقين فأعرضوا عنه و اتّبعوا الظّنّ و ما به الضّلالة و المراد بالهدى الرّسول و كتابه و شريعته.

[اَمْ لِلْاِنْسانِ ما تَمَنّٰى] فيكون لهم ما يتمنّونه من حسن الحال فى الدّنيا و حسن المآل فى الاخرة، او من شفاعة الاصنام فى الاخرة فانّه لادليل لهم على ذلك سوى تمنّيهم و ليس كذلك.

[فَلِلّٰهِ الْاخِرَةُ وَ الْاُولٰى]الفاء للسّببيّة يعنى اذا كان الاخرة و الاولى لله فلم يكن للانسان ما تمنّى بل كان له ما اراداللهُ.

[وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمٰواتِ لا تُغْنى شَفاعَتُهُمْ شَيْئًا] من الاغناء، او شيئاً من عذاب الله [اِلاّ مِنْ بَعْدِ اَنْ يَأْذَنَ اللهُ]لهم فى الشّفاعة [لِمَنْ يَشاءُ وَ يَرْضٰى]و من يشاء و يرضى ليس الاّ من تولّى عليّاً عليه السلام فانّ ما به الرّضا هو اِنْفَحَّة الولاية فما لهم يعبدون الملائكة من دون الله و يسمّون الملائكة بما لايرضاهالله.

[اِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ

الْاُنْثٰى] فيقولون: انّ الملائكة بناتُ‌الله [وَ مٰالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ] ذمّهم اوّلاً على تسمية الاشرف باسم الاخسّ ثمّ على القول بعدم العلم ثمّ على اتّباع الظّنّ.

[وَ اِنَّ الظَّنَّ لاٰ يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا] قدفسّرالحقّ ههنا بالعلم، او المراد به نفس الامر، او المشيّة، او الحقّ الاوّل تعالى، و شيئاً مفعول مطلق، او هو مفعول به و من الحقّ حال منه.

[فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا] لمّاذكر حال المشركين و انّهم اعرضوا عن اليقين و تمسّكوا بالظّنّ و التّخمين قال: اذاكان حالهم على هذا و لم يتوجّهوا اليك و الى ما به اليقين، او لم يتوجّهوا الى علىٍّ عليه السلام الّذى بالتّوجّه اليه يحصل اليقين، فأعرض عن مجادلتهم و عن النّصح و التّذكير لهم، او اعرض عن مكافاتهم على سوء فعالهم.

و المراد بالذّكر هو ما به ذكر الله للعباد و هو العقل و القلب الّذى هو طريق العقل و القرءاٰن و الرّسول و صاحب الولاية و جملة الايات الافاقيّة و الانفسيّة، او المراد ما به ذكر العبادالله و هو المذكورات مع الاذكاراللّسانيّة و القلبيّة لكنّ المنظور الاعراض عمّن انكر الولاية فانّه المستحقّ للاعراض سواء كان قابلاً للرّسالة او لم‌يكن.

[لَمْ يُرِدْ اِلَّا ٱلْحَيٰوةَ الدُّنْيا] فانّ من اعرض عن القلب و صاحبه لايكون له ارادة من جملة افعاله و اقواله و علومه الّا الانتفاع فى جهة الحيوة الدّنيا فانّه ان صلّى صلّى لئّلا يحدث له حادثة تضرّه فى حيوته، و ان صام فكذلك، و ان حصل له علمٌ لايكون وجه علمه الّا الى الدّنيا فيكون علمه جهلاً مشابهاً للعلم.

[ذٰلِكَ] المبلغ اى الحيوة الدّنيا، او طلب الحيوة الدّنيا [مَبْلَغُهُمْ]

محلّ بلوغهم او بلوغهم [مِنَ الْعِلْمِ] لايتجاوز علمهم عنها الى الاخرة.

[اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى] جوابُ سؤالٍ فى مقام التّعليل لقوله اعرض.

[وَلِلّٰهِ ما فِى السَّمٰواتِ وَ ما فِى الْاَرْضِ] للّه السّماوات و الارض و ما فيهما كمامرّ مراراً [لِيَجْزِىَ الَّذينَ اَساؤُا] علّة غائيّة لاعرض يعنى انّك ما دمت مقبلاً عليهم لم يعذّب الله احداً منهم فاعرض عنهم حتّى يجزى الّذين أساؤا [بِما عَمِلُوا] او غاية لقوله: هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله او علّة لاثبات قوله هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله يعنى قلنا انّه اعلم لماترى انّه يجزى الّذين اساؤا او غاية لقوله: لله ما فى السّموات و ما فى الارض، او علّة لاثباته.

[وَ يَجْزِىَ الَّذينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى] بالخصلة او العاقبة او النّعمة الحسنى [اَلَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْاِثْمِ] صفة او بدل من الذين احسنوا او خبر مبتدء محذوف او مبتدء خبره جملة انّ ربّك واسع المغفرة بتقدير العائد، او الخبر محذوف بقرينة انّ ربّك واسع المغفرة اى مغفورٌ لهم، و يكون قوله: انّ ربّك واسع المغفرة تعليلاً له و قدمضى بيان الكبيرة و الصّغيرة فى سورة النّساء عند قوله تعالى: ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه.

[وَ الْفَواحِشَ] عطف على كبائرالاثم او على الاثم، و الفاحشة اقبح الاثم او هو الزّنا.

[اِلَّا اللَّمَمَ] محرّكة صغارالذّنوب الّتى يتنزّل الانسان عن مقامه عليها و لميكن مقامه مقام تلك الصّغار من الذّنوب، فانّه قدمضى فى بيان الكبائر انّه اذا لميكن الانسان متمكّناً فى طريق النّفس فكلّما صدر منه من الاثام كان صغيرة، و لم يكن مقام ذلك الانسان مقام تلك الصّغيرة.

[اِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ] جواب سؤال مقدّر فى مقام

التّعليل لقوله تعالى ليجزى الّذين اساؤا.

[اِذْ اَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ] تعليل لقوله اعلم بكم او ظرف له يعنى ان كان اعلم بكم فى وقت انشائكم من الارض فكيف لايعلم حالكم حين حيوتكم الدّنيويّة او حين بعثكم [اِذْ اَنْتُمْ اَجِنَّةٌ فِى بَطُونِ اُمَّهاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى] يعنى لاتظهروا طهارة انفسكم و لاتمدحوها عندالله و عند رسوله فانّه اعلم بحالكم منكم بل اتّقوا سخط الله، او اتّقوا الشّرك، او اتّقوا الشّرك بالولاية عند انفسكم فلا تظهروا تقويكم فانّه اعلم بتقويكم.

[اَفَرَأَيْتَ الَّذي تَوَلّىٰ وَ اَعْطى قَليلاً] قال فى المجمع، نزلت الايات السّبع من قوله: افرأيت الّذى (الى سبع ءايات) فى عثمان بن عفّان كان يتّصدّق و ينفق ماله فقال اخوه من الرّضاعة عبدالله بن سعد بن ابى سرح: ما هذا الّذى تصنع؟ يوشك ان لايبقى لك شىءٌ؟!

فقال عثمان: انّ لى ذنوباً و انّى اطلب بما اصنع رضا الله و ارجو عفوه، فقال له عبدالله: اعطنى ناقتك برحلها و انا اتحمّل عنك ذنوبك كلّها، فأعطاه و أشهد عليه و امسك عن الصّدقة، فنزلت: افرأيت الّذى تولّى اى يوم احدٍ حين ترك المركز، و أعطى قليلاً ثمّ قطع نفقته الى قوله: و انّ سعيه سوف يرى فعاد عثمان الى ما كان عليه.

و قيل: نزلت فى الوليد بن المغيره، و نقل نظير ما نقل لعثمان، و قيل: نزلت فى العاص بن وائل السّهمىّ.

و قيل: فى رجل قال لاهله: جهّزونى حتّى انطلق الى هذا الرّجل، يريد النّبىّ ﷺ، فتجهّز و خرج فلقيه رجلٌ من [اَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ] الكفّار فقال له مثل ما قيل لعثمان.

و قيل: نزلت فی ابی‌جهلٍ و ذلك انّه قال و الله ما يأمرنا محمّد ﷺ الّا بمكارم الاخلاق فذلك قوله اعطى قليلاً.

اَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمٰا فِى [وَ اَكْدٰى] اكدى بمعنى بخل، او قلّ خيره، او قلّل عطاءه [فَهُوَ يَرٰى ببصيرته انّ غيره يتحمّل عنه ذنوبه، او يرى انّه صار مطهّراً من الذّنوب، او يرى انّه لاعقوبة عليه.

[اَمْ لَمْ يُنَبَّأْ فى صُحُفِ مُوسىٰ وَ اِبْرٰهيمَ الَّذي وَ فّىٰ] مبالغة فى الوفاء و الايفاء و المعنى بالغ فى الوفاء بعهد الله الّذى اخذ منه، و تقديم موسى عليه السلام لكونه اقرب الى المخاطبين المعاتبين و لكون صحفه اشهر و اظهر.

[اَلّاٰ تَزِرُوازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى وَ اَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسٰانِ اِلّاٰ مٰا سَعٰى] وجدّ، لفظة ما مصدريّة، او موصولة، او موصوفة، و ما ورد من انتقاع الاموات بالتّصدّقات و الخيرات من الاحياء ليس من قبيل الانتفاع بسعى الغير بل الانتفاع بالمحبّة الّتى دخل منهم فى قلوب الاحياء من سعيهم فى الدّنيا.

[وَ اَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى ثُمَّ يُجْزٰيهُ]اى يجزى السّاعى بسعيه [الْجَزٰاءَ الْاَوْفٰى وَ اَنَّ اِلٰى رَبِّكَ الْمُنْتَهٰى]انتهاءالكلّ و انتهاء اعمالهم فيجزيهم بنفسه الجزاء الاوفى فما لهم يعبدون غيره.

[وَ اَنَّهُ اَضْحَكَ وَ اَبْكٰى]اسرّوا حزن او انّه اضحك السّماء برفع الغيم و ابكى السّماء بالمطر.

[وَ اَنَّهُ هُوَ اَمٰاتَ وَ اَحْيٰى وَ اَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْاُنْثٰى مِنْ نُطْفَةٍ اِذٰا تُمْنٰى]اذا تتحوّل من الدّم منيّاً، او اذا تنزّل الى الرّحم.

[وَ اِنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْاُخْرىٰ وَ اَنَّهُ هُوَ اَغْنٰى وَ اَقْنٰى]اى اغنى

بالاموال و جعلهم مدّخرين باصول الاموال و بضاعاتهم، و قيل: اقنى بمعنى اخدم، و قيل: اقنى بمعنى ارضى، و قيل: اغنى بالكفاية و اقنى بالزّيادة، و قيل: اقنى بمعنى حرم[وَ اَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرٰى]كوكب فى السّماء كانت قريش و قومٌ من العرب يعبدونه [اَنَّهُ اَهْلَكَ عٰادًا الْاُولٰى وَ ثَمُودَ فَمٰا اَبْقٰى]منهم احداً [وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ]اى من قبل عادٍ و ثمود [اِنَّهُمْ كٰانُوا هُمْ اَظْلَمَ وَ اَطْغٰى وَ الْمُؤْتَفِكَةَ اَهْوٰى]اى اسقطها، والمراد بالمؤتفكة و قرى قوم لوطٍ ائتفكت بأهلها اى انقلبت.

[فَغَشّٰيهٰا مٰا غَشّٰى]بالعذاب فمالهم ينظرون الى غيره و يستمدّون من غيره و يعبدون او يتّبعون غيره.

[فَبِأَيِّ اٰلاٰءِ رَبِّكَ تَتَمٰارٰى]الخطاب عام، او خاصٌّ بمحمّدٍ ﷺ على: ايّاك اعنى واسمعى يا جارة، يعنى كلّ هذه النّعم و النّقم من ءالاء ربّك، لانّ هذه النّقم ايضاً نعم لمن كان بعد الماضين من الامم لاتّعاظهم بالماضين و نقمهم، ففى ايّ نعم ربّك تشكّ؟! او بسبب ايّ من الاٰلاء تجادل؟! و الاٰلاء جمع الالى بفتح الهمزة وكسرها وسكون اللاّم او جمع الالْو بكسرالهمزة و سكون الّلام.

[هٰذٰا] اى محمّد ﷺ [نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْاُولٰى] سئل الصّادق عليه السلام عنها فقال: انّ الله تبارك و تعالى لمّا ذرأ الخلق فى الذّرّ الاوّل اقامهم صفوفاً قدّامه و بعث الله محمّداً ﷺ حيث دعاهم فاٰمن به قومٌ وانكره قومٌ فقال الله عزّ و جلّ: هذا نذير من النّذر الاولى يعنى محمّداً ﷺ حيث دعاهم الى الله عزّ و جلّ فى الذّرّ الاوّل.

[أَزِفَتِ الْاٰزِفَةُ] الازفة من اسماء القيامة غلبت عليها، و التّاء لتأنيث القيامة، او للنّقل، او الازفة مصدرٌ كالكاشفة و العافية، و قرب

القيامة لانّها ليست فى عرض الزّمان حتّى يكون قربها قرباً زمانيّاً بل هى فى الطّول و بمنزلة الرّوح للازمان، و كما انّ روح كلّ شىءٍ اقرب اليه من نفسه فروح الزّمان اقرب كلّ شىءٍ من الزّمانيّات.

[لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونَ اللهِ كٰاشِفَةٌ] نفس مظهرة، او الكاشفة مصدر [أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ] حديث الازفة او ازف الازفة، او القران، او ما تقدّم من الاخبار كماورد عن الصّادق عليه السلام [تعجبون] انكاراً [وَ تَضْحَكُونَ وَ لٰا تَبْكُونَ وَ اَنْتُمْ سٰامِدُونَ] سمد سموداً رفع رأسه تكبّراً، و سمد الابل جدّ فى السّير، و سمد دأب فى العمل و قام متحيّراً.

سجدة واجبة

[فَاسْجُدُوا لِلّٰهِ] اذا ازفت الازفة، فاسجدوا لله [وَ اعْبُدُوا] حتّى تكونوا حين الورود عليه مستأنسين مستوحشين.

۵۴ سُورَة القمر

مكّيّة؛ و هى خمس و خمسون ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِقتَرَبَتِ السّاٰعَةُ] قد فسّرت السّاعة بساعة ظهور القائم عليه السلام و بساعة القيامة و بحالة الاحتضار و الكلّ يرجع الى امرٍ واحدٍ هو وقت القيام عندالله، و لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الرّسل فلايكون بعده رسولٌ و رسالةٌ لانتهاء مراتب الرّسالة اليه فلايكون مرتبة من الرّسالة الّا و هى مجتمعة فى وجوده، كان امّته ايضاً ءاٰخر الامم فلايكون بعد امّته امّة، و قد علمت انّ القيامة ليست فى عرض الزّمان و انّما هى طوله فاذاكان امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله ءاٰخر الامم لم يكن مرتبة زمانيّة بعد مرتبتهم و يكون بعد مرتبتهم الخروج من الزّمان، و الخروج من الزّمان هو القيام عندالله فيكون القيامة قريبةً من امّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله و لذلك ورد عن النّبىّ صلى الله عليه وآله: بعثت انا و السّاعة كهاتين، و كان صلى الله عليه وآله ءاٰخر الزّمان و صار بوجوده قيامة و محشراً كما قال المولوىّ قدس سره:

پس محمد صد قيامت بود نقد زانكه حلّ شد در فنايش حلّ و عقد
زادهى ثانيست احمد در جهان صد قيامت بود او اندر عيان
زو قيامت را همى پرسيدهاند كاى قيامت تا قيامت راه چند
با زبان حال ميگفتى بسى كه زمحشر حشر را پرسد كسى!
پس قيامت شو قيامت را ببين ديدن هر چيز را شرط است اين

[وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ] القمر اسم للكوكب الّذى يأخذ النّور من غيره و لايكون منيراً بنفسه، و هل فى السّماء اقمار عديدة؟

او القمر منحصر فى هذا الكوكب الّذى يدرك انّه مستنيرٌ من

الشّمس؟ ـ قيل: وجدوا غير هذا القمر اقماراً أُخر، و فى العالم الصّغير القلب مظهرٌ للقمر، او القمر مظهرٌ للقلب فانّ القلب ايضاً يأخذ النّور من الرّوح و يستنير بنوره، و لمّا كان النّاس قلوبهم ذوات وجهين، وجه الى الرّوح و عالم الوحدة، و وجه الى النّفس و عالم الكثرة، و كان المراعى منهم للطّرفين قليلاً و الجامع لكمال الطّرفين اقلّ حتّى انّ الانبياء لم يكونوا كاملين فى الطّرفين بل كانوا ناقصين فى طرف الكثرة او طرف الوحدة، و كان نبيّنا صلى الله عليه و آله كاملاً فى الطّرفين حافظاً للجانبين.

و لذلك نسب اليه صلى الله عليه و آله انّه قال: كان اخى موسى عليه السلام عينه اليمنى عمياء، و اخى عيسى عليه السلام عينه اليسرى عمياء، و اناذوالعينين.

كان قلب نبيّنا صلى الله عليه و آله من بينهم ذاشقّين كاملين، و لمّا كان القمر الصّورىّ مظهراً لقلبه كان لاغرو فى انشقاق القمر الصّورىّ كما نسب الى معجزاته، و لمّا كان انشقاق القمر المعنوىّ الّذى هو قلب النّبىّ صلى الله عليه و آله بشقّين متساويين دليلاً على انتهاء مراتب التّجدّد فى وجوده و ابتداء الدّهر فى وجوده كان دليلاً على شدّة قرب السّاعة الواقعة فى الدّهر، و لمّا كان انشقاق القمر الصّورىّ دليلاً على انشقاق قلب فاعله بشقّين متساويين كان ذلك ايضاً من اشراط السّاعة.

روى انّه اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالوا: ان كنت صادقاً فشقّ القمر فرقتين و رسول الله صلى الله عليه و آله ينادى: يا فلان يا فلان اشهدوا.

[وَ اِنْ يَرَوْا اٰيَةً] الجملة حاليّة و المعنى اقتربت السّاعة و ظهر امارتها و ينبغى ان يتذكّروا و يتوبوا و ينيبوا و يتنبّهوا بكلّ شىءٍ و الحال انّهم مع ذلك ان يروا ءاٰية من ءاٰيات السّاعة مثل بياض شعر الرّأس و اللّحية و سقوط الاسنان و ضعف نور البصر و قلّة شهوة الطّعام و السّفاد و رخاوة

الاعصاب و الامراض الواردة وفوت الجيران و الاقران.

او ءاٰية من ءاٰيات قدرة الله و علمه و حكمته، او ءاٰية من ءاٰياته العظمى، او ءاٰية معجزة لهم عن الاتيان بمثلها.

[يُعْرِضُوا] عنها [وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ] قوىّ يعلو كلّ سحرٍ، و قيل: سحر ذاهب باطلٌ، او سحر مستمّر من الازمان السّابقة.

[وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا اَهْوٰاءَهُمْ] قال القمّىّ: كانوا يعملون برأيهم و يكذّبون انبياءهم [وَ كُلُّ اَمْرٍ] من التّكذيب و التّصديق و الخير و الشّرّ و الطّاعة و المعصية.

[مُسْتَقِرٌّ]فى‌الالواح العالية، و فى‌الصّحف الّتى بايدى الكرام البررة، و فى‌الواح النّفوس العاملة فلايفوت شىءٌ منّا، فيكون هذا تهديداً لهم.

[وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مِنَ الْاَنْبٰاءِ] اى انباء الانبياء عليهم السلام و اممهم الماضية و الوقائع الواقعة بهم، او من انباء الاخرة و الثّواب و العقاب فانّه وصل انموذجها اليهم فى وجودهم و خبرها اليهم باخبار انبيائهم.

[مٰافِيهِ مُزْدَجَرٌ] انزجارٌ من المعاصى و التّكذيب [حِكْمَةٌ بٰالِغَةٌ] الى الغايةاى كاملة و هو بدل من مزدجر او خبر مبتدءٍ محذوفٍ اى هذه المواعظ، او هذا القرءاٰن او ما جاءهم من الانباء حكمة بالغة.

[فَمٰا تُغْنِ النُّذُرُ] يعنى اذا كان لايغنى من عذاب الله تلك الحكمة البالغة الّتى فيها مزدجرٌ فاىّ شىءٍ تغن النّذر، او فلاتغنى جميع النّذر عن عذاب الله، او ما تغنى جميع النّذر عنهم، او اذا لم تغن النّذر فى الدّنيا فما تغن النّذر يوم الاحتضار او يوم القيامة، و النّذر جمع النّذير، او مصدر بمعنى الانذار.

[فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] يعنى اذا كانوا لاينفعهم النّذر فلاتجشّم فى الدّعوة و

تولّ عنهم، او تولّ عنهم يوم الاحتضار حتّى لاتساء بمشاهدة سوء احوالهم، او توّل عنهم اذا تعرّضوا لشفاعتك يوم القيامة او تولّ عنهم يوم القيامة لانّهم يرون العذاب فى ذلك اليوم.

[يَوْمَ يَدْعُ الدّٰاعِ] قرئ باسقاط الياء اجراءً للوصل مجرى الوقف، و قرئ باثبات الياء، و الدّاعى هو ملك الموت فى النّفخة الاولى او فى النّفخة الثّانية.

و قيل: هو اسرافيل يدعوهم الى المحشر، او الملك الّذى يدعوهم الى النّار [اِلٰى شِيْءٍ نُكُرٍ] منكرٍ غير مأنوس فانّ جميع امور الاخرة منكرٌ لغير اهلها غير معروفٍ، و يوم يدع الّداعى ظرفٌ لقوله: تولّ عنهم او ما تغن النّذر او مستقّر، او يخرجون.

[خُشَّعًا اَبْصٰارُهُمْ] حالٌ مقدمٌ [يَخْرُجُونَ مِنَ الْاَجْدٰاثِ] الطّبيعيّة الدّ نيويّة، او المثاليّة الاخرويّة [كَأَنَّهُمْ جَرٰادٌ مُنْتَشِرٌ] فى وجه الارض و المقصود انّهم من غاية الفزع كالجراد المنتشر لاانضباط لحركاتهم و لاجهة بل يدخل بعضهم فى بعضٍ من غير انضباطٍ، و قيل: التّشبيه بالجراد فى الكثرة.

[مُهْطِعينَ اِلَى الدّٰاعِ] اى مقبلين او مسرعين او ناظرين [يَقُولُ الْكٰافِرُونَ هٰذٰا يَوْمٌ عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنٰا] نوحاً فلاتكن فى ضيقٍ من تكذيبهم فانّه ديدنٌ لامثالهم.

[وَ قٰالُوا مَجْنُونٌ وَ ازْدُجِرَ] انزجر شديداً من شيمتهم و رميهم، او انزجر بوعيدهم بالقتل.

[فَدَعٰا رَبَّهُ] بعد ما انزجر شديداً [اَنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ] منهم بالاهلاك [فَفَتَحْنٰا اَبْوٰابَ السَّمٰاءِ] و قرئ فتّحنا بالتّشديد [بِمٰاءٍ مُنْهَمِرٍ]

منصبٍّ مستمرٍّ غير منقطع.

[وَ فَجَّرْنَا الْاَرْضَ عُيُونًا] تميز محوّل عن المفعول [فَالْتَقَى الْمٰاءُ] ماء السّماء و ماء الارض مشتملاً [عَلٰى اَمْرٍ] هى اهلاك القوم [قَدْ قُدِرَ] فى عالم القدر او على ميزان قدّره الله من التّساوى او التّفاضل فى المائين او على ميزان قدّرة الله من مقدار ارتفاع الماء على وجه الارض.

[وَ حَمَلْنٰاهُ عَلٰى ذٰاتِ اَلْوٰاحٍ وَ دُسُرٍ] و هى المسامير من الحديد او كلّ ما يشدّ به الشّىء او خيوطٌ من ليف يشدّ بها السّفن، و قيل: هى صدر السّفينة تدفع بها الماء، و قيل: هى اضلاع السّفينة و اصلها.

[تَجْرِى بِأَعْيُنِنٰا] بحافظيّتنا [جَزٰاءً لِمَنْ كٰانَ كُفِرَ] و هو نوحٌ فانّ نعمة السّفينة و جريها بحفظه تعالى، و نقمة القوم و اهلاكهم كان جزاء لنوح و كفر قومه به.

[وَ لَقَدْ تَرَكْنٰاهٰا] اى هذه الغفلة بقوم نوحٍ او السّفينة بعينها او بخبرها فى النّاس [اٰيَةً] يعتبر بها، او ءاية على قدرتنا و انتقامنا او على صدق انبيائنا.

[فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] معتبر بتلك الاية [فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِى وَ نُذُرِ] و انذارى او هو جميع النّذير [وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ] اى للتّذكّر و الاتّعاظ بان ذكرنا فيه الحكايات المبشّره و المنذرة و الامثال العديدة بالفاظٍ واضحة الدّلالة.

او يسّرنا القرءان بان نزّلناه مع مقامه العالى و ادخلناه فى قوالب الالفاظ و الحروف ليسهل ادراكه لكم.

[فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عٰادٌ] قوم عادٍ بعد قوم نوحٍ [فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِى وَ نُذُرِ اِنّٰا اَرْسَلْنٰا] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ عن العذاب [عَلَيْهِمْ رِيحًا

صَرْصَرًا] باردة [فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ] نحو ستّة الى مثله.

عن الصّادق عليه السلام: يوم الاربعاء يوم نحس لانّه اوّل يومٍ و ءاخر يومٍ من الايّام الّتى قال الله عزّ و جلّ سخّرها عليهم سبع ليالٍ و ثمانية ايّامٍ حسوماً.

[تَنْزِعُ النَّاسَ] روى انّهم كانوا يدخلون فى الّشعاب و يتمسّك بعضهم ببعضٍ فكانت الرّيح تنزعهم و تصرعهم موتى [كَأَنَّهُمْ اَعْجٰازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ] منقطعٍ من اصولها، شبّههم باعجاز النّخل لانّهم بعد خروج ارواحهم تصير ابدانهم كأعجاز النّخل لانّ ارواحهم مثل اصول النّخل و غصونها.

[فَكَيْفَ كٰانَ عَذٰابِي وَ نُذُرِ وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] كرّر هذه الكلمة و سابقتها لانّ الّسورة لتهديد الكفّار و ترغيب المؤمنين، و التّكرار فى مقام التّهديد و التّرغيب مطلوب.

[كَذَّبَتْ ثَمُودُ] من بعد عادٍ [بِالنُّذُرِ فَقٰالُوا اَبَشَرًا مِنّٰا وٰاحِدًا نَتَّبِعُهُ] على سبيل الانكار و الاستغراب [اِنّٰا اِذًا لَفِي ضَلاٰلٍ وَ سُعُرٍ]جمع الّسعيراو بمعنى الجنون،او جمع الّسعر ككتف بمعنىالمجنون و عطف على فى ضلال.

[ءَاُلْقِيَ الذِّكْرُ] او الكتاب او الوحى او المواعظ او احكام الرّسالة [عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنٰا] و فينا من هو احقّ منه بذلك [بَلْ هُوَ كَذّٰابٌ اَشِرٌ] يعنى ليس ينزل عليه الوحى من بينِنابل هو كذّابٌ اشرٌ حمله بطره على طلب الرّياسة و التّرفع.

[سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذّٰابُ الْاَشِرُ] و قرئ ستعلمون بالخطاب التفاتاً منه تعالى من الغيبة الى الخطاب او حكاية لقول صالح لهم.

[اِنّٰا مُرْسِلُوا النّٰاقَةِ] جوابُ سؤالٍ مقدّرٍ [فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ] ناظراً لحالهم الى مَ ترجع.

[وَ اصْطَبِرْ] و بالغ فى الصّبر [وَ نَبِّئْهُمْ اَنَّ الْماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ] اى كلّ نوبة [مُحْتَضَرٌ] لصاحبه لايزاحمهم النّاقة فى نوبتهم و لايزاحمونها فى نوبتها.

[فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى] السّيف لقتلها، او تعاطى النّاقة لقتلها، او تعالى القوس، او قام على اطراف اصابع الرّجلين و مدّ يديه لقتلها [فَعَقَرَ] قيل: كمن لها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقيها، ثمّ شدّ عليها بالسّيف و كان يقال له: احمر ثمود و احيمر ثمود على التّصغير و يضرب به المثل فى الشّؤم.

[فَكَيْفَ كانَ عَذابي وَ نُذُرِ اِنّا اَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحِدَةً] هى صيحة جبرئيل، او صيحة الصّاعقة و قد سبق فى سورة الاعراف و غيرها قصّتهم و رفع الاختلاف بين ماورد فى اهلاكهم فى الصّيحة و الزّلزلة.

[فَكانُوا كَهَشيمِ الْمحْتَظِرِ] المحتظر الّذى يعمل الحظيرة لابله و غنمه،و هشيمه ما يجعله المحتظر حول حظيرته من خشبٍ و حطبٍ و غيره.

[وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ] بالرّسل او بالانذار [اِنّا اَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِبًا] رامياً للحصباء عليهم و كان الحاصب جبرئيل بعد ما رفع قُراهم.

و قيل: المراد بالحاصب الرّيح الّتى كانت تحصبهم بالحجارة، او المراد الحاصب الّذى حصبهم بحجارةٍ من سجّيل مسّومة عند ربّك للمسرفين و هم الملائكة.

[اِلّا الَ لُوطٍ نَجَّيْناهمْ بِسَحَرٍ]فى وقت سحر متعلّق بنجّيناهم او بحاصباً [نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا] نجاة نعمةٍ او لنعمة، او انعمنا عليهم نعمة من عندنا.

[كَذلِكَ نَجْزي مَنْ شَكَرَ] نعمنا بصرفها فيما خلقت لاجلها، او بتعظيمنا فى انعامنا.

[وَ لَقَدْ اَنْذَرَهُمْ] لوطٌ [بَطْشَتَنا] سطوتنا بالعذاب [فَتَمارَوْا

بِالنُّذُرِ] تجادلوا فى النّذر، او شكّوافيه، او تجادلوا، او شكّوا بسبب النّذر.

[وَ لَقَدْ رٰاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنٰا اَعْيُنَهُمْ] مسخناها و سوّيناها بسائر الوجه، او طمسنا نورها، ورد انّه اهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم.

و ورد ايضاً انّه اخذ كفّاً من ترابٍ فضرب بها وجوههم فعمى اهل المدينة كلّهم، و قد سبق قصّتهم فى سورة الاعراف و هودٍ و الحجر.

[فَذُوقُوا] اى فقلنا لهم ذوقوا [عَذٰابِى وَ نُذُرِ] اى ما انذرتم به [وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذٰابٌ مُسْتَقِرٌّ] فيهم غير زائل عنهم.

[فَذُوقُوا عَذٰابِى وَ نُذُرِ وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ وَ لَقَدْ جٰاءَ اٰلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ] اى فرعون و ءاله لكن اكتفى بذكرهم لانّ استحقاق قومٍ لعذابٍ او ثوابٍ باضافتهم الى شخصٍ يدلّ على استحقاق ذلك الّشخص بالطّريق الاولى.

[كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] التّسع [كُلِّهٰا] او بآياتنا الافاقيّة و الانفسيّة كلّها، او باياتنا العظمى كلّها و هم الرّسل [فَأَخَذْنٰاهُمْ اَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ اَكُفّٰارُكُمْ] يا قريش او يا اهل مكّه او يا ايّها العرب او يا ايّها النّاس [خَيْرٌ مِنْ اُولٰئِكُمْ] الهالكين الماضين حتّى لانعذّبهم و لانهلكهم مثلهم و ليس كذلك.

[اَمْ لَكُمْ بَرٰاءَةٌ فِى الزُّبُرِ] بل اثبت لهم فى الزّبر الاوّلين او فى الارواح العالية و الكتب الّتى بايدى الملائكة براءة من العذاب او من الهلكة او من النّار.

[اَمْ يَقُولُونَ] التفات من الخطاب [نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ] بل ايعتمدون على جماعتهم و عصابتهم و يقولون: نحن متّفقون و منتصرون ممّن ارادبنا سوءً و لو كان المريد الله او الملائكة، و وحدّ منتظراً لملاحظة

لفظ جميعٍ فانّه مفرد فى اللّفظ كالكلّ و ان كان معناه جمعاً، و للاشارة الى انّ الجماعة المتّفقة تكون كالرّجل الواحد، او الضّمير لكلّ واحدٍ اى نحن جميع و منتصر كلّ واحدٍ منّا ممّن يخالفنا فكيف بجماعتنا.

[سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ] ان كانوا متّكلين على جماعتهم و المراد انّهم سيهزمون فى القيامة او فى الدّنيا يوم بدرٍ [وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَل السّاعَةُ] المناسب لهذا الاضراب ان يكون المراد بهزيمتهم هزيمتهم فى الدّنيا يعنى انّهم يهزمون فى الدّنيا بل السّاعة اى القيامة او ساعة الموت [مَوْعِدُهُمْ] و الّذى لهم فى الدّنيا من العذاب انموذجٌ من عذاب السّاعة.

[وَ السّاعَةُ اَدْهٰى] اشدّ [وَ اَمَرُّ] بل شدّة السّاعة و مرارته لاتقاس بعذاب الدّنيا [اِنَّ الْمجْرِمينَ في ضَلالٍ] فى الدّنيا [وَ سُعُرٍ] فى الاخرة او كلاهما فى الاخرة او كلاهما فى الدّنيا، و يكون المراد بالسعر الجنون.

[يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النّارِ عَلٰى وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ] حالٌ او مستأنف بتقدير القول، و سقر عَلَمٌ لجهنّم.

و عن الصّادق عليه السلام انّ فى جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له سقر شكا الى الله شدّة حرّه و سأله ان يأذن له ان يتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم.

[اِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ] بقدرٍ مخصوصٍ من امد بقائه و اجله و كيفيّة بقائه، او بسبب عالم القدر، او بتقديرنا له فى عالم القدر.

عن الصّادق عليه السلام انّ القدريّة مجوس هذه الامّة و هم الّذين ارادوا ان يصفوا الله بعد له فأخرجوه من سلطانه، و فيهم نزلت هذه الايات يوم يسحبون (الى قوله) بقدرٍ.

[وَ ما اَمْرُنا اِلاّ واحِدَةٌ] رفع توهّمٍ نشأمن قوله كلّ شيءٍ خلقناه بقدر فانّه يتوهّم متوهّم انّه اذا كان كلّ شيءٍ خلقه بقدرٍ لم يتيسّر ذلك الاّ

بعمّالٍ عديدةٍ يكون تحت كلّ عاملٍ عدّة عامل.

فقال: ما امرنا فى خلق العالم و جميع ما فيه الّا واحدةٌ اى فعلة واحدة، او كلمة واحدة، او نشأ من قوله بل السّاعة موعدهم فانّه يتوهّم انّه اذا كان الّساعة موعدهم فليكن امد الّساعة بقدر امد الدّنيا بل اطول منه فقال: و ما أمرنا فى الاتيان بالّساعة و جمع الخلائق فيها و محاسبتهم الّا واحدة [كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ] فى اليسر و الّسرعة.

[وَ لَقَدْ اَهْلَكْنا اَشْياعَكُمْ] امثالكم من منكرى الرّسالة و توحيدالله [فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] متّعظ بتذكّر احوالهم [وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ] اى الالواح العالية او صحف الاعمال فلايفوت شيءٌ منها و منّا.

[وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ] من الذّوات و الاعمال و الاعراض [مُسْتَطَرٌ] قبل خلقته فى الاقلام العالية و اللّوح المحفوظ و الالواح القدريّة، او بعد خلقته فى صحائف نفوسهم و فى صحف الكرام الكاتبين.

[اِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ] النّهر بالّسكون و النّهر بالتّحريك مجرى الماء [فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ] الصّدق على الاطلاق هو استقامة الانسان فى جميع ما يقتضيه انسانيّته و تمكّنه فيه من الخروج عن جميع الحدود و الدّخول فى مقام الاطلاق و الاتّصاف بجميع الصّفات الالهيّة.

و التّمكّن فى كلّ ذلك، و اضافة المقعد الى الصّدق امّا من قبيل اضافة الّسبب الى المسبّب، او المسبّب الى الّسبب، او من قبيل لجين الماء، او بيانيّة.

فانّ الصّدق هو محلّ الّسكون و الاطمينان للانسان، و تنكير الصّدق للتّفخيم و فى مقعد صدقٍ امّا خبرٌ بعد خبرٍ، او خبر ابتداءٍ و فى جنّاتٍ حال او متعلّق بقوله فى جنّاتٍ [عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ].

۵۵ سُورَة الرّحمٰن

مكّيّة و قيل: غير ءاٰيةً يسأَله من فى السّموات و الارض، و

قيل: مدنيّة

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الرَّحْمٰنُ] اقتضاء جعله ءاٰيةً برأسه ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ و قدمضى فى اوّل الفاتحة انّ الرّحمن اسمٌ خاصّ بصفة عامّة، و انّ الرّحمة الرّحمانيّة تقتضى وجود الاشياء بكمالاته الاوّليّة و بقاءها، و انّ الرّحمة الرّحيميّة تقتضى الكمالات الثّانية الّلاحقة للاشياء الصّاعدة.

و لمّا كان تعليم القران الّذى هو افاضة الوجود الّذى هو اضافته الاشراقيّة على جميع الموجودات، و خلق الانسان و تعليمه البيان الّذى هو تمام ذاته بالنّطق الّذى هو فصله الاخير من اقتضاء صفته الرّحمانيّة أتى فى اوّل هذه السّورة بالرّحمن.

[عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ] خبرٌ للرّحمن، او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [خَلَقَ الْاِنْسٰانَ عَلَّمَهُ الْبَيٰانَ] تعدادٌ لاصول النّعم الّتى هى ايجاد كلّ موجودٍ و ايجاد كمالاته الاوّليّة و ذكر خلق الانسان بعد تعليم القرءاٰن من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام به، و ذكر تعليم البيان الّذى هو الكمال الاوّل للانسان المندرج فى خلق الانسان للامتنان و الاهتمام بهذا البيان فانّ الانسان غاية اخيرة لخلق العالم، و البيان و ان كان كمالاً اوّليّاً للانسان لكنّه باعتبار اطلاقه غاية اخيرة للانسان.

[اَلشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبٰانٍ] اقتضاء جواز حمل الّسابقة و الاتية

على الرّحمن ان يكون هذه الجملة ايضاً جائزة الحمل عليه فليقدّر بحسبانٍ عنده يعنى انّ خلقهما و جريانهما ليس الّا بمقدارٍ خاصٍّ و ميزانٍ مخصوصٍ لايتجاوزانه لانّ نظام العالم و انتظام معاش بنى ءادم منوطٌ بانتظامهما فكونهما بحسبانٍ من النّعم كما انّ وجودهما من نعم الانسان.

واذا اريد بالّشمس و القمر روح الانسان و نفسه فكونهما من نعمه بل اجلّ نعمائه واضح.

[وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدٰانِ] النّجم النّبات الّذى لاساق له، و الّشجر ماله ساق، او المراد بالنّجم كواكب الّسماء، و سجودهما عبارة عن انقيادهما للنّفس المربيّة المنمية لهما.

او عبارة عن سجود جهتهما الملكوتيّة لله و تسبيحهما بالسنتهما الملكوتيّة الفصيحة، او المراد بالنّجم و الّشجر قوى النّفس الانسانيّة من الحسّاسة و المحّركة فانّها ساجدة للنّفس، و سجدتها للنّفس سجدتها لله تعالى شأنه و التّقدير ههنا يسجدانالله.

[وَ السَّمٰاءَ] اى سماء عالم الطّبع و سماء الارواح و سماء روح الانسان و سماء الولاية [رَفَعَهٰا] بحيث لايبلغ ابصاركم الى ماهى عليه [وَوَضَعَ الْمِيزٰانَ] قد سبق انّه لااختصاص للميزان بذى الكفّتين بل كلّما يوزن و يقاس به شيءٌ ءاخر هو ميزان لذلك الّشىء فالميزان ذوالكفّتين و القبان و الكيل الزّرع و خيوط البنّائين و غيرها من المحسوسات الّتى يقاس بها اشياء اُخر موازين، و شريعة كلّ نبيّ ميزان لامّته كما انّ ولاية كلّ ولىٍّ و خلافته لنبيّه ميزانٌ لاتباعه فى اعمالهم، و النّفوس الانسانيّة و العقول المعاشيّة و العقول المعاديّة موازين للاعضاء و القوى و الاعمال و تمييز الاشياء باوصافها، و ميزان الكلّ هو الولاية بوجهها الى عالم الكثرات.

[اَلّا تَطْغَوْا فِى الْميزانِ] ان تفسيريّة و لاناهية او مصدريّة، و لاناهية او نافية و ان كانت نافيةً فالخبر يكون فى معنى النّهى ليصحّ عطف الانشاء عليه، و المراد بالطّغيان فى الميزان التّجاوز عن حدّ الاعتدال الى الافراط كمال انّ قوله تعالى.

[وَ اَقيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ] امر بالاعتدال، و قوله تعالى [وَ لاتُخْسِرُوا الْميزانَ] نهى عن التّفريط فيه، نهى تعالى عن الزّيادة على الوزن سواء كان للوزّان او عليه، كما نهى عن البخس سواء كان له او عليه، و امر باقامة الوزن، و اقامته عبارة عن تسوية طرفى الميزان، و بالقسط تأكيد لهذا المعنى.

او المراد باقامة الوزن تسوية طرفى الميزان باليد، و تقييدها بالقسط للاشارة الى تسوية القلب فى ذلك [وَ الْاَرْضَ وَضَعَها لِلْاَنامِ] بسطها او هو مقابل رفع الّسماء ذكر بسط الارض لانّ اتمام نعمة رفع الّسماء ببسط الارض.

[فيها فاكِهَةٌ] الجلمة حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَ النَّخْلُ ذاتُ الْاَكْمامِ] الاكمام هى غلف ثمر النّخل، و قيل: المراد بها طلع النّخل، و قيل: ليف النّخل.

[وَ الْحَبُّ ذُوا الْعَصْفِ] اى الورق او التّبن [وَ الرَّيْحانُ] قرئ بالرّفع عطفاً على الحبّ، و بالجرّ عطفاً على العصف، و الرّيحان نبت معروف طيّب الرّائحة، او مطلق النّبت الطّيّب الرّائحة، او مطلق الرّزق، اذا عرفتما ايّها الثّقلان هذه الالاء الّتى لايقدر على ايتاء مثلها احدٌ سوى الله.

[فَبِاَيِّ الاۤءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ] روى عن الرّضا عليه السلام انّه قال: الرّحمن علّم القرءان، الله علّم القرءان قبل خلق الانسان و ذلك امير المؤمنين عليه السلام قيل

علّمه البيان؟

ـ قال: علّمه بيان كلّ شيءٍ يحتاج اليه النّاس، قيل:

الّشمس و القمر بحسبان؟ـ قال: هما بعذابٍ، قيل: الّشمس و القمر يعذّبان؟

ـ قال: سألت عن شيءٍ فأتقنه، انّ الّشمس و القمر ءأيتان من ءأيات الله يجريان بأمره مطيعان له ضوؤهما من نور عرشه و حرّهما من جهنّم فاذا كانت القيامة عاد الى العرش نورهما و عاد الى النّار حرّهما فلايكون شمسٌ و لاقمرٌ و انّما عناهما لعنهما الله، او ليس قد روى النّاس انّ رسول‌الله ﷺ قال: انّ انّ الّشمس و القمر نوران فى النّار؟

ـ قال: بلى، قال: اما سمعت قول النّاس: فلان و فلان شمسا هذه الامّة و نورها؟ فهما فى النّار، و الله ما عنى غيرهما، قيل: النّجم و الشّجر يسجدان؟

ـ قال: النّجم رسول الله ﷺ و قد سمّاه الله فى غير موضعٍ فقال: و النّجم اذا هوى، و قال و علاماتٍ و بالنّجم هم يهتدون فالعلامات الاوصياء عليهم السلام، و النّجم رسول‌الله ﷺ، قيل: يسجدان؟ـ قال: يعبدان، و قوله و السّماء رفعها و وضع الميزان؟ـ قال: السّماء رسول الله ﷺ رفعه الله اليه، و الميزان امير المؤمنين عليه السلام نصبه لخلقه، قيل: الّا تطغوا فى الميزان؟

ـ قال: لاتعصوا الامام.

قيل: و اقيموا الوزن بالقسط؟

ـ قال: اقيموا الامام بالعدل، قيل: ولا تخسروا الميزان؟

ـ قال: لاتبخسوا الامام حقّه و لاتظلموه، و قوله: و الارض وضعها للانام؟

ـ قال: للنّاس فيها فاكهة، و النّخل ذات الاكمام؟

ـ قال: يكبر ثمر النّخل فى القمع ثمّ يطلع منه، قوله و الحبّ ذوا العصف و الرّيحان؟

ـ قال: الحبّ الحنطة والّشعير و الحبوب، و العصف التّبن و الرّيحان ما يؤكل منه.

و عن الصّادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى: فبايّ الاء ربّكما تكذّبان؟ـ فبايّ النّعمتين تكفران؟ـ بمحمّدٍ صلى الله عليه و آله ام بعليٍّ عليه السلام؟ و فى خبرٍ، اَبالنّبىّ صلى الله عليه و آله ام بالوصىّ عليه السلام؟!

و لمّا كان التّكرار فى مقام الامتنان بتعدّد النّعم مطلوباً كرّر قوله: فبايّ الاء ربّكما تكذّبان تقريراً لها عند المقرّين بها، و توبيخاً للمكذّبين بها.

لذلك ورد عن النّبىّ صلى الله عليه و آله: انّه لمّا قرئ هذه السّورة على النّاس و سكتوا و لم يقولوا شيئاً، قال: الجنّ احسن جواباً منكم لمّا قرأت عليهم فبايّ الاء ربّكما تكذّبان؟ـ قالوا: لابشىءٍ من الاء ربّنا نكذّب.

[خَلَقَ الْاِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰالٍ] الصّلصال الطّين الطّيّب خلط بالرّمل، او الطّين مالم يجعل خزفاً [كَالْفَخّٰارِ] الفخّارة الجرّة جمعها الفخّار، او هو الخزف.

[وَ خَلَقَ الْجٰانَّ] اسم جمعٍ للجنّ او هو ابو الجنّ [مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ] اى نارٍ خالصةٍ من الدّخان و قد سبق البقرة كيفيّة خلق الجنّ من النّار.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ رَبُّ الْمُشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ] المراد بالمشرقين مشرق الّشمس فى الّشتاء و مشرقها فى الصّيف، و هكذا مغرباها.

سئل امير المؤمنين عليه السلام عن هذه الاية، فقال: انّ مشرق الّشتاء عليحدّةٍ و مشرق الصّيف عليحدّةٍ، اما تعرف ذلك من قرب الّشمس و بعدها؟! قال: و امّا قوله ربّ المشارق و المغارب فانّ لها ثلاث مائةٍ و ستّين برجاً تطلع كلّ يوم من برجٍ و تغيب فى ءاُخر فلا تعود اليه الّا من قابلٍ فى ذلك اليوم.

و عن الصّادق عليه السلام: انّ المشرقين رسول الله صلى الله عليه وآله و امير المؤمنين عليه السلام، و المغربين الحسن و الحسين عليه السلام قال: و فى امثالهما يجرى.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ] ارسل البحر العذب الفرات و البحر الملح الاجاج، او لبحر الفاعلىّ و البحر القابلىّ و مظهرهما، و مظهرهما علىّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام.

[يَلْتَقِيٰانِ] يتلاقيان من غدير امتزاجٍ [بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ] من قدرة الله، او من عالم المثال، او من محمّدٍ صلى الله عليه وآله.

[لاٰ يَبْغِيٰانِ] لايغلب احدهما الاخر و لايبطل خاصيّته و قدمرّ فى سورة الفرقان بيانٌ اجمالىٌّ للبحرين [فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ] روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال، علىّ عليه السلام و فاطمة عليها السلام بحران عميقان لايبغى احدهما على صاحبه، يخرج منهما اللّؤلؤ و المرجان، قال: الحسن و الحسين عليه السلام و فى خبرٍ و البرزخ محمّد صلى الله عليه وآله، و عن الصّادق عليه السلام عن علىٍّ عليه السلام يخرج منهما قال، من ماء السّماء و من ماء البحر فاذا أمطرت فتحت الاصداف افواهها فى البحر فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللّؤلؤة الصّغيرة من القطرة الصّغيرة، و اللّؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة.

[وَ لَهُ الْجَوٰارِ الْمُنْشَئٰاتُ] قرئ بفتح الّشين بمعنى المرفوعات

الْشرُع، و قرئ بكسر الّشين بمعنى الرّافعات الْشرُع [فِى الْبَحْرِ كَالْاَعْلٰامِ] كالجبال الطّوال.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا] على الارض [فٰانٍ] فانّ الكلّ بحسب الحدود و المهيّات فانيات الذّوات، و بحسب الوجود الّذى هو وجه الله الباقى باقيات.

[وَ يَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوا الْجَلٰالِ وَ الْاِكْرٰام] فانّ الوجود لايقبل الفناء و العدم اصلاً، و الّا لزم اتّصاف الّشىء بضدّه و انّما يقبل الموجودات العدم و الفناء بحسب حدودها لابحسب وجوداتها، و من ههنا يستنبط انّ الوجودات كلّها ظهور الحقّ الاوّل، و بحسب حقيقتها غير قابلةٍ للفناء، و يستنبط انّ كلّها متقوّم بوجود الحقّ الواجب تعالى شأنه.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يَسْئَلُهُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] فانّه الغنىّ على الاطلاق و الكلّ محتاجون اليه سائلون عنه بألسنة فقرهم و استعدادهم و حالهم كما انّ الاكثر سائلون عنه بالسنة اقوالهم.

[كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل يعنى ليس الكامل فى كماله مستغنياً عنه و عن سؤاله كما انّه ليس النّاقص مستغنياً عنه لانّه كلّ يوم فى شأن فالكامل ان كان كماله بشأنٍ او شؤنٍ منه لم يكن كاملاً بجميع شؤنه فليكن سائلاً منه شؤنه الاُخر.

[فَبِاَىَّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ اَيُّهَا الثَّقَلٰانِ] لمّا دلّ قوله: كلّ يوم هو فى شأنٍ على انّ له بحسب مراتب العالم طولاً و عرضاً شؤناً، و انّ له بحسب مراتب الانسان طولاً و عرضاً شؤناً، و له بحسب كلٍّ من القوى الدّرّاكة و المحرّكة شأنًا بل شؤنًا جاز ان يتوهّم متوهّم انّه اذاكان له شؤن لم يكن له فراغ بحساب الخلائق و جزائهم بالثّواب والعقاب فردّ ذلك

التّوهّم بانّ تلك الّشؤن انّما هى بحسب مراتب الكثرات و سنفرغ اى بشأن التّوحيد فى القيامة فلم يكن لنا شأن سوى حساب الخلائق و انتهائهم الى جزائهم.

[فَبِاَيِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْاِنْسِ] حال من فاعل سنفرغ او من مفعوله بتقدير القول اى قائلين او مقولاً فيكم او مستأنف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ بتقدير القول مثل الوجه الّسابق كأنّه قيل: ما يقال لهم وقت الفراغ لهم؟ـ او نداء من الله للثّقلين من غير تقدير القول و خطابٌ لهم فى الدّنيا.

[اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوا مِنْ اَقْطٰارِ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] يعنى ان استطعتم ان تخرجوا بالنّفوذ فى اقطارهما من اقطارهما و تحتهما فارّين من الله او فارّين من ملائكته او خارجين من ملكه.

[فَانْفُذُوا] امر للتّعجيز [لٰا تَنْفُذُونَ اِلّٰا بِسُلْطٰانٍ] من الله و هو وليّه الّذى كان واسطةً بينه و بين خلقه، او الّا بسلطانٍ و هو الّسكينة الّتى ينزلها الله على من يشاء من عباده.

فانّه اذا نزل تلك الّسكينة و تمكّن سهل على الانسان النّفوذ و الخروج من اقطار الّسماوات و الارض الى عالم الملكوت والجبروت كما نفذ محمّد ﷺ و خرج من الملكوت و الجبروت، او المعنى ان استطعتم ان تنفذوا بقوّتكم العّلامة و عقولكم الفكريّة من اقطار السّماوات و الارض لتعلموا ماوراءهما فانفذوا لاتنفذون الّا بسلطان هو وليّ امركم و هو سكينتكم النّازلة عليكم او برهانكم الّذى تستنبطون ما غاب عنكم منه.

و روى انّه يحاط يوم القيامة على الخلق بالملائكة و بلسانٍ من نارٍ ثمّ ينادون: يا معشر الجنّ و الانس (الى قوله) شواظٌ من نار.

و عن الصّادق عليه السلام: اذا كان يوم القيامة جمع الله العباد فی صعيدٍ واحدٍ و ذلك انّه يوحی الی الّسماء الدّنيا، ان اهبطی بمن فيك، فيهبط اهل الّسماء الدّنيا بمثلی من فی الارض من الجنّ و الانس و الملائكة، فلايز الون كذلك حتّی يهبط اهل سبع سماوات فتصير الجنّ و الانس فی سبع سرادقاتٍ من الملائكة ثمّ ينادی مناد ٍ: يا معشر الجنّ و الانس ان استطعتم (الاية)فينظرون فاذاً قد احاط بهم سبع اطواق من الملائكة.

[فَبِایِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمٰا شُوٰاظٌ مِنْ نٰارٍ] الّشواظ كغراب و كتاب و قرئ بهما لهب لادخان فيه، او دخان النّار و حرّها، و حرّ الّشمس، و الصّياح و شدّة الغُلّة[۱].

[وَ نُحٰاسٌ] النّحاس مثلّثة، الصّفر المذاب او المطلق، و ما سقط من شرار الصّفر او الحديد اذا طرق و قيل: المراد به الدّخان، و قيل: المراد به المهل، و قرئ بالرّفع و بالجرّو

[فَلاٰ تَنْتَصِراٰنِ فَبِاَیِّ اٰلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فَاِذَا انْشَقَّتِ السَّمٰاءُ] فی العالم الصّغير فانّه فی حال الاحتضار تنشقّ سماء الرّوح الحيوانيّة فتنفلق الرّوح الانسانيّة منها، و اذا انشقّت السّماء الدّنيا فی العالم الصّغير انشقّت السّماء الدّنيا فی العالم الكبير فی نظر من انشقّت سماؤه فی عالمه.

[فَكٰانَتْ وَرْدَةً] ای كنور النّبات فی انشقاقه و انفلاق الثّمر منه و عدم الاحتياج اليه او صارت احمر واصفر و ابيض يعنی بالوانٍ مختلفةٍ كلون النّور، او كلون الفرس بين الكميت و الاشقر فانّ الوردة واحدة الورد و هو من كلّ شجرةٍ نورها، و غلّب علی الحوجم[۲] و فرس بين الكميت و

---

۱ الغُلّة = العطش.
(۲) الحوجمة = الوردة الحمراء و الجمع الحوجم.

الاشقر و الزّعفران.

[كَالدِّهٰانِ] الدّهان جمع الدّهن او هو الاديم الاحمر او هو عكر الزّيت فانّ الدّهن اذا صبّ بعضها فوق بعضٍ اختلف الوءانها و دُرديّ الزّيت ايضاً تختلف الوانه.

[فَبِاَيِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ] و جواب اذا امّا قوله: فكانت وردة، او قوله فبايّ ءالاء ربّكما، او قوله تعالى.

[فَيَوْمَئِذٍ لٰا يُسْئَلُ] او قوله يعرف المجرمون [عَنْ ذَنْبِهِ اِنْسٌ وَ لٰاجٰانٌّ] لما دهمه من الدّهشة و الغشية و الحيرة الّتى لايبقى معها موقع سؤالٍ عنه و انّما السّؤال فى القيامة الكبرى او لايسئل عن ذنب المذنب انسٌ و لاجانٌّ غيره بارجاع الضّمير الى المذنب المستفاد بالملازمة الالى الانس و الجانّ، او يوم القيامة لايسئل عن ذنبه انسٌ و لاجانٌّ اذا كان من شيعة علىٍّ عليه السلام.

كما فى الخبر عن الرّضا عليه السلام و امّا غيرهم فيسئلون، او لايسئل عن ذنبه سؤال استفهامٍ لانّ المجرم يعرف بسيماه بقرينة قوله يعرف المجرمون.

[فَبِاَيِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمٰاهُمْ] تعليل لقوله تعالى لايسئل عن ذنبه على الوجه الاخير و استيناف كلامٍ على سائر الوجوه، و المراد بالّسيما العلامة الّتى عليهم من سواد الوجه وزرقة العيون، او ما يغشيهم من القترو الذّلّة.

[فَيُؤْخَذُ بِالنَّوٰاصي وَ الْاَقْدٰامِ] يعنى فتأخذهم الزّبانية فتجمع بين نواصيهم و اقدامهم بالغلّ ثمّ يسحبون فى النّار، او يأخذهم الزّبانية بنواصيهم و اقدامهم فتسوقهم الى النّار.

عن الصّادق عليه السلام انّه سأل بعض اصحابه ما يقولون فى هذا؟ـ قال: يزعمون انّ الله تعالى يعرف المجرمين بسيماهم فى القيامة فيأمر بهم فيؤخذون بنواصيهم و اقدامهم فيلقون فى النّار، فقال: و كيف يحتاج تبارك و تعالى الى معرفة خلقٍ انشأهم و هو خلقهم؟ـ قال: و ما ذاك؟ـ قال: ذلك لوقام قائمنا اعطاه الله الّسيما فيأمر بالكافرين فيؤخذ بنواصيهم و اقدامهم ثمّ يخبط بالّسيف خبطاً[1].

[فَبِاَيِّ الآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هٰذِهِ جَهَنَّمُ] حاليّة او مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اى يقال لهم: هذه جهنّم [الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَ حَميمٍ اٰنٍ] يعنى يطوفون بين ماءٍ حارٍّ واقعٍ بين جهنّم، او قد يطوفون بين جهنّم فى النّار، و قد يطوفون بين ماءٍ حارٍّ غاية الحرارة.

[فَبِاَيِّ الآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ] اى مقام ربّه بالنّسبة الى نفسه و انّه فى مقامٍ يراه و يسمع قوله، او مقامه عند ربّه للحساب.

و عن الصّادق عليه السلام قال: من علم انّ الله يراه و يسمع ما يقول و يعلم ما يعمله من خيرٍ و شرٍّ فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فذلك الّذى خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى.

[جَنَّتٰانِ] بحسب صفحتى النّفس العمّالة و العلّامة احديهما و هى الّتى تكون بحسب صفحتها العمّالة جنّة النّعيم و الاخرى جنّة الرّضوان و ذلك انّه مع قوّته العمّالة عن القبيح و قوّته العلّامة عن الّشيطنة.

---

(۱) الخبط كالضرب و زناً و معناً.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فيهِمٰا عَيْنٰانِ تَجْرِيٰانِ] فى كلّ من الجنّتين عينان او فى كلّ منهما عين.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فيهِمٰا مِنْ كُلِّ فٰاكِهَةٍ] من فواكه الجنّات [زَوْجٰانِ] اى الرّطب و اليابس، او المعروف من الثّمار و الغريب منها، او المراد ما فيه حظّ للعّلامة و ما فيه حظّ للعمّالة. فانّ ثمار الدّنيا يلتذّبها الباصرة كما يلتذّبها الذّائقة، و فى الجنان يتميّز الكيفيّتان بمحالّهما او صنفٌ مستقدر لمقام تقدّر الانسان و صنف مجرّد لمقام تجرّده.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُتَّكِئينَ] حال ممّن خاف مقام ربّه [عَلٰى فُرُشٍ بَطٰائِنُهٰا] جمع البطانة بمعنى الباطن [مِنْ اِسْتَبْرَقٍ] شخين الحرير [وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دٰانٍ] اى الثّمار الّتى من شأنها ان تجنى دانية من الا كلين حتّى ينالها القائم و القاعد و المضطجع.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فيهِنَّ] اى فى الجنان [قٰاصِرٰاتُ الطَّرْفِ] على ازواجهنّ، او تقصر الاطراف عن النّظر اليهنّ لتلألئهنّ.

[لَمْ يَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰجٰانٌّ] الطّمث الافتضاض و المسّ و الانس [فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ كَاَنَهُنَّ الْيٰاقُوتُ وَ الْمَرْجٰانُ] فى الصّفاء و الّشفيف فانّه روى انّ المرأة من اهل الجنّة يرى مخّ ساقها من وراء سبعين حلّةً من حرير.

[فَبِاَىِّ اٰلآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ هَلْ جَزٰاءُ الْاِحْسٰانِ اِلَّا الْاِحْسٰانُ] اى ما جزاء من انعم عليه بالمعرفةاى معرفة الامام الّا الجنّة؟

فانّ الاحسان اى صيرورة الانسان ذاحسن لايحصل للانسان الّا بقبول ولاية علىّ عليه‌السلام.

و فى رواية: هل جزاء من قال: لا اله الّا الله الّا الجنّة؟! يعنى بشرطها

و علیّ عليه‌السلام من شروطها.

و فی خبرٍ: هل جزاء من انعمنا علیه بالتّوحید الّا الجنّة؟ـ یعنی بالولایة.

فانّ التّوحید لایحصل الّا بالولایة، و فی خبرٍ انّ هذه الایة جرت فی الکافر و المؤمن و البرّ و الفاجر من صنع الیه معروف فعلیه ان یکافی به و لیس المکافاة ان تصنع کما صنع حتّی تربّی، فان صنعت کما صنع کان له الفضل بالابتداء.

[فَبِایِّ اٰلآءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ وَ مِنْ دُونِهِمٰا جَنَّتٰانِ] عطف علی جنّتان ای لمن خاف مقام ربّه من دون الجنّتین الاولیین اللّتین له بحسب قوّته العمّالة الانسانیّة و قوّته العّلامةالانسانیّة جنّتان بحسب قوتیه العمّالة الجزئیّة و العّلامة الجزئیّة.

و بعبارةٍ اخری بحسب مرتبته الاخری الّتی شارك بها سائر الحیوان و بعبارةٍ اخری هاتان لمقامه المقداریّ و تانك لمقامه المجرّد، او حال او عطف علی مجموع لمن خاف مقام ربّه جنّتان یعنی انّ لله من غیرتینك الجنّتین جنّتین لمن دون من خاف مقام ربّه.

[فَبِایِّ اٰلآءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ مُدْهٰامَّتٰانِ] ای تضربان الی السّواد من خضرتهما فانّ حسن الخضرة ان تضرب الی السّواد او من کثرة اغصان اشجارهما و التفافهما و کثرة اوراقها.

[فَبِایِّ اٰلآءِ رَبِّکُمٰا تُکَذِّبٰانِ فیهِمٰا عَیْنٰانِ نَضّٰاخَتٰانِ] نضخه رشّه و نضخ الماء اشتدّ فورانه، و النّضاخ ککتّان الغزیر من المطر.

قیل: تنضخ علی اولیاء الله بالمسك و العنبر و الکافور: و قیل: تنضخان بانواع الخیرات.

[فَبِايِّ الٰآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِمٰا فٰاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمّٰانٌ] لعدم جمعهما بين الصّنفين لم يقل: زوجان، و لعدم اشتمالهما على فواكه المقام العالى لم يقل من كلّ فاكهةٍ، و لكثرة فوائد النّخل و الرّمّان افردهما بعد ذكر الفاكهة.

[فَبِايِّ الٰآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ فِيهِنَّ خَيْرٰاتٌ] نساءٌ خيرات الاخلاق من نساء الدّنيا او من الحور [حِسٰانٌ] اى حسان الوجوه.

عن الصّادق عليه السلام: هنّ صوالح المؤمنات العارفات، و سئل عنه من قول الرّجل للرّجل: جزاك الله خيراً، ما يعنى به؟ـ قال: انّ خيراً نهرٌ فى الجنّة مخرجه من الكوثر، و الكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الاوصياء و شيعتهم، على حافّتى ذلك النّهر جوارٍ نابتات كلّما قلعت واحدةٌ نبتت اخرى يسمّين باسم ذلك النّهر، و ذلك قوله تعالى فيهنّ خيرات حسان، فاذا قال الرّجل لصاحبه: جزاك الله خيراً فانّما، يعنى بذلك تلك المنازل الّتى اعدّها الله لصفوته و خيرته من خلقه.

[فَبِايِّ الٰآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ حُورٌ] بدل من خيرات بدل الكلّ على ان يكون المراد بالخيرات الحور، او بالحور معناه اللّغوىّ حتّى يشمل النّساء من الانس، او عطف على خيرات بحذف حرف العاطف من قبيل التّعداد [مَقْصُورٰاتٌ فِي الْخِيٰامِ] اى مخدّرات فى الخيام، و قيل: مقصورات الاطراف على ازواجهنّ، او الانظار مقصورة عنهنّ، و قيل: كلّ خيمةٍ درّة مجوّفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة الاف مصراعٍ من ذهبٍ.

[فَبِايِّ الٰآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ اِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاٰ جٰانٌّ فَبِاَيِّ الٰآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ] جمع الرّفرفة و قرئ رفارف [خُضْرٍ] قيل الرّفرف الفرش المرتفعة، و قيل: رياض الجنّة.

و قيل: المجالس، و قيل: الوسائد [وَ عَبْقَرِيٍّ حِسانٍ] قيل: هى الزّرابىّ، و قيل: الدّيباج، و قيل: البُسط، و قيل: كلّ ثوبٍ موشّى هو عبقرىّ. و قيل: العبقرىّ منسوب الى العبقر و هو اسم بلد الجنّ بزعم العرب، و فى القاموس: عبقر موضع كثير الجنّ، و قرية ثيابها فى غاية الحسن، و امرأة، و العبقرىّ الكامل من كلّ شىءٍ و السّيّد و الّذى ليس فوقه شىءٌ و الّشديد و ضرب من البُسط.

[فَبِاىِّ الآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ] اسم الرّبّ مطلقا هو اسمه الاعظم الّذى هو علىّ بعلويّته [ذِى الْجَلالِ وَ الْاِكْرامِ] و قرئ ذوالجلال بالرّفع و صفاً للاسم فانّ اسمه مثله ذوالجلال الاجلّ من ان يوصف و ذوالاكرام الاتمّ.

٥٦ سُورَة الواقعة

مكّيّة كلّها، و قيل: الّا اٰية: و تجعلون رزقكم انّكم تكذّبون، و قيل: الّا قوله: ثلّة من الاوّلين و قوله: افبهذا الحديث انتم مدهنون، نزلت فى سفرة الى المدينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[اِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَةُ] اى القيامة سمّيت واقعة لتحقّق وقوعها، او المراد بالواقعة الموت فانّه ايضاً متحقّق الوقوع.

[لَيْسَ لِوَقْعَتِهٰا كٰاذِبَةٌ] كذب، ليس ليس جواباً لاذا للزوم الفاء ان كان جواباً فالجملة حاليّة او معترضة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ، او هو جواب اذا بتقدير الفاء.

[خٰافِضَةٌ رٰافِعَةٌ]خبر مبتدءٍ محذوفٍ بتقدير الفاء و جوابٌ لاذا، او بدوت تقدير الفاء و مستأنفة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ، و اذا لم تكن هذه الجملة و سابقتها جواباً لاذا فالجواب محذوف اى تحفض جماعة من الانس و الجنّ و ترفع جماعة او تخفض فرقة من قوى النّفس و ترفع اخرى، او جوا اذا قوله تعالى فاصحاب الميمنة (الى اٰخره) او جواب اذا قوله تعالى.

[اِذٰا رُجَّتِ الْاَرْضُ رَجًّا] بتقدير الفاء، او اذا رجّت الارض بدل من اذا وقعت الواقعة او ظرف لوقعت، او لكاذبة او لخافضة او لرافعة، و الرّجّ التّحريك و التّحرّك و الاهتزاز و الحبس.

[وَ بُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا] البسّ السّوق اللّيّن و ان يلّت السّويق او الدّقيق او الاقط المطحون بالسّمن او الزّيت، و الفتّ و منه البسيس للسّويق.

[فَكٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا] الهباء الغبار الّذى ينبثّ فى الجوّ و يرى فى

شعاع الّشمس.

[وَ كُنْتُمْ اَزْواجًا] اى اصنافاً [ثَلٰثَةً فَاَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ مٰا اَصْحٰابُ الْمَيْمَنَةِ] ما استفهاميّة للتّعجّب و الجملة خبر اصحاب الميمنة بتقدير القول.

[وَ اَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ مٰا اَصْحٰابُ الْمَشْئَمَةِ] و الاستفهام و التّعجّب فى الاولى للتّفخيم و فى الثّانية للتّحقير.

[وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ] هذه جملة مبتدء و خبر و المعنى السّابقون على اصحاب اليمين هم المعروفون بالّسبق، او الّسابقون على اصحاب اليمين هم الّسابقون على الاطلاق فى جملة الكمالات، او الّسابقون هم الانبياءعليهم السلام المعروفون بالّسبق.

او الّسابقون فى الفضل هم الّسابقون اصحاب اليمين، او الّسابقون فى الايمان هم الّسابقون على الكلّ كقول الّشاعر: انا ابوالنّجم و شعرى شعرى، او الّسابقون الثّانى تأكيدٌ للاوّل و قوله تعالى [اُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ] خبره، او بدل منه و اولئك المقرّبون مبتدءٌ و خبرٌ، او موصوف و صفة فالوقف عليه.

او الوقف على قوله تعالى [فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ] فانّه خبرٌ او خبرٌ بعد خبرٍ، او حالٌ، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ.

اعلم، انّ بنى ءادم لمّا كانوا جامعين بالقوّة لجميع انموذجات الموجودات و هذا معنى علّم ءادم الاسماء كلّها، كانوا اذا صاروا بالفعل فى شىءٍ من الاشياء صاروا من جنس ذلك الّشىء بحسب الباطن.

و لذلك قيل: انّ الانسان بحسب الصّورة نوعٌ واحدٌ و بحسب الباطن انواعٌ مختلفةٌ، و انّ العوالم بحسب الامّهات ثلاثة: عالم الارواح الخبيثة، و

عالم الارواح الطّيّبة، و العالم الواقع بين العالمين، و هو عـالم الطّـبائع و الكيان، و انّ تلك العوالم بمنزلة شخصٍ انسانيٍّ يمينه عالم الارواح الطّيّبة، و شماله عالم الارواح الخبيثة.

و الانسان الواقع بين هذين العالمين مالم يتمكّن فـى شـىءٍ مـن العالمين بل كان حاله باقيةً على البرزخيّة بينهما لايحكم عليه بشىءٍ من العالمين و الخارج من البرزخيّة المتمكّن فى الارواح الخبيثة يحكم عليه بانّه منهم، و انّه من اصحاب الّشمال و اصحاب المشئمة.

و المتمكّن فى الارواح الطّيّبة يحكم عليه بـانّه مـنهم و انّـه مـن اصحاب اليمين و اصحاب الميمنة، و الباقى على البرزخيّة لايحكم عـليه بشىءٍ بل هو المرجى لأمر الله و هم اغلب النّاس، و الحائز لكمالات الانسان الّسابق على اصحاب اليمين و هم الانبياء و الاولياءعليهم السلام هو الّسابق و بعبارةٍ اخرى الانسان امّا قابلٍ للولاية او معرضٍ عنها.

او غير قابلٍ و غير معرضٍ، و المعرض يحكم عليه بحسب اعراضه انّه من اصحاب الّشمال بشرط البقاء على اعراضه، و القابل يحكم عليه بانّه من اصحاب اليمين، و غير هما مرجىً لامر الله، و القابل للولاية امّـا صـار بالفعل فى بعض الكمالات و هو الّسابق، او لم يصرو هو من اصحاب اليمين، و هذا القسمة بحسب كونهم فى الدّنيا و فى الانظار القاصرة، و الّا فهم بعد الموت و طىّ البرازخ امّا سابقون، او اصحاب اليمين، او اصحاب الّشمال، و هكذا حالهم فى الانظار البالغة فى الدّنيا.

فانّ النّاظرين فى العواقب يحكمون على الانسان بكونه من اصحاب الّشمال، او اصحاب اليمين، او الّسابقين، فالاقسام اربعة فى الدّنـيا عـند القاصرين و ثلاثة فى الاخرة و فى الدّنيا عـند الكـاملين فـى الانـظار، و

قدمضى فى سورة المائدة عند قوله تعالى بل يداه مبسوطتان بيانٌ للّشمال و اليمين و انّهما بالنّسبة الى انفسهما و الى العالم تسمّيان باليمين و الّشمال، و امّا بالنّسبة الى الله تعالى فكلتايديه يمين.

و عن النّبىّ ﷺ انّه سئل عن هذه الاية فقال ﷺ: قال لى جبرئيل: ذلك علىّ و شيعته هم الّسابقون الى الجنّة المقرّبون من الله بكرامته.

و عن علىّ عليه السلام قال: و السّابقون السّابقون اولئك المقرّبون فىّ نزلت.

و عن الباقر عليه السلام: و نحن السّابقون السّابقون و نحن الاخرون.

و قال الصّادق عليه السلام قال ابى لاناسٍ من الّشيعة؛ انتم شيعة الله، و انتم انصار الله، و انتم الّسابقون الاوّلون، و الّسابقون الاخرون، و الّسابقون فى الدّنيا الى ولايتنا، و الّسابقون فى الاخرة الى الجنّة.

[ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ]اى جمع كثير منهم من الاوّلين فى الزّمان و هم من لدن ءادم عليه السلام الى زمان الخاتم ﷺ، او من الاوّلين فى البيعة و قبول الولاية، او من الاوّلين فى الرّتبة و هذا هو المقصود. فانّ المقصود انّ كثيراً من الّسابقين كانوا من الاوّلين فى الرّتبة و قليل منهم كانوا من الاخرين فى الرّتبة عرجوا بعد الموت بتصادم البرازخ الى مقام الاوّلين.

و لذلك لم يقل فى اصحاب الّشمال، ثلّة من الاوّلين مع انّ اصحاب الّشمال جمع كثير منهم من الاوّلين، و قيل: ثلة من الاوّلين من امّة محمّدٍ ﷺ [وَ قَلِيلٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ] منهم [عَلٰى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ] وضن الّشىء ثنّى بعضه على بعضٍ و ضاعفه، او نضده، او نسجه.

[مُتَّكِئِينَ عَلَيْهٰا مَتَقٰابِلِينَ] فانّ الرّاحة فى الاتّكاء، و اشرف المجالس التّقابل [يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلْدٰانٌ] غلمان لانّهم الطف و اصفى و

اشهى من جملة الخدم [مُخَلَّدُونَ] اى غير خارجين من الجنّات فانّهم لايخرجون منها ابداً، او مخلّدون من حيث كونهم غلماناً بمعنى انّهم لايغيّرهم طول المدّة عن حالهم كأبناء الدّنيا يغيّرهم الازمان عن صفائهم و طراوتهم، او المقرّطون فانّ الخلد القرط.

[بِاَكْوٰابٍ وَ اَبٰارِيقَ] الكوب بالضّمّ كوزٌ لاعروة له او لاخرطوم له، والابريق معرّب «ءأبريز» كوزٌ له عروة و خرطوم [وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ] اى الخمر الجارية، و من معين وصف للثّلاثة، او وصفٍ للاخير، و الكأس الاناء يشرب فيه او مادام الّشراب فيه، مؤنّثة مهموزة، و الّشراب، و يجوزان يراد بها ههنا الاناء و الّشراب.

[لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهٰا] لايأخذهم من تلك الكأس الصّداع كخمر الدّنيا [وَ لاٰ يُنْزِفُونَ] نزف كعنى ذهب عقله، و نزف البئر نزح ماءه، و نزف البئر فنى ماؤه لازمٌ و متعدّ، و نزفت عبرته فنيت.

و قرئ ينزفون مبنيّاً للمفعول و مبنيّاً للفاعل [وَ فٰاكِهَةٍ] اى يطوفون عليهم بفاكهةٍ [مِمّٰا يَتَخَيَّرُونَ وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمّٰا يَشْتَهُونَ وَ حُورٌ عِينٌ] قرئ بالجرّ عطفاً اكوابٍ، و بالرّفع عطفاً على ولدانٌ، و قرئ بالنّصب مفعولاً لمحذوفٍ، و قيل: فى وجه اعرابها على القراءات الثّلاث وجوهٌ اُخر.

[كَاَمْثٰالِ اللُّؤْلُوءِ الْمَكْنُونِ جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فى دار الدّنيا [لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْوًا وَ لاٰ تَأْثِيمًا] نسبة الى الاثم كما يسمعون فى الدّنيا [اِلاّٰ قِيلاً سَلاٰمًا سَلاٰمًا] سلاماً الثّانى تأكيد للاوّل، و سلاماً الاوّل مفعولٌ لقيلاً.

[وَ اَصْحٰابُ الْيَمِينَ مٰا اَصْحٰابُ الْيَمِينِ] اى على اىّ وصفٍ اصحاب اليمين؟ [فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ] خضد الّشجر قطع شوكه.

[وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ] الطّلح شجرٌ عظام، و الطّلع، و شجر الموز، و قيل: شجر له ظلّ بارد رطبٌ، و قيل: هو شجر من احسن الاشجار منظراً، و انّما ذكر هاتين الّشجرتين لانّ العرب تعرفهما و فيهما نفعهم.

[وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ] اى غير مقطوعٍ [وَ مٰاءٍ مَسْكُوبٍ] مصبوبٍ اى دائم الجريان [وَ فٰاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ] و لشرافة جنّات الّسابقين قال هناك فاكهة ممّا يتخيّرون.

[لاٰ مَقْطُوعَةٍ وَ لاٰ مَمْنُوعَةٍ وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ] عالية، او مرفوع بعضها فوق بعض، او المراد بالفرش النّساء اى النّساء العاليات و لذلك عقّبه بقوله.

[إِنّٰا اَنْشَأْنٰاهُنَّ إِنْشٰاءً] اى انشأنا نساءهم انشاءً عجيباً اى شابّة طريّة حسناء بعد ما صرون هرمات كريهات، او انشأنا الحور العين من غير طروّ حالاتٍ عليهنّ بل انسأناهنّ بالغاتٍ طرّياتٍ.

[فَجَعَلْنٰاهُنَّ اَبْكٰارًا عُرُبًا] جمع العروب المرءة المتحبّبة الى زوجها، او العاشقه له، او المتحبّبة اليه المظهرة له ذلك، او الضّحّاكة [اَتْرٰابًا] جمع التّرب بالكسر من ولد معك.

[لِاَصْحٰابِ الْيَمِينِ] و قد فسّر اليمين بامير المؤمنين عليه السلام، و اصحاب اليمين بشيعته و ذلك لانّه اصل عالم الارواح [ثُلَّةٌ مِنَ الْاَوَّلِينَ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ] اى جماعة كثيرة من الاوّلين فى الرّتبة من اصحاب اليمين و جماعة كثيرة من المتأخّرين عن اصحاب اليمين.

فانّ اغلب من كان مبتلىً فى البرازخ يلتحق بأصحاب اليمين بعد تطهيره فى البرازخ، و كثيرٌ ممّن دخل فى الجحيم يخرج منها و يدخل فى الجّنات و يلتحق بالصحاب اليمين بخلاف الّسابقين فانّ الملتحق بهم من

المتأخّرين قليل، و بخلاف اصحاب الّشمال فانّهم لايكونون الّا من المتأخّرين فانّ الاوّلين لايلتحقون بالاخرين و لذلك لم يقل هناك ثلّة، او قليل من الاوّلين.

و قيل: ههنا ما قبل فى قوله تعالى ثلّة من الاوّلين و قليل من الاخرين [وَ اَصْحٰابُ الشِّمٰالِ مٰا اَصْحٰابُ الشِّمٰالِ فِي سَمُومٍ] حرّنارٍ يدخل فى المسامّ [وَ حَمِيمٍ] ماءٍ متناهٍ فى الحرارة.

[وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ] من دخانٍ اسود او جبلٍ اسود فى جهنّم [لاٰبٰارِدٍ و لاٰ كَرِيمٍ] يلتذّبه النّظر و قد فسّر الّشمال باعداء ءال محمّدٍ و اصحابهم اصحاب الشّمال.

[اِنَّهُم كٰانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُتْرَفِينَ] متنعّمين أترفته النّعمة اطغته او نعّمته، و أترف فلان اصرّ على البغى، و أترفه تركه يصنع ما يشاء و لايمنع من تنعّمه، و المترف الجبّار.

[وَ كٰانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ] الحنث بالكسر الاثم و الخلف فى اليمين و الميل من باطلٍ الى حقّ او عكسه [وَ كٰانُوا يَقُولُونَ اَئِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّٰا تُرٰابًا وَ عِظٰامًا اَئِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ اَوَاٰبٰاؤُنَا الْاَوَّلُونَ] قل لهم [اِنَّ الْاَوَّلِينَ وَ الْاٰخِرِينَ لَمجْمُوعُونَ اِلٰى مِيقٰاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ] يعنى قل لهم ذلك ردّاً عليهم و تهديداً لهم.

[ثُمَّ اِنَّكُمْ اَيُّهَا الضّٰالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَاٰكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ] قد مضى بيان الزّقّوم فى سورة الصّافّات [فَمٰالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشٰارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشٰارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ] الهيم بالكسر الابل العطاش جمع الهيمان و الهيمى بمعنى العطشان، او الابل الّتى بهاداءٌ يصيبها شبه الاستسقاء جمع الهيمان و الهيمى، و الهيام كسحاب الرّمل الّذى لايتمالك

كلّما صبّ عليه الماء استنقعه، و الهائم المتحيّر و الهيام كغراب حاالة كالجنون من العشق.

[هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدّ ِينِ] النّزل ما يعدّ للنّازل تشريفاً له و هو تهكّم بهم و تهديدٌ بانّ هذا نزلهم فكيف بهم فى منازلهم المقرّرة لهم؟! [نَحْنُ خَلَقْنٰاكُمْ] لاغيرنا.

[فَلَوْلٰا تُصَدِّقُونَ] بمخلوقيّتكم حتّى تصدّقوا بخالقكم، او لولا تصدّقون ببعثكم بعد اقراركم بخلقكم ابتداءً، و البعث اهون فى انظاركم من الخلق ابتداءً.

[اَفَرَأَيْتُمْ مٰاتُمْنُونَ] جواب شرطٍ مقدّرٍ و التّقدير ان لم نكن نحن خلقنا فأخبرونى عمّا تمنون [ءَاَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ اَمْ نَحْنُ الْخٰالِقُونَ] او الفاء للّسببيّة، و الهمزة على التّقديم و التّأخير و التّقدير نحن خلقنا بسبب ان يقال: اخبرونى عمّاتمنون عن جواب هذا الّسؤال الّذى هو اانتم تخلفونه ام نحن الخالقون و لاجواب لكم الّا ان تقولوا: الله هو الخالق فلولا تصدّقون يخالقيّتنا؟

[نَحْنُ قَدَّرْنٰا] قرئ بالتّخفيف و التّشديد [بَيْنَكُمُ الْمَوتْ] لاغيرنا [وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ] بمغلوبين [عَلٰى اَنْ نُبَدِّلَ اَمْثٰالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِيمٰا لٰا تَعْلَمُونَ] اى فى عالمٍ لاتعلمونه يعنى نحن شأننا و شغلنا على الاستمرار تبديل الخلق بخلقٍ ءاُخر و اخراج الخلق الاوّل من قبور الابدان و انشاؤهم فى عالمٍ ءاُخر نظير اخراج الجنين من الرّحم و انشائه فى عالمٍ لايعلمه و تبديله بجنين ءاُخر و لامانع لنا من ذلك.

[وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْاُولٰى] اى النّشأة الدّنيا و تبديلنا للنّبات بنباتٍ ءاُخر و انشاء النّبات فى نشأة الحيوان و الانسان و تبديل الحيوان و

انشائه فی عالم حیوانٍ ءاُخر او انسانٍ، و تبدیل النّطفة من صورةٍ الی صورةٍ و من مقامٍ الی مقامٍ و من حالٍ الی حالٍ و کلّما طرأ علیها من الاحوال و الصّور کان اعلی و اشرف من سابقه، و انّ الدّنیا لیست الّا کالرّحم للجنین، و انّ نقل الجنین من الرّحم الی الدّنیا لیس الّا النّقل من السّجن الی فسحة وسیعة.

[فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ] نقلکم من الدّنیا الی الاخرة و لو لاتذکّرون؟! انّ هذا النّقل ایضاً لیس الّا النّقل من السّجن الی فسحة عظیمةٍ وسیعةٍ فلو لاتذکّرون؟!

انّه کما یکون نقل الجنین الی الدّنیا استکمالاً له بکثیرٍ من الکمالات الّتی لایمکن تحصیلها له فی الرّحم کذلک یکون نقل جنین الدّنیا من رحم الدّنیا استکمالاً بکثیر من الکمالات الّتی لایمکن تحصیلها له فی الدّنیا، و لولا تذکّرون؟!

انّ عالم الاخرة نسبته الی الدّنیا مثل نسبة الدّنیا الی الرّحم بل فوق ذلك، و لقد علمتم النّشأة الاولی و کونکم فی الدّنیا و اتّصالکم بالاخرة فی النّوم الّذی هو اخو الموت و شهودکم لعالم المثال کلّ یومٍ مرّة او مرّ تین، و اطلاقکم من قبورکم الّتی یتعسّر علیکم طیّ الزّمان و المکان معها وطیّکم للزّمان و شهود ما یأتی وطیّکم للمکان و شهود الوقائع الواقعة فی الامکنة البعیدة فلولا تذکّرون؟!

انّ الموت ان لم یکن اشدّ من النّوم فی ذلك لم یکن انقص منه فتشتاقوا الی هذا الاطلاق، و طیّ الزّمان و المکان و شهود ما یؤتی و شهود مالم یکن فی مکانك و بلدتك.

عن السّجّاد علیه السلام العجب کلّ العجب لمن انکر النّشأة الاخری و هو یری

النّشأة الاولى.

[اَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ءَاَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ اَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ] اى ءانتم تنبتونه و تبلّغونه الى مقام بلوغ الحبّ و الحصادام نحن فاعلون ذلك؟

لستم تقولون انّ الانبات و التّبليغ الى الحصاد فعل البشر فانّه [لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطامًا] هشيماً يليق للنّار [فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ] فكّههم بملح الكلام اظرفهم بها فالمعنى تتحدّثون بالاحاديث المليحة على سبيل التّهكّم او ظلتم تتحدّثون و تنقلون بينكم الاحاديث و الاسمار فى ذلك.

[اِنّا لَمُغْرَمُونَ] من الغرام بمعنى الّشرّ الدّائم و الهلاك و العذاب و الولوع [بَلْ نَحْنُ] قوم [مَحْرُومُونَ] عن الارزاق [اَفَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ءَاَنْتُمْ اَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ اَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ] لاتقدرون ان تقولوا انزله البشر فانّا [لَوْنَشاءُ جَعَلْناهُ اُجاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ] بتعظيم المنعم بهذه النّعم بامتثال اوامره و نواهيه [اَفَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ ءَاَنْتُمْ اَنْشأْتُمْ شَجَرَتَها] اى الّشجرة الّتى تأخذون منها الزّند و الزّندة و هما تؤخذان من الّشجر الاخضر فيحكّ الزّند بالزّندة فتنقدح النّار.

[اَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ نَحْنُ جَعَلْناها] اى النّار او الّشجرة [تَذْكِرَةً] لتصرّف الحقّ تعالى و جعل كلّ شىءٍ من سنخه كالنّار، او تذكرةً لقدرة الحقّ و عنايته بخلقه حيث اخرج من الّشجر الاخضر ناراً تنتفعون بها فى كثيرٍ من معايشكم [وَ مَتاعًا] و ما يتمتّع به [لِلْمُقْوِينَ] اقوى استغنى و افتقروبات على القىّ بالكسر اى القفر من الارض و كذلك القواء بالكسر و المدّ و القواية بالفتح؛ و اقوى نزل فيه، اذا كان ربّك يفعل هذه و ينعم بهذه.

[فَسَبِّحْ] انت و لاتكترث بردّهم [بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ] الباء لّلسببيّة

اى سبّح الله بسبب اسم ربّك يعنى بسبب بشريّة علىٍّ عليه السلام او بسبب مقام نوارنيّته فانّ الكلّ اسم الله، او سبّح اسم ربّك فيكون الباء صلة سبّح.

[فَلٰا اُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ] لازائدة او نافية ردّ لماقالوه فى القران من انّه سحر او شعر او اساطير الاوّلين، او نافية و نفى للقسم و المعنى لااقسم فيما أدّعيه من انّه قرءاٰنٌ كريمٌ بوضوحه و عدم احتياجه الى القسم، و مواقع النّجوم مغاربها، او مطالعها، او انتشارها يوم القيامة، او الانواء الّتى كانوا فى الجاهليّة يقولون: اُمطرنا بنوءٍ كذا و هو سقوط كوكبٍ وقت طلوع الفجر و طلوع ءاٰخر مقابله، او رجومها لّلشياطين سبحانه: فلا اقسم بها، او المراد بمواقع النّجوم مواقع نزول القرءاٰن فانّه نزل نجوماً.

[وَ اِنَّهُ قَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيمٌ اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ كَريمٌ] اى انّ المتلوّ عليك او الموحى اليك او قرءاٰن ولاية علىٍّ عليه السلام قرءاٰن كريم عزيز خطير [في كِتٰابٍ مَكْنُونٍ] هو كتاب العقول الّذى هو الامام المبين، او كتاب النّفوس الكلّيّة الّذى هو الكتاب المحفوظ. فانّ القرءاٰن نزل من مقام جمع الجمع الّذى هو المشيّة الى مقام الجمع الّذى هو مقام العقول الطّوليّة و العرضيّة، و الى مقام النّفوس الكلّيّة و ثبت فى تلك المقامات اوّلاً ثمّ منها الى صدر النّبىّ صلى الله عليه وآله ثمّ منه الى حسّه المشترك، ثمّ منه الى الخارج بصورة الالفاظ و الحروف، او بصورة الكتابة و النّقوش و هو فى كلّ تلك المقامات قرءاٰنٌ جامعٌ بين الوحدة و الكثرة و احكام القلب و القالب و العلم و العمل.

[لٰا يَمَسُّهُ اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ] خبرٌ و باقٍ على خبريّته فانّ القرءاٰن الّذى هو فى كتابٍ مكنونٍ لايصل الى حريم قدسه الّا الّذى تطهّر من الواث المعاصى و المحرّمات، وادناس التّوجّه الى الكثرات و الانانيّات، و ارجاس الحدود و التّعيّنات، و لكن لمّا كان التّكليف مطابقاً للتّكوين و الظّاهر موافقاً

للباطن كان التّكليف بحسب المقام البشرىّ ان لايمسّ قالب الانسان قالب القرءاٰن و ظاهره كما ورد فى الاخبار وافتى به العلماء و قالوا: انّ الخبر ههنا فى معنى النّهى اى الاّ المطهّر من الاحداث و الاخباث، و لذلك نهوا عن مسّ خيطه و علاقته و جلده و قرطاسه بدون الطّهارة و استشهدوا بهذه الاية.

و روى انّه لمّا استخلف عمر سأل علياً عليه السلام ان يدفع اليهم القرءاٰن فقال: يا اباالحسن ان حيث بالقرءاٰن الّذى جئت به الى ابى بكرٍ حتّى نجتمع عليه، فقال: هيهات ليس الى ذلك سبيلٌ انّما جئت به الى ابىبكرٍ لتقوم الحجّة عليكم و لاتقولوا يوم القيامة: انّا كنّا عن هذا غافلين او تقولوا: ماجئتنا به فانّ القرءاٰن الّذى عندى لايمسّه الاّ المطهّرون و الاوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقتٌ لاظهاره معلوم؟ـ قال علىّ: نعم، اذا قام القائم من ولدى يظهره و يحمل النّاس عليه فتجرى الّسنّة به.

[تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ] تشريفٌ ءاٰخر له [اَفَبِهٰذَا الْحَدِيثِ] اى القرءاٰن الّذى هو بهذا الوصف او قرءاٰن ولاية علىّ عليه السلام او حديث انّه كريم لايمسّه الاّ المطّهرون او حديث انحصار الخلق و الزّرع و انزال الماء و انشاء شجرة النّار فى الله تعالى.

[اَنْتُمْ مُدْهِنُونَ] دهن نافق، و داهن و ادهن اظهر خلاف ما فى قلبه [وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ]اى تجعلون رزقكم الانسانىّ الّذى هوالحظّ من القرءاٰن و استمداد الحيوة الانسانيّة منه فانّ القرءاٰن رزق الانسان بعلومه و اخلاقه انّكم تكذّبون به، او بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله او بالله، او تجعلون تكذيبكم شبيه رزقكم الّذى لاانفكاك لكم عنه، او تجعلون القرءاٰن الّذى رزقكم الله، او سائر ارزاقكم الّتى رزقكم الله بها على صفة انّكم تكذّبون منعمها و رازقها، او تجعلون شكر رزقكم انّكم تكذّبون كما نقل انّه اصاب

النّاس عطش شديد فى بعض اسفار محمّدٍ ﷺ فدعا ﷺ فسقوا، فسمع رجلاً يقول أُمطرنا بنوء كذا فنزلت الاية.

و روى عن اميرالمؤمنين ؑ انّه قرأ الواقعة فقال تجعلون شكركم انّكم تكذّبون، فلمّا انصرف قال: انّى قد عرفت انّه سيقول قائلٌ لم قرء هكذا، قرأتها انّى قد سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها كذلك و كانوا اذا امطروا قالوا امطرنا بنوء كذا و كذا فأنزل الله و تجعلون شكركم انّكم تكذّبون.

[فَلَوْلٰا اِذٰا بَلَغَتِ] الانفاس او الارواح [الْحُلْقُومَ وَ اَنْتُمْ] يامن بلغت ارواحكم الحلقوم او يا اهل المحتضرين [حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ] اى احوالكم و خروج ارواحكم او تنظرون حال المحتضرين و خروج ارواحهم و لايمكنكم علاجهم وردّ ارواحهم.

[وَ نَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ] اى الى المحتضر [مِنْكُمْ] و وجه كونه اقرب النّاس قربهم له قرب مكانيّ مشتمل على البينونة و الفرقة و الغيبة بخلاف قربه تعالى فانّ قربه تعالى من الاشياء قرب تقويميّ قرب الفصول للانواع و هذا القرب لايكون لشيءٍ من الاشياء الى شيءٍ من الاشياء الّا للمقوّم بالنّسبة الى المتقوّم فانّ المقوّم اقرب الى المتقوّم منه الى نفسه و لذلك كان تعالى اقرب الى الاشياء من انفسهم.

[وَ لٰكِنْ لٰا تُبْصِرُونَ] اى لاتبصروننا او لاتبصرون قربنا [فَلَوْلٰا اِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ] اى غير مجزّيين او غير محاسبين او غير مملوكين فانّ الدّين بمعنى الجزاء و الّذلّ و الدّاء و الحساب و القهر و الغلبة و الاستعلاء والّسلطان و الحكم و الاكراه و الملك، و الكلّ مناسبٌ ههنا.

[تَرْجِعُونَهٰا] اى الرّوح [اِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] فى تكذيبكم فانّه لاثواب و لاعقاب و لاجزاء و لااله.

[فَاَمّا اِنْ كانَ] المتوفّى [مِنَ الْمُقَرَّبينَ] اى الّسابقين [فَرَوْحٌ] قرئ بضمّ الرّاء اى فله روحٌ او فمنه روحٌ فانّ الّسابق مالكٌ للكلّ، او فهو روحٌ فانّ الكلّ له و منه و هو قوامه، و الرّوح بالضّمّ ما به حيوة الانفس و يؤنّث، والقرءاٰن و الوحى و جبرئيل و ملك اعظم من جبرائيل و ميكائيل، او امر النّبوّة و حكم الله، و بالفتح الرّاحة و الرّحمة و نسيم الرّيح.

[وَ رَيْحانٌ] الرّيحان نبت معروفٌ، او كلّ نبت طيّب الرّائحة و الرّزق [وَ جَنَّةُ نَعيمٍ] كأنّه تعالى اشار بالرّوح و الرّيحان الى المراتب العالية من الجنان، و بجنّة النّعيم الى المراتب الدّانية، او المراد بجنّة النّعيم معنىً يشمل جميع مراتب الجنّات على تعميم النّعيم للنّعيم الصّورىّ و المعنوىّ، او المعنىّ فروحٌ و ريحانٌ فى البرازخ و جنّة نعيم فى الاخرة كما فى الخبر.

[وَ اَمّا اِنْ كانَ مِنْ اَصْحابِ الْيَمينِ] قد مضى تفسير اليمين بعلىٍّ عليه السلام و تفسير اصحابه بشيعته الّذين باعوا البيعة الخاصّة الولويّة على يده، و قد مضى ايضاً مكرّراً انّ اليمين عالم الارواح، و اصحاب اليمين هم الّذين تمكّنوا فى التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة، و لايحصل التّوجّه او الاتّصال بعالم الارواح الطّيّبة الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة.

[فَسَلامٌ لَكَ] يا محمّد صلّى الله عليه و آله [مِنْ اَصْحابِ الْيَمينِ] يعنى انّهم يكونون فى الجّنات مجاورين لك بحسب مراتبك الدّانية و يسلّمون عليك سلام التّحيّة او سلامة لك منهم بمعنى انّهم بمنزلة اجزائك و لهم الّسلامة من ءاٰفات الاخرة و سلامتهم سلامتك او سلام لك يا من هو من اصحاب اليمين يعنى لايكون بعضهم شرّاً لبعض، او يحيّى بعضهم بعضاً بتحيّة الّسلام، او يامن يتأتّى منه الخطاب فانّ اصحاب اليمين سلامة على الكلّ و

يحيّون الكلّ.

[وَ اَمّاٰ اِنْ كاٰنَ مِنَ الْمُكَذِّبينَ الضّاٰلّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَميمٍ] الماء الحارّ البالغ فى الحرارة اى لهم ذلك معدّاً لهم كما يعدّ للنّازل تشريفاً له [وَ تَصْلِيَةُ جَحيمٍ] و ادخال النّار.

[اِنَّ هٰذٰا] المذكور من الاصناف الثّلاثة و جزاءهم [لَهُوَ حَقُّ الْيَقينِ].

اعلم، انّ الّشىء المتيقّن له ثلاث احوال: فانّ المدرك المتيقّن امّا متيقّن فى مقام العلم، او فى مقام الّشهود بمعنى انّ المدرك كان مشهوداً له ببصره او بصيرته، او فى مقام التّحقّق بمعنى انّ المدرك كان متحقّقاً بالمدرك و صار ذاته مثاله المتيقّن بالنّار بادراك الدّخان الّذى هو من ءاثارها او بشهودها، او بصيرورته عين النّار، و الاوّل هو علم اليقين، و الثّانى عين اليقين، و الثّالث حقّ اليقين، و الاضافة من قبيل اضافة الّسبب الى المسبّب، او المسبّب الى الّسبب، و المعنى انّ هذا لهو متحقّق و واقع و مورث باثاره لليقين او حاصل من اليقين به.

[فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظيمِ] قد مضى هذه الاية قبيل هذا.

۵۷ سُورَة الحديد

مدنيّة كلّها، تسع و عشرون ءاٰيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] قد مضى فى سورة بنى اسرائيل بيان تسبيح الاشياء عند قوله: و ان من شىءٍ الّا يسبّح بحمده، و مضى مكرّراً انّ المقصود من التّسبيح من ايّ شىءٍ كان هو تنزيه لطيفته الالهيّة و وجهته الرّبّانيّة من نقائص المادّة و حدودها.

فانّ كلّ موجودٍ ممّاله قوّة و استعداد بفطرة ذاته يخرج من القوّة الى الفعليّة، و من النّقص الى الكمال، و من الحدود الى الاطلاق بالاضافة الى مراتبه النّاقصة، و هذا الخروج هو تسبيحه الفعلىّ و لمّا كان تلك الوجهة الالهيّة بوجه ربّه وبوجه اسم ربّه و بوجه مظهر الله و بوجه شيئيّة ذلك الّشىء و ذاته كان المقصود من التّسبيح سواء علّق على الله او على الرّبّ او على اسم الرّبّ هو تنزيه تلك اللّطيفة.

و الّلام فى الله زائدة للتّقوية، و الله مفعول به لسبّح او للتّعليل، و مفعوله محذوف، و لفظ سبّح مأخوذ من سبحان الله بطريق المشتقّات الجعليّة اى قال سبحان الله، او هو من التّسبيح بمعنى نزّه الله، و الاختلاف بالمضىّ و المضارعة فى تلك الّسور للاشعار بانّ التّسبيح فطرىّ للاشياء غير مقيّدٍ بزمانٍ دون زمانٍ و لتجديد نشاط الّسامع و التّفنّن فى العبارة، و الاتيان بالمصدر فى بنى اسرائيل للاشعار بانّه تعالى منزّه فى ذاته سبّحه مسبّحٌ ام لم يسبّحه.

[وَ هُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى غلبته تقتضى تسبيح كلّ شىءٍ فانّ الغالب يتوجّه كلّ شىءٍ اليه و يعظّمه و ينزّهه من كلّ نقصٍ.

[الْحَكِيمُ] الّذی اتقن صنع کلّ شیءٍ بحيث لايوجد شیءٌ الّا و هو مسبّح له و لاتقان صنعه لايشعر احدٌ بتسبيح شیءٍ من الاشياء و لو اشعر هلك او جنّ ما لم ينفتح سمعه الملكوتیّ.

[لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] وجه ءاُخر لتسبيح كلّ شیءٍ له [يُحْيِی] على الاستمرار فی كلّ ءانٍ جمعاً بنفخ الحيوة الحيوانيّة فی الاجنّة.

[وَ يُمِيتُ] على الاستمرار جمعاً من الحيوة الحيوانيّة، او يحيى على الاستمرار نفوساً بالحيوة الانسانيّة بنفخ النّفخة الولويّة فيهم و يميت نفوساً عن الحيوة الانسانيّة، او يحيى بالحيوة البرزخيّة و يميت عن الحيوة الحيوانيّة.

او يحيى الاراضی بالنّبات، و النّبات بالماء و النّضارة و الطّراوة و الحيوان بالحيوة الحيوانيّة، و الانسان بالحيوة الانسانيّة، و يميت كلّ ذلك بالموت المناسب له، او يحيى كلّ شیءٍ باخراجه من القوی و الاستعدادات على الاستمرار و يميت ذلك الّشیء عن الفعليّات النّاقصة، و هذا اوفق بتسبيح الاشياء كأنّه قال: سبّح لله ما فی الّسموات و ما فی الارض بالخروج من القوی الی الفعليّات، و المخرج هو الله لانّه يحيى بالفعليّات و يميت عن النّقائص.

[وَ هُوَ عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ] من الامامة و الاحياء و غير ذلك [قَدِيرٌ هُوَ الْاَوَّلُ وَ الْاٰخِرُ] ای هو الاوّل فی تركيب الموجودات و هو الاخر فی تحليلها نظير الوحدة فی الاعداد.

و للاشارة الی هذا ورد: يا من لك وحدانيّة العدد، فانّ مراتب الاعداد كلّها تركيبها من الوحدة لاغير، و تحليلها الی الوحدة لاغير، و بهذا اللّحاظ قال تعالی [وَ الظّاٰهِرُ وَ الْبٰاطِنُ] فانّ مراتب الاعداد ظواهرها و بواطنها

ليست الّا الوحدة و ما به التّميّزبين المراتب ليس الّا اعتباريّاً عدميّاً، او المعنى هو الاوّل بلحاظ المراتب و اعتبار حيثيّة العلّيّة و المعلوليّة فانّه تعالى بهذا اللّحاظ اوّل العلل الفاعليّة و ءاُخر العلل الغائيّة لانّه مسبّب الاسباب و علّة العلل و غاية الغايات و نهاية النّهايات، او المعنى هو الاوّل فى الادراك.

فانّ الظّاهر على المدارك اوّلاً هو الوجود الّذى حقيقته الحقّ الاوّل تعالى و الاخر فى الادراك بمعنى انّ المدرك كلّما ميّز مدركاته بعض اجزائها من بعضٍ لم يجد المدرك فى الحقيقة الّا الاوّل تعالى شأنه فكان ءاُخر المدركات هو الاوّل تعالى و بهذا المعنى قال تعالى و الّظاهر و الباطن يعنى انّ المدرك من الاشياء اوّلاً هو الاوّل تعالى لانّه الظّاهر من كلّ الاشياء، و المدرك من الاشياء ءاُخراً هو ايضاً لانّه الباطن من كلّ شىءٍ، والباطن المختفى من الادراك المدرك بالتّعمّل من الاشياء.

او هو اشارة الى ما يقوله الصّوفيّة من مقام التّوحيد الّذى يظهر لبعض الّسالكين بطريق الحال، و لبعضٍ بنحو المقام، و لايجوز التّفوّه به لاحدٍ ما لم يصر ذلك التّوحيد حالاً او مقاماً له، و اذا صار حالاً للّسالك لايجوز التّفوّه به له حين زواله، و اذا لم يكن ذلك التّوحيد حاله او مقامه فتفوّه به كان مباح الدّم و هو ان يتجلّى الله للّسالك باسم الواحد او الاحد فلايرى فى الوجود الّا الواحد او الاحد فلايرى اوّلاً و لاءاُخراً و لاعلّةً و لامعلولاً و لاظاهراً و لاباطناً و لاصاعداً و لانازلاً و لامدركاً و لامدركاً بل يرى كلّ ذلك اعتباراتٍ من النّفوس المحجوبة عدميّاتٍ لاحقّيّة و لاحقيقة لها فيكون المعنى هو الاوّل من غير اعتبار اوّليّةٍ له.

و هو الاخر من غير اعتبار ءاُخريّةٍ له، و هو الظّاهر و الباطن كذلك

يعنى ليس شىءٌ و شىءٌ و لااعتبار و اعتبار فى دار الوجود، و الى هذا المقام كانت الاشارة فى هذا الّشعر:

حـــلول و اتـحاد ايـنجا مـحال استكه در وحدت دويى عين ضلال است

و كلّما ذكروا نثراً و نظماً من هذه المقولة كان اشارة الى هذا المقام او ناشئاً منه، و الى عدم جواز التّفوّه بهذا الوحدة و عدم جواز اعتبارها لغير من كانت حاله او مقامه قيل:

ءالا تا با خودى زنهار زنهار عبارات شريعت را نگـهدار

[وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ] بمنزلة قوله تعالى: و هو بكلّ شىءٍ محيط فانّ علمه عين ذاته و لاحاطته بكلّ الاشياء كان اوّلاً و ءاخراً و ظاهراً و باطناً من الجميع.

[هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضَ] هذه الجمل كلّها مستأنفة واجوبة لاسئلةٍ مقدّرة اذا لم تكن مع العاطف او حاليّة [في سِتَّةِ اَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى هذه الاية مع بيانها فى سورة الاعراف [يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ وَ مٰا يَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا يَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا يَعْرُجُ فيهٰا] قد مضى الاية ببيانها فى اوّل سورة الّسبا.

[وَ هُوَ مَعَكُمْ اَيْنَما كُنْتُمْ] معيّةً قيّوميّةً لازمةً لرحمته الرّحمانيّة فانّه تعالى بوجوه الفعلىّ كلّ الاشياء و قوامها و فعليّتها و اوّلها و ءاخرها و ظاهرها و باطنها و هو تهديدٌ و ترغيبٌ.

[وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ] تتميمٌ للتّهديد و التّرغيب [لَهُ مُلْكُ السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضِ] تأكيدٌ فى مقام المدح فانّ التأكيد و التّكرير مطلوبٌ فى مقام المدح و الرّضا، و فى مقام الّذمّ و الغضب، و الاوّل فى مقام التّعليل لتسبيح الاشياء و الثّانى فى مقام التّعليل لاحاطة علمه بالاشياء و تتميمٌ لتهديده و ترغيبه.

[وَ اِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهٰارِ وَ يُولِجُ النَّهٰارَ فِى اللَّيْلِ] قد مضى الاية فى سورة ءال عمران [وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] من النّيّات و الخطرات و الخيالات و الحالات و السّجيات، او من القوى و الاستعدادات الّتى لاخبر لصاحبى الصّدور عنها.

[اٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ] بمنزلة النّتيجة للّسابق كأنّه قال: اذا علمتم ذلك فلا عذر لكم فى الانصراف عن الله و عن رسوله ﷺ، او عذر لكم فى الانصراف عن الله و رسوله ﷺ فى الخروج عن قولهما فى ولاية علىٍّ عليه السلام فامنوا بالله و صدّقوه فيما قاله لكم من مطلق الاوامر و النّواهى، او فيما قاله لكم من ولاية علىٍّ عليه السلام و امنوا برسوله ﷺ بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة، او صدّقوه فيما قاله لكم من الاحكام او من ولاية علىٍّ عليه السلام.

و لمّا كان الخطاب من الله تعالى عامّاً للموجودين المسلمين و غير المسلمين و المعدومين فكان لفظ ءامنوا ايضاً عامّاً و شاملاً للاذعان و التّصديق و البيعة الاسلاميّة العامّة و البيعة الايمانيّة الخاصّة كأنّه قال: ايّها الكفّار و المستعدّون للاسلام من الموجودين و المعدومين امنوا بالله و رسوله ﷺ بالبيعة العامّة على يد رسوله ﷺ.

و ايّها المسلمون اذعنوا و صدّقوا الله و رسوله ﷺ فيما قال الرّسول ﷺ لكم من مطلق الاحكام او ولاية علىٍّ عليه السلام و ءامنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة بالله و رسوله ﷺ على يد رسوله ﷺ او على يد خليفته، و قد مضى فى اوّل البقرة معانى الايمان.

[وَ أَنْفِقُوا مِمّٰا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ] من الاموال الدّنيويّة و الاعراض و الحشمة و الاعضاء و القوى و من نسبة الافعال و الاوصاف الى انفسكم و من انانيّاتكم و للاشعار بانّ مالكم من جميع ذلك انّما هو عارية

لكم و شأن العارية ان يستردّ حتّى يسهل عليكم انفاقه قال مستخلفين.

[فَالَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او البيعة الخاصّة [مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِيرٌ] وعد الاجر الكبير للاشعار بانّ المنظور من الايمان البيعة الخاصّة الولويّة فانّ الاجر الكبير ليس الّا على الولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة.

[وَ مٰالَكُمْ لٰا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ] لاتذعنون او لاتسلمون بالبيعة العامّة النّبويّة او لاتؤمنون بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ] المطلق الّذى هو ربّ الارباب، او بربّكم فى الولاية و هو علىٌّ عليه السلام.

[وَ قَدْ اَخَذَ]الله [مِيثٰاقَكُمْ] فى عالم الّذرّ بالايمان بالله او بالبيعة مع محمّدٍ صلى الله عليه وآله او بالبيعة مع علىٍّ عليه السلام و قد اخذ الرّسول صلى الله عليه وآله ميثاقكم بعدم التّخلّف عن قوله فى البيعة العامّة، و قرئَ بالبناء للمفعول.

[اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] اى مصدّقين مذعنين او بائعين البيعة العامّة الاسلاميّة و جوابه محذوفٌ بقرينة الّسابق اى ان كنتم مؤمنين فما لكم لاتؤمنون بعلىٍّ عليه السلام بالبيعة الخاصّة الولويّة و قد اخذ الرّسول صلى الله عليه وآله ميثاقكم على عدم التّخلّف عن قوله.

[هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلٰى عَبْدِهِ] الّذى هو الرّسول صلى الله عليه وآله الدّاعى لكم الى الايمان بعلىٍّ عليه السلام [اٰيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ] من الايات القرءانيّة و المعجزات النّبويّة.

[لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ اِلَى النُّورِ] اى من ظلمات المادّة و الّشبهات و الّشكوك و الاهوية و التّعلقّات الى نور التّجرّد و اليقين و الاطلاق من الاهوية و التّعلّقات.

[وَ اِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ وَ مٰالَكُمْ اَلاّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] حالكونكم فى سبيل الله الّذى هو الجهاد، او سبيل الحجّ او سبيل الهجرة الى

الرّسول ﷺ اوالى الامام، او حالكونكم فى طريق القلب و الّسلوك اليه و الى الله، او مالكم ان لاتنفقوا فى تحصيل سبيل الله و هو الولاية و طريق القلب، او مالكم لاتنفقون فى تعظيم سبيل الله و هو كلّ خيرٍ من العبادات و الجهاد و الحجّ، او هو الرّسالة، او الولاية.

[وِ لِلّٰهِ مِيراٰثُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْاَرْضِ] جملة حاليّة فى موضع التّعليل، و اضافة الميراث امّا بيانيّة او بتقدير فى او بتقدير الّلام فانّ سماوات الارواح و ما فيها و اراضى الاشباح و ما فيها ميراث مقام المشيّة يرثها الانسان الكامل و العقول من المشيّة، و يرثها ما بعد العقول من العقول، و ما بعد النّفوس من النّفوس، و ما بعد عالم المثال من عالم المثال، و الكلّ من الله تعالى، و المواليد المكوّنة ميراث و متخلّف من الكمّلين من بعضٍ لبعضٍ، و الاموال العرضيّة الدّنيويّة ميراث من بنى ءادم من بعضٍ الى بعضٍ فما بال ما كان لله لاتنفقون منها بأمره تعالى.

[لاٰ يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ] و من انفق من بعد الفتح و قاتل فحذف القرين بقرينة مايأتى.

الانفاق قبل الفتح

اعلمّ ان، الفتح يطلق على النّصر و الظّفر، و على اعطاء الله الغنائم الدّنيويّة او الاخرويّة الّذى هو لازم الظّفر و فتح البلاد و فتح باب القلب و على فتح البلاد و على فتح باب القلب.

و المخاطبون كانوا مسلمين مقصوراًهمهم اكثرهم على الظّفر على الاعداء و فتح البلاد و جمع الغنائم الدّنيويّة، و مؤمنين مقصوراًهمهم اكثرهم على فتح باب القلب و جمع الغنائم الاخرويّة، و ءايات القران منزّلة على

مراتب حالات النّاس بكثرتها وسعتها.

و اختلاف التّفاسير الواردة من المعصومين عليهم السلام باعتبار اختلاف احوال النّاس، وسعة وجوه القرءان بحسب سعة احوال النّاس فصحّ ان يقال: لايستوى منكم من أنفق من قبل النّصر و الظّفر، او من قبل الغنائم الدّنيويّة او لاخرويّة.

او من قبل فتح البلاد للمسلمين او من قبل فتح مكّة و ان يقال: لايستوى منكم من أنفق من قبل فتح باب القلب الى الملكوت و من أنفق بعد قوّة المسلمين و غلبتهم، و حين كثرة الغنائم و قوّة رجاء تعاقبها و تعاقب فتح البلاد، و حين انفتاح باب القلب و شهود ما لاعينٌ رأت و لااذنٌ سمعت، فانّ الانفاق و المقاتلة قبل ذلك لايكونان الّا عن قوّة اليقين و ثبات القلب و قوّة الّشجاعة و الّسخاوة.

و امّا بعد الحضور فلايبقى عدوٌّ و قوىّ حتّى يكون المقاتلة صعباً و لايبقى ميلٌ و محبّة الى ماله من الاموال و القوى و الانانيّات لوجدان العوض الاشرف الاعلى الابهى حتّى يكون الانفاق صعباً. فالمنفق و المقاتل حين ضعف المسلمين كان اعظم درجة لكونه اقوى يقيناً و المنفق و المقاتل فى الغياب البتّة اعظم اجراً من المنفق و المقاتل فى الحضور.

و قيل: لايستوى منكم من أنفق من قبل فتح الرّسول صلى الله عليه وآله بسبب المعراج فانّه صلى الله عليه وآله بعد المعراج كان اقوى تأثيراً، و من أنفق قبل المعراج كان كالّتى يكاد زيتها يضيىء و لولم تمسسه نارٌ، و نعم ما قال المولوىّ رضي الله عنه فى بيان هذه الاية:

يؤمنون بالغيب مى‌بايد مرا	زان ببستم روزن فانى سرا
ليك يك درصد بود ايمان بغيب	نيك دان و بگذر از ترديد و ريب

بندگی در غیب آید خوب و کش   حفظ غیب آید در استبعاد خوش
قلعه داری کز کنار مملکت   دور از سلطان و سایه سلطنت
پاس دارد قلعه را از دشمنان   قلعه نفروشد بمال بی کران
نزد شه بهتر بود از دیگران   که بخدمت حاضرند و جان فشان
پس بهغیبت نیم ذرّه حفظ کار   به که اندر حاضری زان صد هزار

[اُولٰئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قٰاتَلُوا وَ كُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى] المثوبة الحسنى او العاقبة الحسنى.

[وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ] فلا حاجة لكم فى اعمالكم الى الحضور [مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضٰاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ اَجْرٌ كَريمٌ] يعنى فيردّه اليه مضاعفاً و كان له اجرٌ كريمٌ لاامتنان فيه و لاقصور و لازوال، و قد مضى الاية ببيانها فى اواخر البقرة.

عن الكاظم عليه السلام:نزلت فى صلة الامام، و فى روايةٍ: فى دولة الفّساق.

[يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنينَ] ظرف ليضاعفه او للخبر فى قوله تعالى له اجر كريم او لكريم، او ظرف ليقال المقدّر عند قوله تعالى بشريكم اليوم او ظرف ليسعى و المعنى كلّماترى المؤمنين.

[وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْديهِمْ وَ بِاَيْمٰانِهِمْ] يعنى انّك فتحت بصيرتك فيومترى المؤمنين تريهم يسعى نورهم بين ايديهم و المراد بهذا النّور هو الكيفيّة الدّاخلة فى قلب البائع البيعة الخاصّة الولويّة بقبول الولاية و هو فعليّته الاخيرة.

و لذلك يصير ابناً لمن باع معه و قد يرى فى الواقعة بصورة من باع على يده، و قد يرى بصورة ولده من صلبه و تلك الكيفيّة ليست كيفيّة عرضيّة بل هى صورة جوهريّة نازلة من وليّ امره داخلة فى قلبه و قوله

تعالى: و لمّا يدخل الايمان فى قلوبكم اشارة الى تلك الصّورة.

و تلك الصّورة لاترى بالابصار الحسّيّة، وترى بالبصيرة فى الدّنيا و الاخرة، و فى البرازخ و الاخرة يخلّص تلك الصّورة من غواشى المادّة و يخلّص البصيرة لكلّ احدٍ من حجاب البصر فيشهدها كلّ احد و يشهدها صاحب النّور ايضاً فيرى تلك الكيفيّة بصورة امامه يسعى بين يديه، و اختيار بين الايدى و الايمان.

لانّ تلك الصّورة نورانيّة يستنبر منها كلّها تظهر عليه، و خلف المؤمن الدّنيا الظّلمانيّة، و شماله الملكوت السّفلى الّتى هى اظلم و لامناسبة للنّورانىّ مع الظّلمانىّ، و قدّامه عالم الغيب الّذى هو نور محض، و يمينه عالم الارواح الطّيّبة الّذى هو ايضاً نورانىٌّ.

و قد يظهر ذلك النّور على السّالك اذا اشتدّ محبّته و استقام فى سلوكه و مال بالموت الاختيارىّ، و هذا هو الّذى يقوله الصّوفيّة من انّه ينبغى للسّالك ان يكون اهتمامه فى سلوكه بحصول حال الحضور، و هذا هو معرفة علىٍّ عليه السلام بالنّورانيّة الّتى هى معرفة الله، و هذا هو المسمّى بالحضور و السّكينة و الفكر، و هذا هو ذكر الله الحقيقىّ.

[بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ] اى تقول او يقول الملائكة او يقال بشريكم اليوم [جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا] قد مضى فى ءاٰخر ءاٰل عمران بيان جريان الانهار من تحت الجنّات.

[ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ] بدل من يوم ترى المؤمنين او من اليوم.

[وَ الْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا انْظُرُونٰا] انظروا الينا او انتظروا لنا [نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ] و لمّا لم يكن بين المؤمنين و نورهم و بين المنافقين

مناسبة.

[قِيلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ] كما كنتم فى الدّنيا راجعين الى ورائكم [فَالْتَمِسُوا نُورًا] قبل ذلك لهم استهزاءً [فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ] حائطٍ [لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ] اى باطن الباب او باطن الّسور.

[فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذٰابُ] فانّ الّسور هو الحجاب الحاجزبين الملكوت الّسفلى و الملكوت العليا، و باطنه الى الملكوت العليا و فيها الرّحمة و الرّضوان، و ظاهره الى الملكوت الّسفلى و فيها الجحيم و نيرءانها و انواع عذابها.

[يُنٰادُونَهُمْ] اى ينادى المنافقون و المنافقات الّذين ءامنوا [أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] فى الانسانيّة، او فى الاسلام و البيعة العامّة، او فى الايمان و البيعة الخاصّة.

[قٰالُوا بَلٰى] كنتم معنا فى ظاهر الاسلام و فى ظاهر الايمان [وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ] الفتنة اعجابك بالّشىء و اذاية الّذهب و الفضّة و الاضلال و الايقاع فى الفتنة.

[اَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ] بمحمّدٍ ﷺ او بالمؤمنين الدّوائر [وَارْتَبْتُمْ] فى دينكم و ما كنتم فيه معنا [وَ غَرَّتْكُمُ الْاَمٰانِيُّ] عن طلب الاخرة و العمل لها.

[حَتّٰى جٰاءَ اَمْرُ اللهِ] بقبض ارواحكم [وَ غَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ] اى الّشيطان حيث قال انّ الله كريم و زمان التّوبة وسيع [فَالْيَوْمَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ] لو كان لكم الفدية و لافداء لكم.

[وَ لاٰ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] ظاهراً و باطناً [مَأْوٰيكُمُ النّٰارُ هِيَ مَوْلٰيكُمْ] الّذى يلى امركم فانّها ملكتكم و لاتصرّف لغيرها فيكم [وَ بِئْسَ

الْمَصِيرُ] النّار [اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ] لمّا ذكر حال المنافقين و نور المؤمنين و كان النّفاق ينشأ من الوقوف على مرتبةٍ و الرّضا بالمقام فيها استبطأَ حركة المؤمنين الى مقاماتهم العالية بنحو يكون تحذيراً من المقام على مراتبهم الحاصلة فانّ الاستفهام هنا للتّوبيخ و الانكار.

و قد مضى فى سورة البقرة بيان معنى الخشوع و الفرق بينه و بين الخضوع و التّواضع عند قوله تعالى: و انّها الكبيرة الّا على الخاشعين، و المراد بذكر الله هو الّذكر المأخوذ من صاحب الّذكر، او تذكّر الله و تذكّر عظمته، او صاحب الّذكر الّذى هو علىّ عليه السلام ببشريّته، او هو صاحب الّذكر بمقام نورانيّته.

[وَ مٰانَزَلَ مِنَ الْحَقِّ] من ءاٰيات القرءاٰن، او احكام الرّسالة، او قرءاٰن ولاية علىٍّ عليه السلام، او الواردات الافاقيّة، او الانفسيّة.

[وَ لاٰ يَكُونُوا] قرئ بالغيبة و يكون نفياً و عطفاً على تخشع او نهياً و عطفاً على الم يأن باعتبار المعنى كأنّه قال: لايقف المؤمنون على مقامهم و لايكونوا.

و قرئ بالخطاب نفياً و عطفاً على تخشع و يكون التفاتاً من الغيبة و نهياً و عطفاً باعتبار المعنى و يكون التفاتاً و التّقدير لايقفوا و لايكونوا [كَالَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلُ فَطٰالَ عَلَيْهِمُ الْاَمَدُ] الزّمان اى طال زمان وقوفهم على مقامهم الحاصل لهم من دون التّرقّى الى المقامات المفقودة عنهم.

[فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ] يعنى صار كثير منهم منافقين فصاروا فاسقين خارجين من حكم امامهم.

روى عن الصّادق عليه السلام انّ هذه الاية يعنى و لاتكونوا فى القائم عليه السلام .

و المعنى انّها نزلت فى المؤمنين بالغيبة فانّ الله حذّرهم ان يصيروا بسبب الوقوف على مقام واحدٍ و عدم الخروج الى المقامات العالية منافقين مثل المنافقين الّذين كانوا فى زمان محمّدٍ صلى الله عليه و آله و نافقوا بسبب الوقوف و عدم الخروج، فانّهم اوتوا كتاب النّبوّة و قبلوهم قبلهم.

[اِعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يُحْيِى الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا] كأنّه بعد ما حذّرهم عن الوقوف و وبّخهم عليه يئس جمع من الواقفين عن الرّحمة و قالوا: فما لنا الّا قساوه القلوب فقال رفعاً ليأسهم و ترجيحاً بجانب الرّجاء: اعلموا انّ الله يحيى ارض قلوب المؤمنين بذكر الله فى الدّنيا او بنور الامام فى الاخرة فلا تيأسّوا من روح الله.

عن الباقر عليه السلام انّه قال: يحييها الله تعالى بالقائم بعد موتها.

[قَدْ بَيَّنّٰالَكُمُ الْاٰيٰاتِ] التّدوينيّة و الايات الافاقيّة و الانفسيّة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] تصيرون عقلاء، او تدركون ادراكاً عقلانيّاً، او تدركون بعقولكم انّ الوقوف مورث للقسوة، و انّ الّذكر جلاء للقلوب و مورثٌ للخشوع.

[اِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقٰاتِ] قرئ بتشديد الصّاد من التّفعّل بمعنى الّذين يعطون الصّدقات، و قرئ بتخفيف الصّاد من التّفعيل بمعنى الّذين صدقوا الله و رسوله.

[وَ أَقْرَضُوا اللهَ] جملة حاليّة او معترضة او معطوفة على صلة الالف و الّلام، و على ايّ تقديرٍ هو تقييد للتّصدّق ان كان بمعنى الانفاق المطلق، او تأكيدٌ له ان كان بمعنى الانفاق لوجه الله.

او يكون المراد بالتّصدّق الانفاق على الفقراء، و باقراض الله صلة

الامام عليه السلام، و على قراءة تخفيف الصّاد يكون عطفاً و بمنزلة ان يقال: انّ الّذين ءامنوا و انفقوا، و على قراءة تشديد الصّاد يكون قوله: انّ المصّدّقين و المصّدّقات و اقرضوا الله [قَرْضًا حَسَنًا يُضٰاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ اَجْرٌ كَرِيمٌ] بمنزلة انّ الّذين يعطون الّزكوة و بياناً لجزاء الانفاق.

و يكون قوله [وَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ اُولٰئِكَ هُمُ الصِّدّيقُونَ] بياناً لجزاء الايمان و بعبارةٍ اخرى انّ المصّدقين بيان لجزاء القوّة العمّالة و انّ الّذين ءامنوا بيانٌ لجزاء القوّة العّلامة.

و بعبارةٍ اخرى الاوّل بيان لجزاء الّزكوة، و الّثانى بيان لجزاء الصّلوة و ترجيح لجانب القوّة العّلامة و الصّلوة على القوّة العمّالة و الزّكوة فانّ قوله تعالى اولئك هم الّصدّيقون.

[وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ] لحصر كمال الصّدق و الّشهادة فيهم و قوله تعالى [لَهُمْ اَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ] تفخيمٌ لاجرهم و نورهم باضافتهما اليهم بمعنى انّ اجرهم لايمكن معرفته الّا باضافته اليهم، و قيل: انّ الشّهداء مبتدء و خبره لهم اجرهم.

و عن الباقر عليه السلام انّه قال: العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد و الله مع القائم عليه السلام بسيفه.

ثمّ قال: بل والله كمن جاهد مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله بسيفه، ثمّ قال الثّلاثة: بل و الله كمن استشهد مع رسول‌الله صلى الله عليه وآله فى فسطاطه، و فيكم ءاية من كتاب الله قيل: وايّ ءاية؟

ـ قال: قول الله و الّذين ءامنوا بالله و رسله (الاية).

ثمّ قال: صرتم و الله صادقين شهداء عند ربّكم، و الاخبار الواردة بهذا المضمون يعنى تخصيص الصّدّيقين و الّشهداء بشيعتهم كثيرة، و فى

هذا الخبر غنية عن نقلها.

و روى عن امير المؤمنين عليه السلام انّه لمّا قتل يوم النّهر و ان الخوارج قال اليه رجلٌ، فقال: يا امير المؤمنين عليه السلام طوبى لنا اذ شهدنا معك هذا الموقف و قتلنا معك هؤلاء الخوارج.

فقال امير المؤمنين عليه السلام: و الّذى فلق الحبّة و برأ النّسمة لقد شهرنا فى هذا الموقف اناس لم يخلق الله ءاباءهم و لااجدادهم بعدُ.

فقال الرّجل: و كيف شهدنا قوم لم يخلقوا؟

ـ قال: بل قوم يكونون فى ءاخر الزّمان يشركوننا فيما نحن فيه و يسلّمون لنا فاولئك شركاؤنا فيه حقّاً حقّاً.

[وَ الَّذينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنٰا اُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَحيمِ] مقابل الّذين ءامنوا بالله و رسله [اِعْلَمُوا] ابتداء كلامٍ منقطع عن سابقه و تزهيد عن الحيوة الدّنيا و لوازمها، و ترغيب فى الاخرة و الانفاق و تسهيل له.

[اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ] اللّعب ماله غاية خياليّة غير عقليّةٍ، و اللّهو مالم يكن له غاية خياليّة مدركة مشعوراً بها و ان كان لايجوز ان يكون فعل المختار بلاغايةٍ، و التّقدير اعلموا انّ متاع الحيوة الدّنيا او حاصل الحيوة الدّنيا لعب و لهو.

[وَ زينَةٌ وَ تَفٰاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكٰاثُرٌ فِى الْاَمْوٰالِ وَ الْاَوْلٰادِ] اى تغالب فى ذلك و لايبقى للعاقلة شيءٌ من ذلك [كَمَثَلِ غَيْثٍ] مفعول ثان لاعلموا او انّما و ما بعده قائم مقام المعفولين او هو خبر مبتدءٍ محذوف.

[اَعْجَبَ الْكُفّٰارَ نَبٰاتُهُ] اى نبات الغيث الّذى نبت بسبب الغيث و قال تعالى: اعجب الكفّار لانّ الكفّار لكفرهم بالله اشدّ اعجاباً بصورة النّبات بخلاف غير الكفّار فانّهم يفرحون بالمنعم و انعامه.

[ثُمَّ يَهيجُ] ييبس ببلوغه الى غايته او بعاهةٍ [فَتَريٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطٰامًا] لائقاً للنّار [وَ فِي الْاٰخِرَةِ عَذٰاُُ شَديدٌ] مثّل الحيوة الدّنيا و نزول ماء الحيوة من سماء الارواح بنزول المطر من السّماء و صورة الانسان فى بدو الامر بنبات النّبات فى اوّل الامر ضعيفاً ثمّ استواء الانسان باستواء النّبات فى خضرته و طراوته و اعجابه للغافل عن الاخرة ثمّ انحطاطه بانحطاط النّبات ثمّ موته بيبس النّبات و اصفراره و تكسّره ثمّ العذاب فى الاخرة للمفتون بالحيوة باحتراق النّبات اليابس.

[وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَ رِضْوٰانٌ] لمن لم يفتتن او للكلّ بشرط الاستعداد و الاستحقاق [وَ مَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا اِلّاٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ] اى التّمتّع المسبّب من الغرور او متاع سبب الغرور.

[سٰابِقوا] هذا بمنزلة النّتيجة او جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ ناشٍ من سابقه كأنّه قيل: ان كان الحيوة الدّنيا متاع الغرور و فى الاخرة عذابٌ لاهلها او مغفرة فما نفعل؟

ـ فقال: سابقوا [اِلٰى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْاَرْضِ] قد مضى فى سورة ءال عمران بيان تشبيه عرض الجنّة بعرض السّماوات و الارض.

[اُعِدَّتْ لِلَّذينَ اٰمَنُوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ] هذه صفة او حال او مستأنفة [ذٰلِكَ] الايمان بالله و رسله او ذلك المذكور من المغفرة و الجنّة [فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشٰاءُ] فانّ مبدء التّوفيق للايمان الّذى هو سبب المغفرة و الجنّة منه تعالى فلا يدخل الجنّة احد بنفسه و لابعلمه.

[وَ اللهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظيمِ مٰا اَصٰابَ] منقطعة عن سابقها او جوابٌ لسؤالٍ ناش من السّابق كأنّه قيل: ان كان الله ذا الفضل بعباده فممّ يكون هذه

المصائب و البلايا؟

ـ فقال فى الجواب: ما اصاب [مِنْ مُصيبَةٍ فِى الْاَرْضِ] فى العالم الكبير من البلايا العامّة الواردة على اموال اهل الارض [وَ لا في اَنْفُسِكُمْ اِلّا في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَبْرَأَها] اى من قبل ان نبرأ الانفس او من قبل ان نبرأ الارض و الانفس و المراد بالكتاب كتاب اللّوح المحفوظ و المقصود انّه ليست المصائب الّا بعلمنا و قدرتنا و اصابتنا.

[اِنَّ ذٰلِكَ] الثّبت فى الكتاب [عَلَى اللّهِ يَسيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا] متعلّق بقوله فى كتاب او متعلّق بمحذوفٍ و التّقدير اخبرنالكم بذلك لتعلموا انّ ما يقع فى الارض هو ثابت فى اللّوح و بعلمنا و ارادتنا لكيلا تأسوا [عَلٰى مٰافٰاتَكُمْ وَ لٰا تَفْرَحُوا بِمٰا اٰتيٰكُمْ] و لكى تصبروا و ترضوا عند مافاتكم و تشكروا الله عند ما ءاٰتيكم و هذا هو غاية الزّهد فانّ عدم التّغيّر فى فوت ما فى اليد و فى اتيان ما ليس فى اليد كمال الزّهد.

كما روى عن امير المؤمنين عليه السلام انّه قال: الزّهد كلّه بين كلمتين من القرءاٰن قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على مافاتكم و لاتفرحوا بما ءاٰتيكم، و من لم يأس على الماضى و لم يفرح بالاتى فقد اخذ الزّهد بطرفيه، و عن الباقر عليه السلام: نزلت فى ابى بكرٍ و اصحابه واحدة مقدّمة و واحدة مؤخّرة لاتأسوا على مافاتكم ممّا خصّ به علىّ بن ابى طالبٍ عليه السلام و لاتفرحوا بما اتيكم من الفتنة الّتى عرضت لكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

[وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ] عطف على قوله ما اصاب و المقصود انّ عدم الحزن على الفائتة و عدم الفرح قد يكون للاختيال و الفخر و ليس هذا ممدوحاً انّما المدح على ذلك اذا كان للزّهد فى الدّنيا.

او المعنى انّ المصّدّقين المنفقين و المؤمنين كذلك و غير

المصّدّقين الّذين يختالون و لاينقصون من انانيّاتهم، و الّذين يفخرون و لايؤمنون باللّه و رسوله مبغوضون للّه فانّه قد تكرّر فيما سبق انّ مفهوم هذه العبارة و ان كان اعمّ من كونهم مبغوضين لكنّ المراد بحسب المقام ذلك.

[اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ] باموالهم و اعراضهم و قويهم و انانيّاتهم فلاينفقون و لاينقصون من انانيّاتهم فلاينقادون للّه و رسوله صلّی الله عليه وآله.

[وَ يَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ] عن الانفاق و الايمان فلايضرّ اللّه شيئاً.

[فَاِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] الّذى لاحاجة له الى اموالكم و اعراضكم و انفاقكم ممّا ينبغى ان ينفق منه.

[الْحَميدُ] الّذى لاحاجة له الى ايمانكم و تصديقكم و تعظيمكم و المقصود من يتولّ عن علىٍّ عليه السلام او عن اللّه و الرّسول صلّی الله عليه وآله فى ولاية علىٍّ عليه السلام فانّ عليّاً عليه السلام الّذى هو مظهر اللّه هو الغنىّ عنه و عن انفاقه الحميد فى نفسه صدّقه مصدّقٌ او كذّبه و لمّا كان هناك مظنّة ان يسأل احدٌ: بما يصير الانسان مؤمناً و منفقاً حتّى لايتولّى عن الايمان و عن علىٍّ عليه السلام ؟ــ فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال.

[لَقَدْ اَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ] اى بأحكام الرّسالة او بالمعجزات الدّالّة على صدقهم فمن اراد الايمان فليقبل عليهم [وَ اَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ] اى كتاب النّبوّة و الكتب التّدوينيّة و الملل الالهيّة صورها.

و لهذا ورد عن الصّادق عليه السلام فى هذه الاية الكتاب الاسم الاكبر الّذى يعلم به علم كلّ شىءٍ الّذى كان مع الانبياء عليهم السلام قال: و انّما عرف ممّا يدعى كتاب التّوراة و الانجيل و الفرقان فيها كتاب نوحٍ و فيها كتاب صالحٍ و شعيب و ابراهيم عليه السلام فأخبر اللّه عزّ و جلّ انّ هذا لفى الصّحف الاولى صحف

ابراهیم و موسی علیهما السلام فاین صحف ابراهیم؟ انّما صحف ابراهیم علیه السلام الاسم الاکبر و صحف موسی علیه السلام الاسم الاکبر.

[وَ الْمیزانَ لِیَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ] المیزان کلّما یقاس به شیءٌ ءاخر من ذی الکفّتین و القبان و خیوط البنّائین و سیرة السّلاطین فی سلطنتهم و احکام الشّرائع القالبیّة الملّیّة و العقل و الرّسول و الرّسالة و الولیّ و الولایة و الکتب السّماویّة، لکنّ المیزان الّذی یقوم النّاس به بالقسط هو الولایة و قبولها و احکامها و ولیّ الامر فانّ کلّما سواها میزانٌ لقیام النّاس بالقسط بشرط اتّصاله بها.

فالمراد بالکتاب الّذی مع الرّسل هو النّبوّة و الرّسالة و هما الاسم الاکبر الّذی کلّ شیءٍ فیه و شرائع الرّسل و کتبهم صورتهما.

و المراد بالمیزان هو الولایة الّتی نزلت من مقامها العالی الی بشریّة الرّسل و ظهرت بعدهم فی اوصیائهم لیقوم النّاس بها بالقسط، و لمّا کانت الولایة الّتی هی میزان العدل و النّبوّة و الرّسالة اللّتان هما میزانان بالولایة من اعظم اسباب قیام النّاس بالقسط أتی بهذه الغایة قبل ذکر الحدید و اضاف الحدید بعدها.

فقال [وَ اَنْزَلْنَا الْحَدیدَ] یعنی مع الرّسل او مطلقاً لکن لمّا کان المنظور من ذکر الحدید ترتّب غایة نصرة الرّسل علیه و علی ما سبقه فالاولی ان یقال: و انزلنا الحدید مع الرّسل، و معنی انزال الحدید مع انّه یتکوّن فی المعادن ایجاده.

او المقصود انّ کلّ موجودٍ فی هذا العالم کان موجوداً فی عالم المثال و فی العوالم الّتی فوقه ثمّ نزل من تلك العوالم الی عالم الکون و الفساد.

[فیهِ بَأْسٌ شَدیدٌ] کما یری من قطع الاعضاء و المفاصل من الحیوان به و قطع حیوة الحیوان و الانسان به.

[وَ مَنافِعُ لِلنّاسِ] لانّ منه ءالات اکثر الصّنّاع و الصّنائع [وَ لِیَعْلَمَ اللّهُ مَنْ یَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَیْبِ] حالکون النّاصر بالغیب من اللّه، او

حالكون الله بالغيب من النّاصر، او هو ظرف لينصره و قوله تعالى ليعلم عطف على قوله ليقوم النّاس و قد مضى وجه تأخيره عن نزول الحديد.

[إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] لاحاجة له الى نصرتكم لانّه قوىّ يقدر على كلّ ما اراد عزيز لامانع له من مراده و لاغالب عليه و انّما اراد اختبار كم بذلك و امتياز الكافر و المنافق من المؤمن الموافق.

[وَ لَقَدْ اَرْسَلْنٰا] عطف على قوله لقد أرسلنا عطف التّفصيل على الاجمال [نُوحًا وَ اِبْرٰهِيمَ وَ جَعَلْنٰا فى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتٰابَ] اى الرّسالة [فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ] فى غاية الاهتداء كالانبياء و الاولياء عليهم السلام او فى اواسط الاهتداء كسائر المؤمنين.

[وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ] لم يقل فى مقابل منهم مهتد و منهم فاسق للاشارة الى الغلبة فى جانب الضّلالة.

[ثُمَّ قَفَّيْنٰا عَلٰى اٰثٰارِهِمْ بِرُسُلِنٰا] من انبياء بنى‌اسرائيل و موسى عليه السلام و شعيب عليه السلام [وَ قَفَّيْنٰا بعيسى ابْنِ مَرْيَمَ وَ اٰتَيْنٰاهُ الْاِنْجِيلَ وَ جَعَلْنٰا فى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبٰانِيَّةً ابْتَدَعُوهٰا] بالنّسبة الى دين موسى عليه السلام لانّهم ابتدعوها فى الدّين حتّى تكون بدعة، و الرّأفة اشدّ الرّحمة اوارقّها او ما يظهر اثره فى الظّاهر، و الرّحمة ما لايظهر اثره فى الظّاهر او بالعكس، و الرّهبانية و الرّهبة مصدرا الرّاهب واحد رهبان النّصارى الّذين كانوا ينقطعون عن النّاس و يلبسون المسوح و يتعبّدون فى الجبال و فى الخلوات.

[مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ] اى ما القيناها فى قلوبهم [إِلَّا ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ] اى الّا لابتغاء رضوان الله او فى حال ابتغاء رضوان الله فانّه لايجوز ان يكون مفعولاً له لكتبنا او المعنى انّهم ابتدعوها و ما فرضناها عليهم اصلاً

ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فيكون الاستثناء منقطعاً.

ولكن قوله تعالى [فَمٰارَعَوْهٰا حَقَّ رِعٰايَتِهٰا] يؤيّد المعنى الاوّل بان جعلوها بأهوية انفسهم او ما عملوا بمقتضاها، او ما قصدوا بها رضوان الله، او ما انتهوا بها الى خليفة الله المؤسّس لاداب السّلوك الى الله.

و نسب الى النّبىّ ﷺ انّه قال لتكذيبهم بمحمّدٍ ﷺ.

[فَاٰتَيْنَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بمحمّدٍ ﷺ [مِنْهُمْ اَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ] عن اتّباع ولىّ الامر و خليفة الله.

روى عن رسول الله ﷺ انّه قال: اختلف من كان قبلكم على ثنتين و سبعين فرقةً نجامنهما ثنتان و هلك سائرهنّ فرقة قاتل الملوك على دين عيسى عليه السلام فقتلوهم، و فرقة لم يكن لهم طاقة لموازاة الملوك و لاان يقيموا بين ظهر انيّهم يدعونهم الى دين الله تعالى و دين عيسى عليه السلام فساحوا فى البلاد و ترهّبوا و هم الّذين قال الله عزّ و جلّ: و رهبانيّةً ابتدعوها ما كتبناها ثمّ قال: من ءامن بى و صدّقنى و اتّبعنى فقد رعاها حقّ رعايتها، و من لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون.

[يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ما مدح المؤمنين من اهل الكتاب و ذمّ الّذين بقوا على صورة ملّتهم و لم يؤمنوا بمحمّدٍ ﷺ بقوله: و كثير منهم فاسقون نادى مطلق من ءامن بمحمّدٍ ﷺ بالبيعة العامّة النّبويّة، اونادى المؤمنين بمحمّدٍ ﷺ من اهل الكتاب بالبيعة العامّة و قال: لو كان يكفى للنّجاة الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة و قبول الملّة لكان يكفى اهل الكتاب قبول ملّتهم و لم يكونو يسمّون فاسقين فلاتقفوا انتم ايّها المؤمنون على صورة ملّة محمّدٍ ﷺ.

و لاتكتفوا بالبيعة العامّة بل [اتَّقُوا اللّٰهَ] فى جميع اوامره و نواهيه او

اتّقوا الله فی مخالفة الرّسول ﷺ و مخالفة قوله فی علیٍّ علیه السلام.

[وَ اٰمِنُوا بِرَسُولِهِ] بالایمان الحقیقیّ الّذی یحصل بالبیعة الخاصّة الولویّة [یُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ] نصیبین [مِنْ رَحْمَتِهِ]نصیباً علی قبول الرّسالة و نصیباً علی قبول الولایة، و بعبارةٍ اخری نصیباً علی البیعة العامّة و نصیباً علی البیعة الخاصّة، و بعبارةٍ اخری نصیباً علی الاسلام و نصیباً علی الایمان.

و بعبارةٍ اخری نصیباً فی مقام النّفس الانسانیّة و نصیباً فی مقام القلب، و بعبارةٍ اخری نصیباً من جنّات النّعیم و نصیباً من جنّة الرّضوان، و بعبارةٍ اخری نصیباً للقوّة العمّالة و نصیباً للقوّة العلّامة.

[وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ] و المقصود من النّور هو صورة ولیّ الامر الّذی یدخل بالبیعة الخاصّة فی قلب البائع المعبّر عنه بالایمان الدّاخل فی القلب و اذا خرج تلك الصّورة من حجب الاهواء و التّعلّقات ظهر نورها بحیث كان الانسان یستغنی من نور الّشمس و اشرقت الارض بنور ربّها اشارة الی ظهور تلك الصّورة و معرفة علیٍّ علیه السلام بالنّورانیّة الّتی هی معرفة الله، و لیست الّا للمؤمن الممتحن قلبه للایمان عبارة عن ظهور هذه الصّورة، و اذا خلعت تلك الصّورة من حجب النّفس و تعلّقانها استغنی صاحبها من كلّ ماسواها و كانت تلك الصّورة قرینةً للنّصر و نزول الملائكة، و ظهور تلك الصّورة هی نزول الّسكینة.

و لذلك قال: نوراً تمشون به فی النّاس فانّ تلك الصّورة هی الفعلیّة الاخیرة للانسان و جمیع افعال الّشیء تكون بفعلیّته الاخیرة فیجعل الله بتلك البیعة نوراً مختفیاً او ظاهراً یكون جمیع حركاته و سكناته و عباداته و مكاسبه بذلك النّور.

[وَ يَغْفِرْ لَكُمْ] بذلكالنّور فانّ هذا النّور هو باعث غفران الله، فانّالله یستجی

ان يعذّب امّة دانت بامامة امامٍ عادلٍ من الله و ان كانت الامّة فى اعمالها فجرةً.

[وَ اللّهُ غَفُورٌ] سجيّته المغفرة سواء كان لها باعث او لم يكن، فمن كان له مادّة المغفرة الّتى هو الولاية كان مغفوراً لامحالة.

[رَحيمٌ] سجيّته الرّحمة سواء كان لها باعث او لم يكن، و قد فسّر النّور بالامام الّذى يأتمّون به.

و روى عن الصّادق عليه السلام انّه قال: كفلين من رحمته الحسن عليه السلام و الحسين عليه السلام و نوراً تمشون به يعنى اماماً يأتّمون به، و فى روايةٍ و النّور علىّ عليه السلام.

[لِئَلّا يَعْلَمَ اَهْلُ الْكِتابِ] لازائدة و المعنى على ما ذكر فى نزول الاية ليعلم اهل الكتاب اى اليهود و النّصارى.

[اَنْ لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ] قيل فى نزوله: انّ رسول‌الله صلّى الله عليه و آله بعث جعفراً فى سبعين راكباً الى النّجاشىّ يدعوه فقدم عليه و دعاه فاستجاب له و ءامن به، فلمّا كان عند انصرافه قال ناس ممّن ءامن به من اهل مملكته و هم اربعون رجلاً: ائذن لنا فنأتى هذا النّبى فنسلّم به.

فقدموا مع جعفرٍ فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله صلّى الله عليه و آله و قالوا: يا نبىّ الله انّ لنا اموالاً و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين.

فانزل الله فيهم: الّذين ءاتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (الى قوله) و ممّا رزقناهم ينفقون فلمّا سمع اهل الكتاب ممّن لم يؤمن به قوله اولئك يؤترون أجرهم مرّتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا: يا معاشر المسلمين امّا من ءامن منّا بكتابكم و كتابنا فله اجران، و من ءامن منّا

بكتابنا فله اجر كاجوركم فما فضلكم علينا؟

فنزل قوله تعالى: يا ايّها الّذين ءامنوا اتّقوا الله و ءامنوا برساله (الاية) فجعل لهم اجرين وزادهم النّور و المغفرة يعنى جعلنا لمن ءامن بمحمّدٍ ﷺ و اتّقى اجرين، ليعلم اهل الكتاب انّهم لايقدرون على شىءٍ من فضل الله.

[وَ اَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظيمِ]

و لكن نقول على ماذكر من الفرق بين الاسلام و الايمان و الملّة و الدّين .

و انّ المراد بقوله: يا ايّها الّذين ءامنوا يا ايّها الّذين اسلموا بقبول الدّعوة الظّاهرة و البيعة العامّة و انّ قوله ءامنوا امر بالايمان الحقيقىّ و قبول الدّعوة الباطنة بالبيعة الخاصّة الولويّة.

يجوز ان يراد باهل الكتاب اهل الملّة سواء كان بنحو النّحلة او بقبول الرّسالة بالبيعة العامّة و سواء كانوا اهل ملّة محمّدٍ ﷺ او اهل سائر الملل و ان لايكون لا فى قوله لئلّا يعلم اهل الكتاب زائدة، و يكون تعليلاً للقول المستفاد من قوله: ءامنوا برسوله بالبيعة الخاصّة يعنى قلنا ءامنوا برسوله بقبول الدّعوة الباطنة.

لانّ القانعين بالبيعة الاسلاميّة الّذين كانوا اهل كتاب الرّسالة لايعلمون انّهم لايقدرون على شىءٍ من فضل الله بل يظنّون انّهم قادرون على فضل الله الظّاهر من اموال الدّنيا و فضل الله الباطن من درجات الايمان و مقامات الرّسالة و النّبوّة و الولاية كما كنّا نسمع من بعضٍ يقول: اذا خلونا اربعين يحصل لنا كثير من المراتب التغيبيّة.

و اذا ءامنتم بالرّسول ﷺ بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبلتم الولاية ظهر لكم قصوركم و انّكم لاتقدرون على شىءٍ من فضل الله وبذلك تتدرّجون فى نقصان الانانيّة الّتى هى اعظم المعاصى فى الطّريق و اذا لم تعلموا ذلك تتدرّجون فى ازدياد الانانيّة.

فهرستهای پنجگانه

فهرست اعلام
فهرست ترجمه‌ی اخبار
فهرست اخبار متن
فهرست ابیات
فهرست منابع

فهرست اعلام

ادیان

اشخاص

اماکن

پیشوایان معصوم

فهرست ترجمه‌ی اخبار

خداوند آنان را دعوت کنندگان و راهنمایان به سوی خویش قرار داد و لذا این چنین شدند،این بدان معنا نیست که تأسّف و خوشحالی به خدا می‌رسد، همان طور که به خلقش می‌رسد، بلکه به همان معنایی است که گفته شد: و نیز در همین مورد خداوند فرموده: هر کس به ولیّ من اهانت نماید با من به مبارزه برخاسته، و مرا به جنگ دعوت کرده‌است و نیز فرمود: هر کس رسول را اطاعت کند خدا را اطاعت کرده‌است، و فرموده: کسانی که با تو بیعت می‌کنند با خدا بیعت می‌کنند. همه‌ی این موارد و مشابه آنها بر طبق همان معنایی است که برای تو ذکر کردم، و هم چنین است رضا و غضب و غیر آن دو از اشیاء مشابه.ـ اگر بنا بود تاسّف و اندوه به آفریننده‌ی آنها و به‌وجود آورنده‌ی آنها برسد ممکن بود کسی بگوید آفریننده نیز روزی نابود می‌شود، زیرا وقتی اندوه و غضب به او هم برسد تغییر در او ایجاد می‌شود، وقتی تغییر در او حاصل شد دیگر از نابودی و فنا ایمن نیست و اگر این چنین می‌شد دیگر آفریننده و خالق از مخلوق تمیز داده نمی‌شد، و نه قادر و توانا از غیر قادر، و نه خالق از مخلوق، که خدای تعالی از این گفتارها برتر و والاتر است، او آفریننده‌ی اشیاست بدون احتیاج و اگر بدون حاجت است حدّ و کیف در او محال می‌شود.۱۲۱

از رسول‌خدا علیه السلام آمده‌است که فرمود: «الصّدود» در لغت عرب به معنای خنده‌است. ۱۲۴

در روایتی آمده‌است: رسول خدا صلی الله علیه و آله روزی نشسته بود که امیر المؤمنین علیه السلام وارد شد، حضرت به او فرمود: در تو شباهت‌هایی از عیسی بن مریم وجود دارد، اگر نمی‌ترسید که گروهی از امّت من بگویند درباره‌ی تو آنچه را که نصاری درباره‌ی عیسی‌بن‌مریم گفته‌اند، درباره‌ی تو سخنی می‌گفتم که از نزد هیچ گروهی نمی‌گذشتی مگر آنکه خاك زیر پای تو را می‌گرفتند و برای تبرّك می‌بردند. راوی گفت: پس آن دو مرد اعرابی غضبناك شدند و نیز مغیرة بن شعبه و عدّه‌ای از قریش به خشم آمدند و گفتند: محمّد صلی الله علیه و آله راضی نشد برای پسر عمویش جز عیسی بن مریم مثل و تشبیهی بیاورد. ۱۲۵

پس خدای تعالی بر پیامبرش این آیه را نازل فرمود: از امام صادق علیه السلام در دعای روز غدیر آمده است: خدایا ما داعی تو و کسی راکه نذیر و منذر است اجابت

و حکومت می‌کنند، و کنیزان مورد مشورت قرار می‌گیرند، وکودکان بر منبرها می‌نشینند، و دروغ ظرافت و خوب شمرده می‌شود، زکات غرامت و ضرر و مال خدا غنیمت به حساب می‌آید.- و مرد بر پدر و مادرش ستم می‌کند و به دوستش خوبی می‌کند و ستاره‌ی دنباله‌دار طلوع می‌نماید.- سلمان عرض کرد: این امور حتما واقع می‌شوند؟ رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: قسم به کسی که جانم در دست قدرت او است بلی واقع می‌شود.ـ یا سلمان در آن وقت است که زن در تجارت با همسرش مشارکت می‌کند، باران کم می‌شود و خشکسالی پیش می‌آید، کریمان به غیظ و غضب می‌آیند، مرد تهی دست مورد تحقیر قرار می‌گیرد پس در آن هنگام بازارها نزدیك هم می‌شوند، چه این یکی می‌گوید من چیزی نفروخته‌ام، آن دیگری می‌گوید: من چیزی سود نبرده‌ام، پس نمی‌بینی مردم را مگر در حال مذمّت کردن خدا.- سلمان عرض کرد: این مطلب محقّق می‌شود یا رسول الله؟ رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: سوگند به کسی که جانم به‌دست او است آری.- یا سلمان در آن هنگام اقوامی پدید می‌آیند که اگر سخن بگویند کشته می‌شوند، و اگر سکوت کنند آنها را از بیخ و بن می‌کنند و خونشان را حلال می‌شمارند تا به اموال آنان دست یازند و مصادره کنند و به ناموس آنان تجاوز نمایند، و خونشان را بریزند، و دلهایشان را از رعب و هراس پر کنند، پس آن اقوام را نمی‌بینی مگر در حال ترس و رعب و وحشت.ـ سلمان عرض کرد: این مورد محقّق می‌شود یا رسول الله؟ فرمود: بلی سوگند به کسی که جانم در دست قدرت او است. یا سلمان در آن هنگام چیزی از مشرق و چیزی از مغرب پشت سر امّت من می‌آفرینند، پس وای بر ضعیفان امّت من از دست آنان، و وای بر آنان از جانب خدا، که نه به صغیر رحم می‌کنند، نه به بزرگ احترام می‌گذارند و از هیچ کار بد و بدکار نمی‌ترسند، هیکل و قیافه‌ی آنان قیافه‌ی آدمیان ولی دلهای آنها دلهای شیاطین است، سلمان عرض کرد: یا رسول الله این مطلب محقّق می‌شود؟ فرمود: آری سوگند به خدایی که جانم در دست قدرت او است.ـ ای سلمان در آن هنگام مردها به مردها اکتفا می‌کنند، زنها به زنها، با پسران ازدواج می‌کنند همانطور که با کنیز در خانه‌ی پدر و مادرش ازدواج می‌کنند، و مردان به زنان شبیه می‌شوند و زنان به مردان، و صاحبان فرج و زنان سوار بر اسبان می‌شوند ، پس لعنت خدا بر

اینگونه زنان از امّت من باد. - سلمان عرض کرد: آیا این مطلب محقّق شدنی است یا رسول الله؟ - رسول‌خدا فرمود: آری سوگند به کسی که جانم در قبضه‌ی قدرت او است.- یا سلمان در آن زمان مسجدها را زینت می‌کنند همانطور که دیرهاو کنیسه‌ها را زینت می‌کنند، قرآن‌ها به زیور آراسته می‌شوند، مناره‌ها بلند می‌شوند، وصف‌ها زیاد می‌شوند با دلهایی که نسبت به هم کینه و بغض دارنـد و زبـانهای مـختلف. سلمان عرض کرد: یا رسول الله این معناحتما واقع می‌شود؟ فرمود: بلی سوگند به کسی که جانم در دست قدرت او است، یا سلمان در آن زمان مردان امّت من با طلا خود را زینت می‌دهند، و حریر و دیبا می‌پوشند، و از پوست پلنگ لبـاس درست می‌کنند.ـ سلمان عرض کرد: یا رسول الله این معنا مـحقّق مـی‌شود؟ فـرمود: آری به‌خدا سوگند ای سلمان در آن زمان ربا آشکـار مـی‌شود و مـعامله‌ها بـه‌صورت مدّت‌دار به زیادتر از قیمت واقعی کالا و با رشوه واقـع مـی‌شود.ـ و دیـن پست می‌شود و دنیا بالا می‌رود.ـ سلمان عرض کرد: یا رسول الله این امور محقّق می‌شود؟ فرمود: آری سوگند به کسی که جانم در دست اوست، در آن زمان طلاق زیاد می‌شود و حدّی برای خدا اقامه نمی‌گردد، مردم در آن زمان به خدا ضرر نمی‌زنند، بلکه خود ضرر می‌کنند.ـ سلمان عرض کرد: یا رسول الله این مطلب حتماً واقع می‌شود؟ فرمود: آری سوگند به خدایی که جانم در دست اوست.ـ ای سلمان در آن موقع خواننده‌ها و آلات طرب و موسیقی آشکار می‌شود و بدترین امّت من پشت سر آنها می‌آیند و دنباله‌رو آنها می‌شوند.ـ سلمان عرض کرد: این مطلب حتمی است یا رسـول الله؟ فرمود: آری سوگند به خدایی که جانم در دست قدرت او است، ای سلمان در آن زمان ثروتمندان امّت من برای تفریح به حجّ می‌روند و متوسطین آنان برای تجارت به حجّ می‌روند، فقرای امّت برای ریا و شهرت، در آن زمان اقوامی پدید می‌آیند که قرآن را برای غیر خدا می‌آموزند و آن را به صورت غنا می‌خوانند، اقوامی دنبال فقه و علم برای خدا می‌روند و اولاد زنا زیاد می‌شود، قرآن را با غنا می‌خوانند، در طلب دنیا مسابقه می‌گذارند و به آن تفاخر می‌کنند.ـ سلمان عرض کرد: این امور واقع می‌شود یا رسول الله؟ فرمود: آری سوگند به کسی که جـانم در دست او است، ای سلمان این امور در زمانی است که پرده‌ی حرمت‌ها دریده شـود، گـناهان کسب و

از امام صادق علیه‌السلام آمده‌است که فرمود: سبب نزول این سوره و این فتح و پیروزی بزرگ این است که خدای تعالی به رسولش در خواب دستور داد که داخل مسجد الحرام و طواف نماید و با حلق کنندگان حلق نماید، رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله این موضوع را به اصحابش خبر داد، آنان را امر به خروج نمود و خارج شدند، وقتی به ذی‌الحلیفه رسیدند آنجا برای عمره احرام بستند و شترها را برای قربانی بردند و رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله شصت و شش قربانی فرستاد، هنگام احرام اعلام داشت تا ذی‌الحلیفه احرام بستند، در حالی که برای عمره تلبیه می‌گفتند، هر کس از آن عدّه که قربانی سوق می‌کرد (روانه برای ذبح) قربانی خوب و مجلّل سوق می‌نمود.ـ هنگامی که این موضوع به گوش قریش رسید خالد بن ولید را با دویست سواره فرستاند او کمین گرفت تا رسول خدا را استقبال کند و خالدبن‌ولید در کوهها با رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله را زیرا نظر داشت در قسمتی از راه وقت نماز ظهر رسید که بلال اذان گفت و رسول خدا با مردم نماز خواند، خالدبن‌ولید گفت: اگر ما در حال نماز به مسلمانان حمله می‌کردیم بر آنان غالب می‌شدیم، چه آنان نمازشان قطع نمی‌کنند، ولی الأن آنها نماز دیگری در پیش دارند که آنرا از نور چشمشان بیشتر دوست دارند، صبر می‌کنیم هر وقت مشغول نماز شدند حمله می‌کنیم. در این موقع بود که جبرئیل بر رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله نازل شد و نماز خوف را آورد. روز دوّم که شد رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله به حدیبیّه رسید، و آن بر کنار حرم واقع شده، و رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله در بین راه که می‌آمد از اعراب می‌خواست که حرکت کنند و کسی پیروی او نمی‌کرد، می‌گفتند: محمّد و اصحابش توقّع دارند داخل حرم شوند در حالی که قریش در خانه‌ی اینها به اینان حمله کردند و آنان را کشتند، دیگر محمّد و اصحابش هیچ وقت به مدینه باز نمی‌گردند. ـ وقتی رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله به حدیبیّه رسید قریش بیرون می‌آمدند و به لات و عزّی قسم می‌خوردند که تا در میان آنان یك چشم وجود داشته‌باشد که پلکهایش حرکت کند نگذارند پیامبر خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله داخل مکّه شود. ـ رسول خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله به قریش پیام فرستاد که من برای جنگ نیامده‌ام،

بلکه آمده‌ام مناسك انجام دهم و شترهایم را ذبح کنم و گوشتهایشان را به‌شما واگذارم.ـ قریش عروة‌بن‌مسعودثقفی را فرستادند، که مردی عاقل و فهمیده بود و این آیه «و قالوا لو لانزّل هذا القرآن علی رجل من القریتین عظیم» درباره‌ی او نازل شده بود.ـ وقتی او با رسول خداﷺ مواجه شد آنرا بزرگ شمرد و حضرتﷺ احترام کرد، و گفت: یا محمّدﷺ تو قوم خودت را رها کردی در حالی که قریش همه‌ی شتران قوی و جوان را برای جنگ با تو بیرون آورده‌اند و به لات و عزّی قسم می‌خوردند که نگذارند تو داخل مکّه و حرم آنها بشوی مادامی که یك نفر از آنها زنده‌است، آیا می‌خواهی اهل خویش و قومت را نابود سازی یا محمّدﷺ؟ رسول‌خداﷺ فرمود: من برای جنگ نیامده‌ام، فقط آمده‌ام مناسك به‌جای آورم و شترانم را نحر کنم و گوشتهایشان را به‌شما واگذارم. عروه گفت: به خدا سوگند تاکنون کسی را ندیدم از داخل شدن به مکّه و حرم منع گردد همانطور که تو منع شدی. سپس عروه پیش قریش برگشت و جریان را به آنها بازگو نمود.ـ قریش گفتند: به خدا سوگند اگر محمّدﷺ داخل مکّه شود و عرب آنرا بشنود همه‌ی ذلیل می‌شویم و عرب بر ما جرأت پیدا می‌کنند.ـ پس حفص بن احنف و سهیل بن عمر را فرستاند، وقتی رسول‌خداﷺ به آن دو نظر کرد فرمود: وای بر قریش، به اینان چه شده‌است؛ جنگ شما را ضعیف کرده و از بین برده، چرا نمی‌گذارند بین من و عربها خودمان کار را تمام کنیم و بین من و عرب مانع می‌شوند، که اگر من راست بگویم ملك و نبوّت را هم زمان به سوی عرب می‌کشانم و اگر دروغ بگویم شجاعان عرب کافی است.ـ مردی از عرب امروز چیزی درخواست نمی‌کند مگر آنکه من جواب مثبت می‌دهم اگر خشم خدا در آن نباشد. پس وقتی خدمت رسول خداﷺ آمدند گفتند: یا محمّد تو امسال از عمره صرف نظر کن تا ما ببینیم کار تو به کجا می‌کشد و کار تو با عرب چگونه می‌شود؟ چون عرب شنیدند که تو تا اینجا آمده‌ای و مسیر تو را فهمیدند و متوجّه شده‌اند، تو اگر داخل شهرها و حرم ما بشوی ما پیش عرب ذلیل می‌شویم و آنان بر ما جرأت پیدا می‌کنند، ما خانه‌ی خدا را در سال آینده در همین ماه سه روز در اختیار شما قرار می‌دهیم تا مناسك را انجام دهی و برگردی. رسول‌خدا ﷺ آنرا قبول کرد، قریش به رسول خداﷺ گفتند: هر یك از مردان ما که پیش تو آمد

برمی‌گردانی، و یکی از مردان تو پیش ما آمد ما بر می‌گردانیم. رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: اگر از مردان ما کسی پیش شما آمد او دیگر به درد ما نمی‌خورد و احتیاجی به او نداریم. ولی شرط ما این باشد که مسلمانان در مکّه اگر اظهار اسلام کردند مورد آزار و اذیّت قرار نگیرند، آنان را ناخوش ندارند و از شرایع اسلام عملی را که انجام می‌دهند بر آنها انکار نشود، قریش نیز این مطلب را قبول کردند.ـ وقتی رسول‌خدا صلی الله علیه و آله صلح را با این شرائط قبول کرد بیشتر اصحاب و یاران رسول‌خدا صلی الله علیه و آله انکار کردند و کسی که بیشتر از همه ناراحت بود و شدیدتر از همه انکار می‌کرد عمر بود که گفت: یا رسول‌الله آیا ما بر حقّ نیستیم و دشمن ما بر باطل نیست؟ رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: چرا، همین طوراست.ـ عمر گفت: پس ما در دین ذلیل می‌شویم.ـ حضرت صلی الله علیه و آله فرمود: خدای عزّ و جلّ به من وعده داده و خلف وعده نخواهد کرد.ـ عمر گفت: اگر چهل مرد با من بود با رسول‌خدا صلی الله علیه و آله مخالفت می‌کردم با قریشیان مکّه می‌جنگیدم. سهیل بن عمر و حفص بن احنف به سوی قریش برگشتند و خبر صلح را به آنان دادند. عمر گفت: یا رسول الله آیا تو به ما نگفتی داخل مسجد الحرام می‌شویم و با حلق کنندگان حلق می‌کنیم؟ حضرت صلی الله علیه و آله فرمود: آیا همین امسال را گفتم؟ من به تو گفتم خدای تعالی به‌من وعده داده که مکّه را فتح کنم و طواف و سعی بجای آرم و با حلق کنندگان حلق کنم. وقتی بیشتر به پیامبر اصرار کردند به آنها فرمود: اگر صلح را قبول ندارید بروید و جنگ کنید، آن عده به سوی قریش رفتند در حالی که آنها آماده‌ی جنگ بودند و بر اینان حمله کردند و اصحاب رسول‌خدا صلی الله علیه و آله شکست بدی خوردند و خدمت رسول‌خدا صلی الله علیه و آله بازگشتند و رسول‌خدا صلی الله علیه و آله تبسّم نمود، سپس فرمود: یا علی شمشیر را بگیر و با قریش مقابله کن، امیرالمؤمنین شمشیرش را برگرفت و بر قریش حمله کرد، همینکه قریش به امیرالمؤمنین علیه السلام نگریستند عقب‌نشینی نمودند و گفتند: یا علی برای محمّد صلی الله علیه و آله در آنچه که به ما داده‌بود بدان حاصل شد؟ علی علیه السلام فرمود: نه، اصحاب رسول‌خدا صلی الله علیه و آله شرمسار و خجلت زده برگشتند و از آن حضرت صلی الله علیه و آله عذر خواهی می‌نمودند. رسول‌خدا صلی الله علیه و آله به آنان فرمود: آیا در روز بدر اصحاب من نبودید که خداوند درباره‌ی شما این آیه را نازل فرمود: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ إِنِّي مَمُدُّكُمْ

بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلاٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ»؟ آیا در روز احد اصحاب من نبودید که نازل شد: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلىٰ اَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرٰلكُمْ»؟ آیا اصحاب.... ۲۶۷

من در فلان روز نبودید؟ آیا اصحاب من در چنان روز نبودید؟... اصحاب از رسول‌خدا صلی الله علیه و آله عذر خواهی کردند و بر کاری که انجام داده‌بودند پشیمان شده و اظهار ندامت کردند و گفتند: خدا و رسولش بهتر می‌داند آنچه خودت می‌خواهی انجام بده.ـ حفص بن احنف و سهیل بن عمرو از سوی قریش خدمت رسول‌خدا صلی الله علیه و آله بازگشتند و گفتند: یا محمّد آنچه که تو راجع به اظهار اسلام شرط کردی مبنی بر آنکه کسی بر دینش مورد اکراه و اجبار قرار نگیرد مورد موافقت قریش قرار گرفت. رسول خدا در پی آن شد که قرار داد نوشته شود، امیر المؤمنین علی علیه السلام را خواست و به او فرمود: بنویس، نوشت: بسم الله الرحمن الرحیم. سهیل بن عمرو گفت: ما رحمن را نمی‌شناسیم. بنویس «باسمك الّلهم» همانطور که پدران تو می‌نوشتند.ـ رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: بنویس «باسمك الّلهم» که آن اسمی از اسمای خداست، سپس نوشت: این قرار دادی است که محمّد رسول خدا صلی الله علیه و آله و جماعتی از قریش آنرا خواسته‌اند سهیل بن عمرو گفت: اگر می‌دانستیم تو رسول‌خدا صلی الله علیه و آله هستی با تو محاربه نمی‌کردیم، بنویس این چیزی که محمّدبن عبدالله خواسته‌است. یا محمّد از نسب خود خودداری می‌ورزی؟ و از آن ننگ داری؟! رسول‌خدا صلی الله علیه و آله فرمود: من رسول‌خدا صلی الله علیه و آله هستم اگر چه شما اقرار نکنید. سپس فرمود: یا علی آن نوشته را پاك کن و بنویس محمّد بن عبدالله امیر المؤمنین علیه السلام عرض کرد: من اسم تو را از نبوّت هرگز پاك نمی‌کنم.ـ پس حضرت صلی الله علیه و آله با دست خود آنرا پاك کرد، سپس علی علیه السلام نوشت: این چیزی است که محمّد بن عبدالله و جماعتی از قریش و سهیل بر آن توافق توافق نمودند که ده سال جنگ نباشد و از جنگ با یکدیگر دست برداریم و بین ما نه دزدی باشد و نه خیانت و به یکدیگر کاری نداشته باشیم، هر کس دوست داشته باشد عهد و بیعت محمّد داخل شود بتواند این کار را انجام دهد، هر کس دوست داشته باشد در بیعت و پیمان قریش وارد شود بتواند و هر کس بدون اجازه‌ی ولیّ خود نزد محمّد صلی الله علیه و آله بیاید محمّد صلی الله علیه و آله او را به ولیّ او برمی‌گرداند و اگر از اصحاب محمّد صلی الله علیه و آله کسی به سوی قریش برود لازم نیست او را به محمّد صلی الله علیه و آله بازگردانند و

اسلام در مکّه ظاهر و آشکار باشد و هیچ کس بر دینش اجبار و اکراه نشده و مورد آزار و اذیّت و سرزنش قرار نگیرد، محمّدﷺ و اصحابش امسال را برمی‌گردند و در سال آینده وارد مکّه می‌شوند و سه روز در مکّه می‌مانند، با سلاح داخل مکّه نمی‌شوند مگر سلاح عادی مسافر و شمشیرها در غلاف. این پیمان نامه را علیّ بن ابی طالب نوشت ، مهاجرین و انصار شاهد این نوشته بودند. سپس رسول‌خدا فرمود: یا علیعليه‌السلام تو نخواستی اسم مرا از نبوّت پاک کنی، ولی سوگند به خدایی که مرا به‌حقّ به نبوّت مبعوث نمود چنین موردی برای تو پیش خواهد آمد که به فرزند آنان همین افراد جواب مثبت دهی در حالی تو دلتنگ و ناراحت و مظلوم هستی. پس آنگاه که روز صفّین فرا رسید و به دو نفر حَکَم راضی شدند علیعليه‌السلام نوشت این قرار دادی است بین امیرالمؤمنین علیّ بن ابی طالب و معاویة بن ابی سفیان، عمرعاص گفت: اگر می‌دانستیم تو امیرالمؤمنین هستی که با تو جنگ نمی‌کردیم، باید بنویسی: این قراردادی است بین علیّ بن ابی طالبعليه‌السلام و معاویة بن ابی سفیان. امیرالمؤمنینعليه‌السلام فرمود: راست گفت خدا، و راست گفت رسول‌خداﷺ آن حضرت این مطلب را به من خبر داده بود. به هر حال وقتی قرارداد بین حضرت رسولﷺ و قریش را نوشتند خزاعه بلند شد و گفت: ما در پیمان و عهد و بیعت محمدﷺ هستیم و فرزندان بکر بلند شدند و گفتند: ما در بیعت قریش و پیمان آنان هستیم. این قرار داد را در دو نسخه نوشتند، یك نسخه نزد رسول‌خداﷺ ماند، یك نسخه نزد سهیل بن عمرو. و سهیل بن عمرو، و حفص بن احنف به سوی قریش بازگشتند، و جریان را به آنها خبر دادند. رسول‌خداﷺ به اصحابش فرمود: شترهایتان را نحر کنیم و حلق نماییم در حالی که طواف خانه‌ی خدا نکردیم. و سعی بین صفا و مروه انجام ندادیم؟ رسول خداﷺ از این موضوع غمناك شد و به امّ‌سلمه درد دل کرد، امّ سلمه گفت: یا رسول الله تو نحر کن و حلق نما. رسول‌خداﷺ نحر و حلق نمود، قوم نیز در میان یقین و شكّ و تردید نحر نمودند. پس رسول‌خداﷺ جهت تعظیم قربانی‌ها فرمود : خدا رحمت کند حلق کنندگان را و گروهی که قربانی و شتر نحر نکرده بودند گفتند: یا رسول‌الله خدا تقصیر کنندگان رانیز رحمت کند. چون کسی که قربانی نکشد حلق بر او واجب نیست رسول‌خداﷺ برای دوّمین بار فرمود: خدا رحمت کند حلق کنندگانی

را که قربانی نکشتند. باز اصحاب گفتند: یا رسول الله خدا رحمت کند تقصیرکنندگان را. پس رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله فرمود: خدا رحمت کند تقصیر کنندگان را. پس از آن رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله به طرف مدینه حرکت کرد و به تنعیم که رسید و در زیر درخت فرود آمد، اصحاب که صلح را انکار کرده بودند آمدند و عذرخواهی کردند و اظهار ندامت نمودند و از رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله درخواست کردند که برای آنان استغفار نماید که آیه‌ی رضوان نازل شد. و روی همین جهت است که علی علیه السلام فرمود: دینتان را، دینتان را محکم بگیرید که گناه در آن بخشیده شود و ثواب در غیر آن دین قبول نگردد. رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله در آنچه که به او نسبت داده شده فرموده‌اند: گناه بر قلب من خطور می‌کند و من خدا را استغفار می‌کنم هر روز هفتاد مرتبه............. **۲۷۲**

چنانچه از علی علیه السلام وارد شده: من چیزی را ندیدم مگر آنکه خدا را قبل از آن دیدم... **۲۸۹**

در مجمع از طریق عامّه ذکر شده که وقتی رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله از حدیبیّه به مدینه آمد، بیست روز در آنجا ماند، سپس از آنجا به قصد جنگ خیبر خارج شد و آنان را محاصره کرد تا به تنگی و قحطی شدید بیافتند، سپس خدای تعالی خیبر را به دست آنان گشود. داستان از این قرار بود که رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله پرچم را به عمر بن خطّاب داد و آنان که باید با او حرکت می‌کردند حرکت کردند تا در مقابل اهل خیبر قرار گرفتند، (چون دفاع دلیرانه آنها را دیدند) عمر و اصحابش فرار کردند و پیش رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله برگشتند: هر یك از عمر و اصحابش همدیگر را متّهم به ترس می‌کردند. وقتی به رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله را از کار عمر و اصحابش مطّلع نمودند فرمود: فردا پرچم را به‌دست مردی می‌دهم که خدا و رسولش را دوست دارد و خدا و رسولش او را دوست دارند، ثابت قدم است و فرار نمی‌کند و برنمی‌گردد و مگر آنکه خداوند به‌دست او فتح و پیروزی نصیب ما کند. وقتی صبح شد همه‌ی اصحاب خدمت حضرت صلّی الله علیه و آله آمدند و هر کس امید داشت که پرچم را به‌دست او بدهند که رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله فرمود: علیّ بن‌ابی‌طالب کجاست گفتند: چشم او درد می‌کند، پس کسی را به‌دنبال علی علیه السلام فرستاد و علی علیه السلام خدمت رسول‌خدا صلّی الله علیه و آله رسید، حضرت آب دهانش را بر چشم او مالید و دعا کرد، چشم علی علیه السلام خوب شد، به نحوی که گویی اصلاً درد نداشته‌است.

راوی می‌گوید: اصحاب من آمدند و این مطلب را برای من نقل کردند، وگفتند: آیا در این مورد چیزی شنیده‌ای؟ گفتم: نه، پس گفتند: از پدرت بپرس که او با علی علیه السلام شب نشینی می‌کرد، من از پدرم سؤال کردم و گفت: در این مورد چیزی نشنیده‌ام، پس او پیش علی علیه السلام رفت و با او شب نشینی کرد و این مطلب را از خود علی علیه السلام سؤال کرد. علی علیه السلام فرمود: آیا تو شاهد خیبری نبودی؟ گفتم: چرا، فرمود: ندیدی رسول‌خدا صلی الله علیه و آله ابابکر را فرا خواند، با او پیمان بست و به‌سوی اهل خیبر فرستاد، ابوبکر رفت و با آنها مواجه شد و برگشت و همه‌ی جنگجویان را نیز با خود

برگردانید و شکست خورد و فرار کرد؟ گفت: بلی این قضیّه را دیدم. علی‌علیه‌السلام فرمود: سپس رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله به‌سوی عمر فرستاد و از او پیمان گرفت و او را به‌سوی آن قوم فرستاد، او هم رفت و با قوم روبرو شد، جنگید، شکست خورد و متواری شد. پس رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله فرمود: پرچم را امروز به‌دست کسی می‌دهم که خدا و رسولش را دوست دارد، خدا و رسولش نیز او را دوست دارند و خداوند به‌دست او فتح می‌کند و او در جنگ ثابت قدم است و فرار نمی‌کند پس رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله مرا فراخواند و پرچم را به‌دست من داد و سپس فرمود: بارالها او را از سرما و گرما کفایت کن و حفظ نما. و سپس از آن نه گرما در من اثر کرد و نه سرما. ابن اسحاق گفته: وقتی قلعه‌ی قموص که قلعه‌ی ابن ابی الحقیق بود فتح شد صفیّه دختر حیّ بن اخطب و دختر دیگری خدمت رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله آورده شد، بلال آن دو دختر را بر دو تن از کشته‌شدگان یهود بگذراند و به آنها نشان دهد که کشته شده‌اند وقتی آن دختر همراه صفیّه کشته‌ها را دید داد و فریاد کرد و صورتش را خراشید و خاك بر سرش ریخت، وقتی رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله آن دختر را دید فرمود این شیطان را از من دور کنید، پس از آن دستور داد صفیّه را در جایی پشت سرش نگاه دارند و ردای خویش را بر او انداخت، بدین ترتیب مسلمانان فهمیدند که رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله صفیّه را برای خودش انتخاب کرده‌است. ۲۹۵

رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله به بلال فرمود: آیا رحمت و عطوفت در تو از بین رفته‌است ای بلال؟ تو چرا کشته شدگان مردان را به دو دختر نشان می‌دهی؟! صفیّه در آن زمان که عروس کنانة بن الّربیع بن ابی الحقیق بود یك شب در خواب دیده بود که ماه در دامن او افتاد، این خواب را بر همسرش بازگو نمود همسرش گفت: این خواب تو جز این نیست که تو آروزی پادشاه حجاز محمّد صلی‌الله‌علیه‌وآله را داری و یك سیلی به صورت او زد که در اثر آن سیلی چشمش کبود شد، وقتی او را خدمت رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله آوردند اثر آن سیلی هنوز مانده بود رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله از صفیّه در مورد این قضیّه سؤال کرد، صفیّه نیز مطلب را به او عرض کرد. ابن ابی الحقیق به رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله پیام فرستاد که پایین بیا تا با تو سخن بگویم، رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله جواب مثبت داد و با آنان مصالحه نمود، بدین گونه که خون آنان در قلعه‌هایشان محفوظ بماند، خود و اولادشان بتوانند از

خیبر و زمین خیبر خارج شوند، ولی هیچ چیز با خودشان نبرند و هر چه دارند از اموال و زمین و پول و طلا و لباس در اختیار رسول‌خدا ﷺ باشد، فقط بتوانند لباسی را که پوشیده‌اند ببرند. پیامبر اکرم فرمود: اگر چیزی را مخفی کنید و به من نگویید من ذمّه‌ی خدا و رسولش را از شما بری می‌کنم و پیمان و عهد را برمی‌دارم؛ پس آنان نیز بر همین مطلب مصالحه کردند. وقتی اهل فدك شنیدند و فهمیدند که اهل خیبر چه کردند پیام به رسول‌خدا ﷺ فرستادند که با اهل فدك نیز به همان روش عمل کند و خونشان را محترم شمارد، اینان نیز اموال خود را به رسول‌خدا ﷺ بدهند، چنین کردند و از کسانی که بین رسول‌خدا ﷺ و بین آنان رفت و آمد می‌کرد محیصة بن مسعود بود. وقتی اهل خیبر تا این حدّ تنزّل کردند از رسول‌خدا ﷺ درخواست کردند که نصف اموال آنان را بگیرد و گفتند: ما نسبت به آن اموال از شما داناتریم، پس رسول‌خدا ﷺ بر نصف با آنان مصالحه نمود، شرط کرد که هر وقت ما بخواهیم شما را بیرون کنیم بتوانیم. اهل فدك نیز اینچنین مصالحه کردند. بنابراین اموال خیبر فیء بین مسلمانان بود، ولی فدك خالص برای رسول‌خدا ﷺ گشت، چون در مورد فدك با جنگ و حمله گرفته نشده‌است. وقتی رسول‌خدا ﷺ مستقرّ شد زینب دختر حارث بن سلام که دختر برادر مرحب بود یك برّه‌ی بریان به رسول‌خدا ﷺ هدیه نمود، قبلاً پرسید که رسول‌خدا ﷺ کدام عضو از گوسفند را بیشتر دوست دارد گفتند: دست گوسفند را. پس در آن سمّ بسیاری داخل کرد و بقیه‌ی اعضا را نیز سمّی نمود و آن‌را خدمت رسول‌خدا آورد، وقتی آن‌را جلو رسول‌خدا ﷺ گذاشت رسول‌خدا دست گوسفند را جدا کرد و یك لقمه از آن جوید و مسموم شد و بشر بن براء بن معرور نیز استخوان آنرا گرفت و مسموم گشت. پس رسول‌خدا ﷺ فرمود: دست بردارید و نخورید که شانه‌ی این گوسفند به من خبر میدهد که آن سمّی است؛ سپس زینب را فرا خواند که او نیز اعتراف به سمّی بودن گوسفند کرد. رسول‌خدا ﷺ فرمود: چه چیز تو را به این کار وادار کرد؟ زینب گفت: از قوم من چیزی به من رسیده که بر تو مخفی نیست، من پیش خود گفتم: من این برّه را سمّی می‌کنم اگر او پیامبر باشد که می‌فهمد و خبر می‌دهد و اگر پادشاه باشد که من از دست او راحت می‌شود. سپس رسول‌خدا ﷺ از گناه او گذشت و بشر بن براء از

ما را آن قدر بزنند تا به باغهای‌خرمای «هجر» برسانند ما می‌دانیم که بر حقّ هستیم و آنها بر باطل، و سیره و روش امیرالمؤمنین‌علیه‌السلام همان روش رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله در میان اهل مکّه روز فتح مکّه‌است، که رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله بچّه‌های آنها را اسیر نکرد، و فرمود: درِ خانه‌ی هر کس که بسته باشد، در امن می‌باشد، و هر کس اسلحه را زمین بگذارد در امان است، و هر کس به خانه‌ی ابوسفیان وارد شود در امان است. و امیرالمؤمنین‌علیه‌السلام در روز بصره نیز این چنین گفت، و در میان آنها ندا سر داد: بچّه‌های آنان را اسیر نکنید، زخمی‌ها را نکشید، فرار کننده را تعقیب ننمایید، در هر خانه‌ای که بسته شود و سلاحش را زمین گذارد در امان است............. ۳۲۳

و از علی‌علیه‌السلام آمده‌است که فرمود: کار برادرت را بر بهترین وجه آن حمل کن تا یقین به چیزی پیدا کنی که تو را از آن وجه بهتر برگرداند، و در کلمه‌ای که از برادرت بیرون می‌آید گمان بد مبر مادام که بتوانی آن را به یك محمل خوب حمل کنی. ۳۲۷

و نیز از علی‌علیه‌السلام وارد شده: وقتی صلاح بر زمان و اهلش مستولی گردد، سپس شخصی گمان بد به شخصی دیگر ببرد در حالی که از آن شخص بدی و زشتی به ظهور نپیوسته ظلم و ستم روا داشته‌است. و هر گاه فساد بر زمان و اهلش مستولی گردد، سپس شخصی گمان خوب به شخصی دیگر پیدا کند فریب خورده‌است. رسول‌خدا صلی‌الله‌علیه‌وآله فرمود: در طلب لغزش‌های مؤمنین نباشید که هر کس در پی لغزشهای برادرش باشد خداوند نیز لغزشهای او را پی می‌گیرد، هر کس را که خداوند به دنبال لغزشهای او باشد رسوایش می‌سازد اگر چه در داخل خانه‌اش باشد......... ۳۲۸

از امام صادق‌علیه‌السلام آمده‌است: از غیبت سؤال شد، فرمود: غیبت عبارت است از آنکه درباره‌ی دین برادرت چیزی بگویی که آن را انجام داده‌است و مطلبی را درباره او فاش سازی که خدای تعالی آن را پوشیده ساخته و حدّ درباره‌ی او قائم نشده‌است ۳۲۸

در روایت دیگری آمده‌است: امّا چیزی که در مؤمن ظاهر و آشکار است مانند تیزی و زرنگی و عجله پس آن عیبی ندارد......................... ۳۲۹

از امام کاظم‌علیه‌السلام آمده‌است: کسی که پشت سر شخصی دیگر چیزی را بگوید که همه آن را می‌دانند و در شخصی وجود دارد غیبت محسوب نمی‌شود. و اگر پشت سر

گفته شد: «علمه البیان»؟ فرمود: بیان هر چیزی را که مردم به آن احتیاج دارند به او یاد داد. گفته شد: «الشمس و القمربحسبان»؟ فرمود: آن دو در عذاب هستند. گفته شد: آیا خورشید و ماه عذاب می‌کشند؟ امام فرمود: از چیزی سؤال کردی پس آنرا متقن و محکم نما همانا خورشید و ماه دو آیه و نشانه از آیات خدا است که با امر او جاری می‌شوند و مطیع امر او هستند، روشنی و نور آن دو از عرش خدا و حرارت آن دو از جهنّم است، پس آنگاه که قیامت بر پا می‌گردد پس دیگر نه خورشیدی وجود خواهد داشت و نه ماه، خدای تعالی فقط آن دو قصد کرده که لعنت خدا بر آن دو باد، آیا چنین نیست که مردم از رسول‌خداﷺ روایت کرده‌اند که فرمود: خورشید و ماه دو نور در آتش می‌باشند؟ گفت: بلی این چنین است، فرمود: آیا قول مردم را نشنیدی که می‌گویند: فلانی و فلانی دو خورشید این امّت و نور آن می‌باشند. پس بنابر این آن دو نفر در آتش هستند، به‌خدا سوگند خدای تعالی جز آن دو را قصد نکرده‌است. گفته شد: معنای «النجم و الشّجر یسجدان» چیست؟ امام فرمود: نجم رسول‌خداﷺ است، که خدای تعالی در موارد متعدّد او را به این نام نامیده است، که فرموده‌است: «والنجم اذاهوی» و فرموده: «علامات و بالنجم هم یهتدون» که علامت‌ها اوصیاؑ هستند، ونجم رسول‌خداﷺ است. گفته شد: «یسجدان» به معنای چیست؟ فرمود: یعنی: «یعبدان» یعنی آن دو عبادت می‌کنند، از قول خدا! «والسماء رفعها و وضع المیزان» سؤال شد. امام فرمود: مقصود از آسمان رسول خداﷺ است که خداوند او را به‌سوی آسمان بالا برد. و «المیزان» امیرالمؤمنینؑ

فهرست اخبار متن

وسئل الباقر عليه السلام عن هذه الآية فقال: عنى بالكتاب التّوراة و الانجيل، و امّا أَثارةٍ من العلم فانّما عنى بذلك علم اوصياء الانبياء عليهم السلام و بعد ما اظهر عجز هم عن الاتيان بدليلٍ عقليٍّ او نقليٍّ أتى بالدّليل العقليّ و النّقليّ على بطلان قولهم فقال: [وَ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاٰ يَسْتَجِيبُ لَهُ]لو سمع دعاءهم فضلاً عن مراعاة مصالحهم و الاطّلاع على سرائرهم [اِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ] يعنى انّهم ما داموا فى الدّنيا لايسمعون دعاءهم و لو سمعو ما استجابوا، و لو اجابوا ما قدروا على اصلاحهم ولكنّهم فى يوم القيامة يسمعون نداءهم و يجيبون لهم بانكار عبادتهم [وَ هُمْ عَنْ دُعٰائِهِمْ غٰافِلُونَ] فضلاً عن سماعه و اجابتهم، و هذا دليل عقليّ يدلّ على عدم جواز دعوتهم [وَ اِذٰا حُشِرَ النّٰاسُ كٰانُوا لَهُمْ اَعْدٰاءً وَ كٰانُوا بِعِبٰادَتِهِمْ كٰافِرِينَ]و هذا دليلٌ نقليّ منقولٌ من الانبياء و الاوصياء عليهم السلام مثبتٌ فى الكتب السّماويّة و فى غيرها..... ۶۴۹

قال الصّادق عليه السلام: لمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل الى رسول‌الله صلى الله عليه وآله فقال: انّ فاطمة عليها السلام ستلد غلاماً تقتله امّتك من بعدك فلمّا حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه ثمّ قال: لم تُر فى الدّنيا امّ تلد غلاماً تكرهه و لكنّها كرهته لما علمت انّه سيقتل، قال: و فيه نزلت هذه الآية، و فى روايةٍ اخرى: ثمّ هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد صلى الله عليه وآله انّ ربّك يقرؤك السّلام و يبشّرك بانّه جاعلٌ فى ذرّيّته الامامة و الولاية و الوصيّة فقال: انّى رضيت ثمّ بشّر فاطمة عليها السلام فرضيت قال: فلولا انّه قال: اصلح لى فى ذرّيّتى لكانت ذرّيّته كلّهم ائمّةً، قال: ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من انثى، كان يؤتى به النّبىّ صلى الله عليه وآله فيضع ابهامه فى فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين و الثّلاث فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول‌الله صلى الله عليه وآله و دمه من دمه، و لم‌يولد لستّة اشهرٍ الّا عيسى بن مريم عليه السلام و الحسين، و فى نزول الآية فى الحسين عليه السلام قريباً بهذا المضمون اخبارٌ اُخر..... ۶۵۳

عن الصّادق عليه السلام انّه قال: كان ابى يقول: انّ للحرب حكمين؛ اذا كانت الحرب قائمة لم تضع اوزارها و لم يثخن اهلها فكلّ اسيرٍ اخذ فى تلك الحال فانّ الامام فيه بالخيار، ان شاء ضرب عنقه و ان شاء قطع يده و رجله من خلافٍ بغير حَسْمٍ و تركه يتشحّط فى دمه حتّى يموت و هو قول الله عزّ و جلّ: اِنَّمَا جَزٰاءُ الَّذِينَ يُحٰارِبُونَ‌اللهَ (الآية) قال و الحكم الآخر اذا وضعت الحرب اوزارها و أثخن اهلها فكلّ اسيرٍ اخذ

قتلوهم و ان سكتوا استباحوهم، ليستأثرون بفيئهم، و ليطؤنّ حرمتهم، و ليسفكنّ دماءهم، و ليملأنّ قلوبهم دغلاً و رعبا فلاتراهم الّا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين. قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول‌الله صلى الله عليه و آله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها يؤتى بشىء من المشرق و بشىء من المغرب يلون امّتى، فالويل لضعفاء امّتى منهم و الويل لهم من الله لايرحمون صغيراً و لايوقّرون كبيراً و لايتخافون عن مسىء جثّتهم جثّة الآدميّين و قلوبهم قلوب الشياطين. قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها يكتفى الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء و يُغار على الغلمان كما يُغار على الجارية فى بيت اهلها، و تشبّه الرّجال بالنّساء و النّساء بالرّجال و تركبن ذوات الفروج السروج فعليهنّ من امّتى لعنة الله.– قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان انّ عندها تزخرف المساجد كما تُزخرف البيَع و الكنائس و تحلّى المصاحف و تطوّل المنارات و تكثر الصّفوف بقلوبٍ متباغضةٍ و السنٍ مختلفةٍ. قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟ ـ قالى: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان وعندها تحلّى ذكور امّتى بالّذهب و يلبسون الحرير و الدّيباج و يتّخذون جلود النّمور صفافاً.– قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟– ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يظهر الرّبا و يتعاملون بالعِينة و الرّشى، و يوضع الدّين و ترفع الدّنيا.– قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يكثر الطّلاق فلايقام‌لله حدٌّ و لن‌يضرّ والله شيئاً.– قال سلمان: و انّ هذا لكائنٌ يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها تظهر المغنّيات و المعازف و تليهم اشرار امّتى. قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان و عندها يحجّ اغنياء امّتى للنّزهة، و يحجّ اوساطهم للتّجارة، و يحجّ فقراءهم للرّيا و السمعة فعندها تكون اقوام يتعلّمون القرءان لغير الله و يتّخذونه مزامير، و يكون اقوام‌يتفقّهون لغير الله، و يكثر اولاد الزّنا و يتغنّون بالقرءان و يتهافتون بالدّنيا.– قال سلمان: و انّ هذا لكائن يا رسول الله؟ ـ قال: اى والّذى نفسى بيده، يا سلمان ذلك اذا انتهك المحارم و اكتسبت المآثم، و سُلّط الاشرار على الاخيار، و يفشو الكذب، و تظهر اللّجاجة، و تفشو الفاقة، و يتباهون فى

اللّباس، و یمطّرون فی غیر اوان المطر، و یستحسنون الکوبة و المعارف، و ینکرون الامر بالمعروف والنّهی عن المنکر حتّی یکون المؤمن فی ذلك الزّمان اذلّ من الأمة و یظهر قرّاءهم و عبّادهم فیما بینهم التّلاوم فاولئك یدعون فی ملکوت اَلسماوات الارجاس الانجاس.- قال سلمان: و انّ هذا لکائن یا رسول الله؟ ـ قال: ای والّذی نفسی بیده، یا سلمان فعندها لایخشی العنیّ اَلا الفقر حتّی انّ اَلسائل یسئل فیما بین الجمعتین لایصیب احداً یضع فی کفّه شیئاً. قال سلمان: و انّ هذا لکائن یا رسول الله؟ ـ قال: ای والّذی نفسی بیده، یا سلمان عندها یتکلّم الرُّ وبَیْضَة.- فقال سلمان: و مالرّ وبَیْضَة یا رسول‌الله صلی الله علیه و آله فداك ابی و امّی؟ قال: یتکلّم فی امر العامّة من لم‌یکن یتکلّم، فلم یلبثوا اَلا قلیلاً حتّی تخور الارض خورة فلایظنّ کلّ قوم اَلا انّها خارت فی ناحیتهم فیمکثون ماشاءالله ثمّ ینکثون فی مکثهم فتلقی لهم الارض افلاذ کبدها ذهباً و فضّةً، ثمّ اومی بیده الی الاساطین فقال: مثل هذا، فیومئذٍ لاینفع ذهبٌ و لافضّةٌ فهذا معنی قوله: فقد جاء اشراطها.. ۶۷۰

قال الصّادق علیه السلام: فلانٌ و فلانٌ ارتدّوا عن الایمان فی ترك ولایة امیرالمؤمنین علیه السلام قال: نزلت والله فیهما و فی اتباعهما و هو قول الله عزّ و جلّ الّذی نزّل به جبرئیل علی محمّدٍ صلی الله علیه و آله ذلك بأنّهم قالوا للّذین کرهوا ما نزّل الله فی علیٍّ علیه السلام سنطیعکم فی بعض الامر قال: دعوا بنی امیّة الی میثاقهم اَلا یصیروا الامر فینا بعد النّبیّ صلی الله علیه و آله و لایعطونا من الخمس شیئاً و قالوا: ان اعطیناهم ایّاه لم یحتاجوا الی شیء و لم یبالوا ان لایکون الامر فیهم فقالوا: سنطیعکم فی بعض الامر الّذی دعوتمونا الیه و هو الخمس ان لانعطیهم منه شیئاً و الّذی نّزل الله ما افترض علی خلقه من ولایة امیرالمؤمنین علیه السلام و کان معهم ابوعبیدة و کان کاتبهم فانزل الله ام ابرموا امرأفاً نامبرمون ام یحسبون انّا لانسمع سرّهم و نجویهم (الایة) و عنهما انّهم بنوامیّة کرهوا ما نزّل الله ولایة علیٍّ علیه السلام.. ۶۷۳

و فی المجمع روی ابوهریرة انّ ناساً من اصحاب رسول الله صلی الله علیه و آله قالوا: یا رسول‌الله صلی الله علیه و آله من هؤلاء الّذین ذکر الله فی کتابه؟ (و کان سلمان الی جنب رسول الله صلی الله علیه و آله) فضرب یده علی فخذ سلمان فقال: هذا و قومه ،و الّذی نفسی بیده لوکان الایمان منوطاً بالثّریّا تتناوله رجالٌ من فارس.. ۶۷۷

و عن الصّادق‌عليه السلام قال: سبب نزول هذه الّسورة و هذا الفتح العظيم انّ الله عزّ و جلّ امر رسوله فی النّوم ان يدخل المسجد الحرام و يطوف و يحلّق مع المحلّقين فاخبر اصحابه و امرهم بالخروج فخرجوا، فلمّا نزل ذاالحليفة احرموا بالعمرة و ساقوا البُدُن و ساق رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة و ستّين بذنة و اشعرها عندا حرامه و احرموا من ذی الحليفة ملبّين بالعمرة و قد ساق من ساق منهم الهدی معرّاتٍ مجلّلات، فلمّا بلغ قريشاً ذلك بعثوا خالدين الوليد فی مأتی فارسٍ كميناً ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله و كان يعارضه علی الجبال. فلمّا كان فی بعض الطّريق حضرت صلوة الظّهر فأذّن بلالٌ فصلیّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله بالنّاس فقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم و هم فی الصّلوة لاصبناهم فانّهم لايقطعون صلوتهم ولكن تجیء الآن لهم صلوة اخری احبّ اليهم من ضياء ابصارهم فاذا دخلوا فی الصّلوة اغرنا اليهم. فنزل جبرئيل علی رسول‌الله۹ بصلوة الخوف فلمّا كان فی اليوم الثّانی نزل‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله الحديبيّة و هی علی طرف الحرم و كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله يستنفر الاعراب فی طريقه معه فلم يتّبعه احد و يقولون: ايطمع محمّدٌ صلى الله عليه وآله و اصحابه ان يدخلوا الحرم و قد غزتهم قريش فی عقر ديارهم فقتلوهم، انّه لايرجع محمّد صلى الله عليه وآله واصحابه الی المدينة ابداً! فلمّا نزل رسول‌الله صلى الله عليه وآله الحديبيّة خرجت قريش يحلفون بالّلات و العزّی لايدعون رسول‌الله صلى الله عليه وآله يدخل مكّة و فيهم عينٌ تطرف فبعث اليهم رسول‌الله صلى الله عليه وآله انّی لم ءاٰت لحربٍ و انّما جئت لاقضی نسكی و انحر بُدنی و اخلّی بينكم و بين لحمانها. فبعثوا عروة بن مسعود الثّقفیّ و كان عاقلاً لبيباً و هو الّذی انزل الله فيه: و قالوا لولا نّزل هذا القرءاٰن علی رجلٍ من القريتين عظيمٍ فلمّا أقبل الی رسول‌الله صلى الله عليه وآله عظّم ذلك.–و قال: يا محمّد صلى الله عليه وآله تركت قومك و قد ضرب الابنية و اخرجوا العوذ المطافيل يحلفون بالّلات و العزیّ لايدعوك تدخل مكّة حرمهم و فيهم عين تطرف، افتريد ان تبير اهلك و قومك يا محمّد صلى الله عليه وآله؟ ـ فقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: ما جئت لحربٍ و انّما جئت لاقضی مناسكی و انحر بدنی و اخلّی بينكم و بين لحمانها.– فقال عروة: والله ما رأيت كاليوم احداً صُدّ كما صُددت، فرجع الی قريش فاخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد صلى الله عليه وآله مكّة و

تسامعت به العرب لتذلّلن و لتجرئنّ علينا العرب فبعثوا حفص بن الاحنف و سهيل بن عمرٍ.- فلمّا نظر اليهما رسول‌الله ﷺ قال: ويح قريشٍ قد نهكتكم الحرب الّا خلّوا بينى و بين العرب فان أك صادقاً فانّى اجرّ الملك اليهم مع النّبوّة، و ان أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لايسئلنّى اليوم امرء من قريشٍ خطّةً ليس لله فيها سخط الّا اجبتهم اليه فلمّا وافوا رسول‌الله ﷺ، قالوا يا محمّد ﷺ الاترجع عنّا عامك هذا الى ان ننظر الى ما يصير امرك و امر العرب؟ ـ فانّ العرب قد تسامعت بمسيرك فاذا دخلت بلادنا و حرمنا استذلّتنا العرب و اجترأت علينا و نخلّى لك البيت فى العام القابل فى هذا الّشهر ثلاثة ايّام تقضى نسكك و تنصرف عنّا.- فأجابهم رسول‌الله ﷺ الى ذلك، و قالوا له تردّ الينا كلّ من جاءك من رجالنا، و نردّ اليك كلّ من جاءنا من رجالك.- فقال رسول‌الله ﷺ: من جاء كم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه و لكن على انّ المسلمين بمكّة لايؤذون فى اظهارهم الاسلام و لايُكرهون و لاينكر عليهم شيءٌ يفعلونه من شرائع الاسلام، فقبلوا ذلك.- فلمّا اجابهم رسول‌الله ﷺ الى الصّلح انكر عامّة اصحابة و اشدّ ما كان انكاراً عمر، فقال: يا رسول‌الله ﷺ السنا على الحقّ و عدوّنا على الباطل؟ ـ فقال: نعم، فقال: فنعطى الّذلّة فى ديننا. ۶۸۱

فقال: انّ الله عزّ و جلّ قد وعدنى و لن يخلفنى، قال: ولو انّ معى اربعين رجلاً لخالفته، و رجع سهيل بن عمرٍ و حفص بن الاحنف الى قريشٍ فأخبراهم بالصّلح. فقال عمر: يا رسول‌الله ﷺ، الم تقل لنا ان ندخل المسجد الحرام و نحلّق مع المحلّقين؟! فقال: أمن عامنا هذا و عدتك؟! قلت لك: انّ الله عزّ و جلّ قد وعدنى ان افتح مكّة و اطوف و اسعى و احلّق مع المحلّقين، فلمّا اكثروا عليه قال لهم :ان لم تقبلوا الصّلح فحاربوهم، فمرّ و انحو قريشٍ و هم مستعدّون للحرب و حملوا عليهم فانهزم اصحاب رسول‌الله ﷺ هزيمة قبيحة و مرّو ابرسول‌الله ﷺ، فتبسّم رسول‌الله ﷺ ثمّ قال: يا علىّ ؑ، خذ الّسيف و استقبل قريشاً فأخذ امير المؤمنين ؑ سيفه و حمل على قريش فلمّا نظروا الى امير المؤمنين ؑ تراجعوا ثمّ قالوا: يا علىّ ؑ بدالمحمّدٍ ﷺ فيما أعطانا؟ ـ فقال: لا، و تراجع اصحاب رسول الله ﷺ مستحيين و اقبلوا يعتذون الى رسول‌الله ﷺ، فقال لهم رسول‌الله ﷺ: الستم اصحابى يوم بدرٍ اذ انزل الله عزّ و جلّ فيكم، اذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم انّى ممّدكم بالف من الملائكة مردفين؟ ـ

الستم اصحابی یوم احد اذ تصعدون و لاتلوون عنّی احدٍ و الّرسول یدعوکم فی أُخریکم، الستم اصحابی یوم کذا؟ ـ الستم اصحابی یوم کذا؟ ـ فاعتذروا الی رسول‌اللهﷺ و ندموا علی ما کان منهم و قالوا: الله اعلم و رسوله، فاصنع ما بدالك ورجع حفص بن الاحنف و سهیل بن عمرٍ و الی رسول‌اللهﷺ، فقالا: یا محمّدﷺ قداجابت قریش الی ما اشترطت من اظهارالاسلام و ان لایکره احد علی دینه، فدعا رسول اللهﷺ، بالمکتب و دعا امیرالمؤمنینعلیه‌السلام و قال له: اکتب، فکتب بسم الله الرّحمن الرّحیم، فقال: سهیل بن عمرو: لانعرف الرّحمن، اکتب کما کان یکتب ءاٰباؤك باسمك اللّهمّ، فقال رسول‌اللهﷺ: اکتب باسمك اللّهمّ فانّه اسم من اسماء الله، ثمّ کتب: هذا ما تقاضی علیه محمّد رسول‌اللهﷺ و املأمن قریشٍ، فقال سهیل بن عمرو: لو علمنا انّك رسول‌اللهﷺ ما حار بناك، اکتب هذا ما تقاضی علیه محمّدبن‌عبدالله، اتأنف من نسبك یا محمّدﷺ؟ ـ فقال رسول‌اللهﷺ: انا رسول‌الله و ان لم تقرّوا، ثمّ قال: امح یا علیّعلیه‌السلام و اکتب محمّد بن عبدالله، فقال امیرالمؤمنینعلیه‌السلام: ما امحو اسمك من النّبوّة ابداً، فمحاه رسول‌اللهﷺ بیده ثمّ کتب: هذا ما اصطلاح محمّدبن‌عبدالله و الملأمن قریشٍ و سهیلٌ اصطلحوا علی وضع الحرب عشر سنین علی ان یکفّ بعضنا عن بعضٍ، و علی انّه لااسلال و لااغلال و انّ بیننا و بینهم غیبة مکفوفة و انّ من احبّ ان یدخل فی عهد محمّدﷺ و عقده فعل، و من احبّ ان یدخل فی عهد قریش و عقدها فعل، و انّه من أتی محمّداًﷺ بغیر اذن ولیّة ردّه الیه، و انّه من أتی قریشاً من اصحاب محمّدﷺ لم تردّ هالیه.ـ و ان یکون الاسلام ظاهراً بمکّة و لایکره احدٌ علی دینه و لایؤذی و لایعیّر و انّ محمّداًﷺ یرجع منهم عامه هذا و اصحابه ثمّ یدخل علینا فی العالم المقبل مکّة فیقیم فیها ثلاثة ایّامٍو لایدخل علیها بسلاحٍ الّا سلاح المسافر، الّسیوف فی القراب، و کتب علیّ بن‌ابی‌طالبٍعلیه‌السلام و شهد الکتاب المهاجرون و الانصار، ثمّ قال رسول‌اللهﷺ: یا علیّعلیه‌السلام انّك ابیت ان تمحوا سمی من النّبوّة فو الّذی بعثنی بالحقّ نبیّاً لتجیبنّ ابناءهم الی مثلها و انت مضیض مضطهد؛ فلمّا کان یوم صفّین و رضوا بالحکمین کتب: هذا ما اصطلاح علیه امیرالمؤمنین علیّ بن‌ابی‌طالبٍعلیه‌السلام و معاویة بن ابی سفیان، فقال عمروبن‌العاص: لو علمنا انّك امیرالمؤمنینعلیه‌السلام ما حار بناك و لکن اکتب هذا ما اصطلاح علیه علیّ بن‌ابی‌طالبعلیه‌السلام

لمّا قدم رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله المدينة من الحديبيّة مكث بها عشرين ليلةً ثمّ خرج منها غازياً الى خيبر فحاصرهم حتّى اصبابتهم مخمصة شدية ثمّ انّ الله فتحها.- و ذلك انّ النّبيّ۹ اعطى اللّواء عمر بن الخطّاب و نهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر و اصحابه فرجعوا الى رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله يُجَبّنه اصحابه و يُجَبّنهم. فقال رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله بعد مااخبروه بما فعل عمر و اصحابه، لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه‌الله و رسوله، كرّاراً غير فرّارٍ لايرجع حتّى يفتح الله على يديه.- فلمّا اصبح النّاس غدوا على رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله كلّهم يرجون ان يعطيها، فقال صلّی‌الله‌علیه‌وآله: اين علىّ بن‌ابى طالب علیه‌السلام؟ ـ فقالوا: هو تشتكى عينه، فأرسل اليه فأتى به فبصق فى عينيه و دعا له فبرئ كأن لم‌يكن به وجعٌ فأعطاه الرّاية.- فقال صلّی‌الله‌علیه‌وآله: انفذ على رِسْلِك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم الى الاسلام و اخبرهم بمايجب عليهم من حقّ الله فوالله لان يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من ان يكون لك حمر النّعم.- فذهب الى خيبر فبرز اليه مرحب فضر به ففلق رأسه فقتله و كان الفتح على يده، هكذا اورده مسلم فى الصّحيح... ۶۹۵

و نقل عن العامّة: انّ عليّاً علیه‌السلام لمّا دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضر به رجلٌ من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علىٌّ علیه‌السلام باب الحصن فتترّس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتّى فتح الله عليه ثمّ القاه من يده، فلقد رأيتنى فى نفرٍ معى سبعة نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا.- و نقل عنهم انّ عليّاً علیه‌السلام حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه فافتتحوها و انّه حُرّك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً.- و روى من وجهٍ ءاخر انّه اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان اعادوا الباب، ورووا عن ابى ليلى قال: كان علىّ ۷ يلبس فى الحرّ و الشتاء القباء المحشوّ الثخين و ما يبالى الحرّ فاتانى اصحابى فحكموا ذلك لى فقالوا: هل سمعت فى ذلك شيئاً؟ ـ فقلت: لا، فقالوا: فسل لنا اباك عن ذلك، فانّه يسمر معه فسألته فقال: ما سمعت فى ذلك شيئاً فدخل على علىٍّ ۷ فسمر معه، ثمّ سأله عن ذلك، فقال: او ما شهدت خيبر؟ ـ قلت: بلى، قال: فما رأيت رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله حين دعا ابابكرٍ فعقد له ثمّ بعثه الى القوم فانطلق فلقى القوم ثمّ جاء بالنّاس و قد هزم؟ ـ فقال رسول‌الله صلّی‌الله‌علیه‌وآله: لأُعطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله ويحبّه الله و رسوله يفتح الله على يده كرّاراً

غیر فرّار، فدعانی فأعطانی الرّایة ثمّ قال: اللّهم اکفه الحرّ و البرد، فما وجدت بعد ذلك حرّاً و لابرداً. بکر البیهقیّ، ثمّ لم یزل رسول‌الله ﷺ یفتح الحصون حصناً حصناً حتّی انتهوا الی حصن الوطیخ و الّسلالم و کان ءاٰخر حصون خیبر و حاصرهم رسول‌الله ﷺ بضع عشرة لیلة، قال ابن اسحاق: و لمّا افتتح القموص حصن ابن‌ابی‌الحقیق اُتی رسول‌الله ﷺ بصفیّة بنت حیّ بن اخطب و باُخری معها فمرّ بلال و هو الّذی جاء بهما علی قتلی من قتلی یهود، فلمّا رأتهم الّتی معها صفیّة صاحت و صکّت وجهها و حثت التّراب علی رأسها فلمّا رءاٰها رسول‌الله ﷺ قال اعزبوا عنّی هذه الّشیطانة و امر بصفیّة فحُیّزت خلفه و ألقی علیها رداءه فعرف المسلمون انّه قداصطفاها لنفسه. و قال لبلال: لمّا رأی من تلك الیهویّة ما رأی انزعت منك الرّحمة یا بلال؟ حیث تمرّ بامرأتین علی قتلی رجالهما؟- و کانت صفیّة قدرأت فی المنام و هی عروس بکانة بن الرّبیع بن‌ابی‌الحقیق انّ قمراً وقع فی حجرها فعرضت رؤیاها علی زوجها، فقال: ما هذا الّا انّك تتمنّین ملك الحجاز محمّداً ﷺ و لطم وجهها لطمة اخضرّت عینها منها، فأتی بها رسول‌الله ﷺ و بها اثرٌ منها فسألها رسول‌الله ﷺ منها فاخبرته و أرسل ابن ابی الحقیق الی رسول‌الله ﷺ انزل فاکلّمك قال: نعم، و صالح رسول الله ﷺ علی حقن دماء من فی حصونهم من المقاتلة و ترك الّذرّیّة لهم و یخرجون من خیبر وارضها بذراریهم و یخلّون بین رسول‌الله ﷺ و بین ما کان لهم من مال و ارض علی الصفراء و البیضاء و الکراع و الحلقة و علی البزّ الّاثوب علی ظهر انسان. و قال رسول‌الله ﷺ تبرّأت منکم ذمّة الله و ذمّة رسوله ان کتمتونی شیئاً فصالحوه علی ذلك. فلمّا سمع اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الی رسول‌الله ﷺ ان یسیرهم و یحقن دماءهم و یخلّون بینه و بین الاموال، ففعل و کان ممّن مشی بین رسول‌الله ﷺ و بینهم فی ذلك محیصة بن مسعود فلمّا نزل اهل خیبر علی ذلك سألوا رسول‌الله ﷺ ان یعاملهم الاموال علی النّصف و قالوا: نحن اعلم بها منکم و اعمر لها. فصالحهم رسول‌الله ﷺ علی النّصف علی انّا اذاشئنا ان نخرجکم اخرجناکم، و صالحه اهل فدك علی مثل ذلك فکان اموال خیبر فیئاً بین المسلمین و کانت فدك خالصةً لرسول‌الله ﷺ لانّهم لم یوجفوا علیها بخیلٍ و لارکابٍ، و لمّا اطمأنّ رسول‌الله ﷺ اهدت له زینب بنت الحارث بن سلام و هی ابنة اخی مرحب شاةً مَصلیّةً و قد سألت

للاختلاف، و عبادة بعضهم و تمرّد بعضهم لاینا فی ذلك، فانّ الغایة المقصودة و المنظور الیها و المترتّب علیها فعل الفاعل عبادتهم و معرفتهم و لکن لمّا لم یکن خلق البشر فی عالم الکون من الاضداد الّا بان یکونوا مختلفین و کان غایة تلك الخلقة المنتهی الیها خلقتهم اختلافهم قال: و لذلك خلقهم فلامنافاة بینهما. . . ۷۴۵

و عن النّبیّ صلی الله علیه و آله: البیت المعمور فی السّماء الدّنیاو فی حدیثٍ عنه صلی الله علیه و آله انّه فی السّماء السّابعة. ۷۴۶

و عن ابن عبّاسٍ انّه قال: صلّینا العشاء الاخرة ذات لیلةٍ مع رسول‌الله صلی الله علیه و آله فلمّا سلّم اقبل علینا بوجهه ثمّ قال: انّه سینقضّ کوکب من السّماء مع طلوع الفجر فیسقط فی دار احدکم، فمن سقط ذلك الکوکب فی داره فهو وصیّی و خلیفتی و الامام بعدی، فلمّا کان قرب الفجر جلس کلّ واحدٍ منّا فی داره ینتظر سقوط الکوکب فی داره و کان اطمع القوم فی ذلك ابی العبّاس، فلمّا طلع الفجر النقضّ الکوکب من الهواء فسقط فی دار علیّ بن ابی طالبٍ علیه السلام فقال رسول‌الله صلی الله علیه و آله لعلیٍّ علیه السلام: یا علیّ و الّذی بعثنی بالنّبوّة لقد وجب لك الوصیّة و الخلافة و الامامة بعدی، فقال المنافقون عبدالله بن اُبیٍّ و اصحابه: لقد ضلّ محمّد فی محبّة ابن عمّه و غوی، و ما ینطق فی ساعته الّا بالهوی، فأنزل الله هذه الایة (الی ءاخر الحدیث). ۷۵۴

و قرئ فتدانی، و سئل الکاظم علیه السلام عن قوله دنی فتدلّی، فقال: انّ هذه . . . ۷۵۶

لغة فی قریش اذا اراد الرّجل منهم ان یقول: قد سمعت یقول قد تدلّیت و انّما ای بل ادنی و التّدلّی الفهم لکلّ قوسٍ قابان. ۷۵۶

و عن الصّادق علیه السلام: انّه سئل کم عرج برسول‌الله صلی الله علیه و آله؟ــ فقال: مرّتین فأوقفه جبرئیل موقفاً فقال: مکانك یا محمّد صلی الله علیه و آله فقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك و لانبیٌّ قطّ، انّ ربّك یصلّی، فقال: یا جبرئیل، و کیف یصلیّ؟ــ قال: یقول سبّوح قدّوس انارَبّ الملائکة و الرّوح، سبقت رحمتی غضبی، فقال: اللّهمّ عفوك عفوك، قال: و کان کما قال الله: قاب قوسین اوادنی.– قیل: ما قاب قوسین اوادنی؟ ــ قال: ما بین سیتها الی رأسها، قال: فکان بینهما حجاب یتلألأ یخفق و لااعلمه الّا وقد قال: زبرجد، فنظر فی مثال سمّ الابرة الی ماشاءالله من نور العظمة، فقال الله تبارك و تعالی: یا محمّد صلی الله علیه و آله، قال: لبّیك ربّی، قال: من لامتّك من بعدك؟ ــ قال: الله اعلم، قال: علیّ بن ابی طالبٍ علیه السلام

امیرالمؤمنین و سیّد المسلمین و قائد الغرّ المحجّلین، ثمّ قال الصّادقعليه‌السلام: واللّٰه ماجاءت ولایة علیّعليه‌السلام من الارض ولکن جاءت من السّماء مشافهةً.......... ۷۵۷

و سئل رسول‌اللّٰهصلى‌الله‌عليه‌وآله عن ذلك الوحی، فقال: اوحی الیّ انّ علیّاًعليه‌السلام سیّد المؤمنین، و امام المتّقین، و قائد الغرّ المحجّلین، و اوّل خلیفةٍ یستخلفه خاتم النّبیّین ۹، فدخل القوم فی الکلام فقالوا: امن اللّٰه او من رسوله؟ ـ فقال اللّٰه جلّ ذکره لرسوله قل لهم: ما کذّب الفؤاد ما رأی ثمّ ردّ علیهم فقال: افتمارونه علی مایری. فقال لهم رسول‌اللّٰه ۹: قد امرت فیه بغیر هذا، امرت ان انصبه للنّاس، فأقول: هذا ولیّکم من بعدی، و انّه بمنزلة السّفینة یوم الغرق، من دخل فیها نجا، و من خرج عنها غرق.......... ۷۵۹

و روی عن النّبیّصلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال لعلیّعليه‌السلام: یا علیّ انّ اللّٰه ای اخبرونا عن اشهدك معی فی سبع مواطن وعدّ من ذلك لیلة الاسراء [اَفَرَأَیْتُمُ اللّاٰتَ وَ و لذلك نسب الیه ۹ انّه قال: کان اخی موسیعليه‌السلام عینه الیمنی عمیاء، و اخی عیسیعليه‌السلام عینه الیسری عمیاء، و اناذوالعینین.................................... ۷۶۹

عن الصّادقعليه‌السلام: یوم الاربعاء یوم نحس لانّه اوّل یومٍ و ءاٰخر یومٍ من الایّام الّتی قال اللّٰه عزّ و جلّ سخّرها علیهم سبع لیالٍ و ثمانیة ایّامٍ حسوماً.......... ۷۷۳

و عن الصّادقعليه‌السلام انّ فی جهنّم لوادیاً للمتکبّرین یقال له سقر شکا الی اللّٰه شدّة حرّه و سأله ان یأذن له ان یتنفّس، فتنفّس فأحرق جهنّم.................. ۷۷۶

عن الصّادقعليه‌السلام انّ القدریّة مجوس هذه الامّة و هم الّذین ارادوا ان یصفوااللّٰه بعدله فأخرجوه من سلطانه، و فیهم نزلت هذه الایات یومیسحبون (الی قوله) بقدرٍ.. ۷۷۶

[فَبِاَیِّ اٰلآءِ رَبِّکُما تُکَذِّبٰانِ]روی عن الرّضاعليه‌السلام انّه قال: الرّحمن علّم القرءاٰن، اللّٰه علّم القرءاٰن قبل خلق الانسان و ذلك امیرالمؤمنینعليه‌السلام قیل علّمه البیان؟ ـ قال: علّمه بیان کلّ شیءٍ یحتاج الیه النّاس، قیل: الّشمس و القمر بحسبان؟ـ قال: هما بعذابٍ، قیل: الّشمس و القمر یعذّبان؟ ـ قال: سألت عن شیءٍ فأتقنه، انّ الّشمس و القمر ءاٰیتان من ءاٰیات اللّٰه یجریان بأمره مطیعان له ضوؤهما من نور عرشه و حرّهما من جهنّم فاذاکانت القیامة عاد الی العرش نورهما و عاد الی النّار حرّهما فلایکون شمسٌ و لاقمرٌ و انّما عناهما لعنهما اللّٰه، او لیس قد روی النّاس انّ رسول‌اللّٰهصلى‌الله‌عليه‌وآله قال: انّ انّ

فهرست ابیات

بـــا زبـــان حـــال مـــیگفتی بســـی

که زمـحشر حشــر را پــرسد کســی!۷۶۸

پس قـــــیامت شـــو قـــیامت را بـــبین

دیـدن هـر چـیز را شـرط است ایـن۷۶۸

حـــــلول و اتـــحاد ایـــنجا مـــحال است

که در وحدت دویی عین ضلال است۸۱۱

آلا تـــــا بـــا خـــودی زنـــهار زنـــهار

عـــــبارات شـــــریعت را نگـــهدار۸۱۱

یـــــؤمنون بـــــالغیب مـــی‌باید مـــرا

زان بـــــبستم روزن فـــانی ســـرا۸۱۵

لیك یك درصـــــد بـــود ایـــمان بـــغیب

نـیك دان و بگـذر از تـردید و ریب۸۱۵

بـــندگی در غـــیب آیـــد خـــوب و کش

حفظ غـیب آیـد در اسـتبعاد خـوش۸۱۶

قـــــلعه داری کــــز کـــنار مـــملکت

دور از ســـلطان و ســـایه ســـلطنت۸۱۶

پـــــاس دارد قـــــلعه را از دشـــــمنان

قـــلعه نـــفروشد بـــمال بـــی کـران۸۱۶

نـــــزد شـــــه بـــهتر بـــود از دیگـــران

که بخدمت حـاضرند و جـان فشـان۸۱۶

پس بـــــه‌غیبت نـــیم ذرّه حـــفظ کـــار

به که انـدر حـاضری زان صـد هـزار۸۱۶

فهرست منابع

۳۵۵۶۸۰۰